دور الشباب في إنتاج العنف اللبناني:
مقاربة لسرديات الحرب الأهلية وما بعدها

سوسن أبوظهر

محمد منذر

umam للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ifa Institut für Auslandsbeziehungen
Federal Foreign Office

دور الشباب في إنتاج العنف اللبناني:
مقاربة لسرديات الحرب الأهلية وما بعدها

سوسن أبوظهر
محمد منذر

أمم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ifa Institut für Auslandsbeziehungen
Federal Foreign Office

أُمم للتَّوثيق والأبحاث
٢٠٢٥
هاتف: ٥٥٣٦٠٤ ١ ٩٦١ + | بيروت ـ لبنان
www.umam-dr.org | www.memoryatwork.org

تم إعداد هذا المنشور بدعم من وزارة الخارجية الألمانية عبر المعهد الألماني للعلاقات الخارجية (ifa)، ضمن برنامج التمويل (zivik).

تعبر الآراء والمواقف الواردة في هذا المنشور عن وجهة نظر المؤلف/المؤلفين فقط، ولا تعكس بالضرورة مواقف أو آراء الجهات الداعمة.

الغلاف: «بوسطة» عين الرمانة في «هنغار» مؤسسة «أمم للتوثيق والأبحاث»
العمل الفني: من إعداد حسام البقيلي

الفهرس

مقدمة: حر(و)ب مفتوحة ٩

الفصل الأول: مَن استقطب مَن، كيف ولماذا ١٣

تعريف الحرب الأهلية... مفاهيم متعددة ١٣

«اللبْنَنة» و«الأحداث»... بين المحلي والخارجي ١٥

ما قبل الحرب... بذور جنينية للصراع وتراكمات تاريخية ١٧

استقطاب تصاعدي إلى غواية الحرب ٢٠

«تعتير»، إحباط طبقي وتسلح انتقامًا ٢٢

الحرب مصدر استرزاق ٢٤

تهديد وجودي... الجميع على حق! ٢٥

الدين يحارب الدين ٢٧

العروبة مقابل «اللبنانية» ٢٧

اللا عنف... الحوار يواجه السلاح ٢٩

الفصل الثاني: مَن قاتل مَن ٣٣

ميليشيات الطوائف والعقائد ٣٣

المُقاتِلات بين الطبخ والأيقونات ٣٧

الجيش... اثنان وأكثر ٤٢

يوميات دموية... حروب في حرب ٤٥

الخطف... حرب على الأفراد ومأساة مستمرة ٤٨

الاغتصاب... عنف جندري ممنهج ٥٠

جغرافيا الميليشيات... لبنان سبع مناطق ٥١

اقتصاد الميليشيات... تقاتلٌ وتوافق ٥٢

الفصل الثالث: انتهت ولم تنتهِ ٥٩

الطائف... نهاية الحرب أو تجميدها؟ ٥٩

المهجرون، المخطوفون والمفقودون... ديمومة الحرب في السلم ٦٢

رواسب الحرب... أثقال نفسية ٦٤

تغييب العدالة... عنف تحت الرماد ٦٦

الكتاب الغائب والذاكرة الممزقة ٦٨

الكشافة في خدمة التطييف، التسييس والعسكرة ٧١

مظاهر منظّمة شبه عسكريّة... استعراضات القوة ٧٤

كما في الحرب... السلاح بيد الجميع ٧٦

الفصل الرابع: حروب ما بعد الحرب ٧٩

حروب الجيران... خط التماس السوري والمذهبي ٨١

صعود السلفية... حرب العنف التكفيري على الجيش ٨٤

الشبان السلفيون... موقوفون، انتحاريون وقتلى خارج الحدود ٨٨

حدود عَبَرها «حزب الله»... تعميق الشرخ ٩١

«حزب الله» يواجه إسرائيل... مقاومة بلا إجماع ٩٥

حروب داخل الطوائف... «أهليّة بمْحَليّة» ٩٨

حروب بين الطوائف... خطوط تماس جديدة بأدوات قديمة ١٠٠

عنف السُلطة بأحزابها وأجهزتها الأمنية ١٠٣

النساء... تراجع الحضور العسكري وصعود التعبئة الدينية ١٠٦

الاغتيالات السياسية... حربٌ مستمرة على الأفراد ١٠٨

الفصل الخامس: حروب الشاشات والعنف الناعم ١١١

الجيوش الإلكترونية... سلاح خفي وعنف ظاهر ١١٢

عُنف المنع... قمعٌ في الثقافة واليوميات ١١٥

خاتمة وتوصيات: تفكيك العنف... «حتى ما تنعاد» ١٢٥

المصادر والمراجع ١٢٩

مُقدِّمة: حر(و)ب مفتوحة

لا تشبه الحرب الأهلية اللبنانية سواها، فهي في خمسينية اندلاعها بداياتٌ بلا نهايات واضحة، وأسئلة بلا إجابات. هل هي حروب في حرب، أو ربما مراحلٌ من السلام الخادع، الهش، المتقطع استراحاتٍ بين جولة قتال وأخرى؟ الحروب اللبنانية أقدم من الوطن نفسه بشكله الحالي، وهو يواجه تحديات وجودية في مستهل مئويته الثانية وانشطارات أفقية وعمودية بشأن هويته ودوره وموقعه في معادلات المحيط وصراعاته.

إذا لم نشأ العودة إلى مقتلة الدروز والموارنة عام ١٨٦٠، فهل نُنكر أو نخبئ في زوايا النسيان سجلًا من العنف المتبادل، بدءًا بـ«مِيني حرب» عام ١٩٥٨، بعد ١٥ عامًا فقط على الاستقلال، أم نتجاهل كل النيران تحت الرماد التي سبقت اصطدام «بوسطة» عين الرمانة عام ١٩٧٥ بغليان داخلي محتدم لم يكن العامل الفلسطيني إلا أحد مظاهره؟

استُخدِم الانتداب نظريًا لإعداد الشعوب لحُكم نفسها بدولة حديثة ومؤسسات. غير أنَّ الزمن في بلادنا يبدو متعثرًا عند تلك اللحظة إذ تجاوز لبنان الحديث القرن عُمرًا ولم يعبُر بعد إلى جمهورية سيادة القانون والانتماء إلى المُواطَنة. ربما كان القطار عالقًا عند محطة القائمقاميتين عام ١٨٤٢. حينها كان الحُكم طائفيًا[1] من دون موارِبة، في حين أنه في أيامنا أشد تقوقعًا مذهبيًا، ولكن من دون جرأة المصارحة وصدق التوصيف، إذ يتدارى خلف عناوين فضفاضة مثل «الميثاق الوطني»، «الوفاق الوطني»، «العيش المشترك»، «العائلة اللبنانية» و«الفسيفساء اللبنانية»، وأي منها لم يمنع تقاتلًا.

تحارب اللبنانيون لأسباب عدة وفي معارك تنقَّل فيها المتصارعون بين المعسكرات، هم تارة حلفاء وطورًا أعداء. بدأت حرب ١٣ نيسان ١٩٧٥ بعنوان الوجود الفلسطيني المسلّح

(١) إلى القائمقاميتين المارونية والدرزية، قامت مطالبة أورثوذكسية بقائمقامية ثالثة للطائفة لكنها لم تلق النجاح ففُصلت الكورة الأورثوذكسية عن القائمقامية المسيحية وألحقت بالولاية العثمانية. انظر/ي: شهر كانون الأول - **القائمقاميتان أو تقسيم لبنان**، الشهرية، موقع الدولية للمعلومات، ٩ كانون الأول ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٧ أيلول ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:١٦.

من يوميات اللبنانيين في الحرب الأهلية

وانتهت بتكريس الهيمنة السورية، وما بينهما كان الاحتلال الإسرائيلي، ثم اعتداءاته المتكررة التي تركت آثارها على التوازنات اللبنانية. ومِن المطلع إلى الخاتمة النظرية للحرب الكبرى، كما سمّيناها، تقلّصت أحجام فُرقاء ونمَت أخرى ووُلدت أطراف جديدة. الحرب عمومًا كأنها جزء أصيل من تاريخ البلد، فهو أرض مساكنة بين هويات مختلفِة، بمعنى التعدُّد والصِدام، وعنف كثير الأوجه. فما بعد الحرب اللبنانية الأكبر الكثير من الحروب الأصغر المتجولة بين المناطق والطوائف، وإن من دون عامل خارجي طاغٍ، فكانت «أهلية» بحق، وبعضها بين أزقة وشوارع متجاورة كما في الطريق الجديدة، خلدة والطيَونة وسواها. ومِن المضحك المبكي أنَّ وسائل النقل قد تكون مثيرة للفِتن كدراجة أحمد الأسير الهوائية أو سيارة جيب وزير في قبرشمون!

ليست مصادفة أنْ ما مِن تاريخ رسمي محدد لانتهاء التحارُب اللبناني، لا بل من المفارقات أنَّ اتفاق الطائف الذي وُضع للخروج من نفقه كان سببًا في قتال إضافي. حروب البلدان الأخرى تُتذكَّر باللحظة التي وضعت فيها أوزارها، بينما لبنان يجهل وقت الخاتمة، إنْ كان ثمة واحدة، ويعود دومًا إلى الانطلاقة، مِن باب «تِنْذكر حتى ما تِنعاد»، لكنها تنعاد. التكرار هنا لم يعلِّم «الشُطّار»، كما يقول اللسان الشعبي، فالعفو العام يمكن اعتباره من موبقات الحرب نفسها لأنه شرْعنَ الإفلات من العقاب بالنسبة إلى كل الجرائم المرتكبة قبل ٢٨ آذار ١٩٩١، وأبقى ملفات المخفيين قسرًا والمخطوفين والمهجرِّين شاهدة على جروح تنزف بلا نهاية منذ البداية.

من هنا ليس العنف في لبنان حوادث من ماضٍ انطوى، بل هو مسار مستمر تتغيّر وجوهه ولا يتبدل جوهره، والشباب فتيلُه وأدوات لإعادة إنتاجه. من الميليشيات إلى الشاشات، والجبهات الميدانية إلى مواقع التواصل الاجتماعي، تبقى هذه الفئة العمرية في قلب الحرب، فاعلة فيها وحاملة ندوبها في آن، على خلفيات تتكرر و«تنعاد»، بين غياب الفرص الاجتماعية والاقتصادية، انعدام المساءلة والمحاسبة، وحجب كل مسارات العدالة الانتقالية.

العنف بالنسبة إلى أجيال من الشباب كان محيطًا مفروضًا مُمَجَّدًا، في المدرسة والجامعة، الشارع والحيّ، الإعلام والعمل، كما الشعارات والأغاني والأناشيد. فانغرس - عسكريًا، دينيًا، مذهبيًا، مجتمعيًا، نفسيًا، جنسيًا، اقتصاديًا، لفظيًا، ثقافيًا وإلكترونيًا - في العقول والنفوس. شباب الحرب هم أجداد وجدّات وآباء وأمهات ما بعدها، وصولاً إلى شباب لم يختبروها لكنهم شهدوا الإفلات من العقاب بتكريس زعامات أمرائها وأبنائهم، فهم أباطرة السياسة والاقتصاد في زمن السلم. وبعض الشباب المعاصرين استنسخوا ميليشيات الماضي، فصاروا قادة محاور أو مؤثرين في تجنيد آخرين، تارة بالنشاط الكشفي شبه العسكري وطورًا بعمامة أو صليب كبير على الصدر.

لن نُثقل مكتباتكم بإصدار إضافي عن الحرب الأم ونسلها من الحروب الصغرى المولودة بلا مخاضات، ففيها الكثير من ذلك بلا شك. لكننا تناولنا عاملَيْن لم يُربطا بما فيه الكفاية في كل الصفحات التي خُطَّت منذ عام ١٩٧٥ إلى يومنا، هما الشباب والعنف. ذلك أنَّ غالبية المنشورات والدراسات انشغلت بالزعامات السياسية والطائفية، البُنية الإقليمية والدولية للصراع، والأسباب المحلية من اجتماعية – اقتصادية ومذهبية. أُهمِل إلى حدٍّ كبير التركيز على هذه الفئة العمرية التي شكّلت الشريحة البشرية الأكثر حضورًا في ميادين الحرب وأزقّتها، إذ تمَّ التعامل معها كأرقام، أو ضحايا جانبية، دون الالتفات إلى دورها في صناعة الأحداث ودفع أثمانها. جعلَ هذا التغييب التأريخ ناقصًا ومبتورًا. لذلك، غاية هذا البحث تسليط الضوء على الشباب بوصفهم فاعلين أساسيّين، فأيّ مقاربة للعنف في لبنان لا تستقيم من دون التوقّف عند صِلتهم به، بين ذاكرة مثقلة بصدى القتال وواقع لا يخلو من انفجارات متجددة.

يرسم بحثنا خريطة هذه العلاقة المركّبة بين الشباب والعنف، من جذور الحرب، إلى جغرافيا ميليشياتها واقتصادها الموازي، وإرثها الممتد إلى حاضرنا، ثم الحروب الصغرى وتحوّلات العنف، وصولًا إلى ذاك الناعم غير المسلح والإلكتروني؛ في دورة دموية تجدِّد نفسها، وفيها تصيغُ الطوائف والأحزاب العنف وفق مصالحها.

أبعد من ذلك، لماذا استمر توالد العنف رغم انتهاء الحرب؟ هل الجواب في العدالة الغائبة التي لم تُنجز يومًا، ودولة المواطنة التي لم تُبنَ أصلًا، وبُنية نظام طائفيّ عميق يجعل السلاح وسيلة طبيعيّة لتسوية الخلافات وإعادة إنتاج السُلطة؟ مِن هنا، هل اللبنانيون عمومًا، والشباب خصوصًا، محكومون بالعيش في قبضة العنف كقدر محتوم لا نجاة منه، أم أنّ في وسعهم كسر هذه الحر(و)ب؟

الفصل الأول: مَن استقطب مَن، كيف ولماذا

الحروب الأهلية عالم معقد، أخطبوط عملاق بأذرع منها السياسي، العسكري، الاقتصادي، الديني – المذهبي والعرقي وسوى ذلك.

قبل الخوض في تشعبات الحرب الأهلية اللبنانية التي جعلتها مثالًا إقليميًا ودوليًا يُثار لدى ذكر أي صراع طويل المدى متداخل في مسبباته ومخططيه وفاعليه، بما في ذلك الشباب والنساء، وصولًا إلى سجّل حافل من التسميات والتوصيفات؛ عرَضنا للأبعاد الكثيرة لتعريف مفهوم الحرب الأهلية بالمطلق. ثم فككنا مسارات استقطاب شبان وشابات إلى أتون الحرب اللبنانية، منذ التراكمات التاريخية المُفضية إليها، حتى أيامها الأولى ومحطاتها المتراكمة.

تعريف الحرب الأهلية... مفاهيم متعددة

تتنوع تعريفات الحرب الأهلية باختلاف مجالات الدراسة ومقاصدها، وتتقاطع سياسيًا عند اعتبارها نزاعًا مسلحًا بين جماعات متنافسة تنتمي إلى دولة واحدة أو سُلطة مشتركة. وهذا الصراع ذو أسباب وغايات متعددة، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، عرقية، أيديولوجية ودينية.[1] كذلك تُصنَّف ضمن المفهوم المواجهات بين بلدين كانا كيانًا واحدًا، وذلك على خلفية رغبة جماعة في الانفصال لإنشاء دولتها الخاصة، أو تغيير سياسة البلاد والاستئثار بالحُكم.[2] وتميِّز موسوعة «بريتانيكا» في التحديث الأخير عام ٢٠٢٥ الحرب الأهلية عن أعمال الشغب كما عن قمع أي انتفاضة داخلية.[3] وتدخلُ الانقلابات العسكرية في هذا العنوان وكذلك جرائم التطهير العرقي.

(١) **الحرب الأهلية تعريفها وأنواعها**، موقع الجزيرة.نت، ٣١ آذار ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٢٠ نيسان ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٢٢.

(٢) محمد عاكف جمال، **حول مفهوم الحرب الأهلية**، موقع البيان، ٧ آذار ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ٢٠ نيسان ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٥٤.

(٣) **Civil war**, Britannica, accessed on 15 April 2025, time: 13:12

قانونيًا، لدى منظمة «أطباء بلا حدود» أنَّ كلمة «حرب» لم تعُد مستخدمةً في القانون الدولي، فقد خَلَفَها تعبيرُ «نزاع مسلح دولي» للصراع بين البُلدان و«نزاع مسلح غير دولي» لتوصيف الحرب الأهلية. أضِف أنَّه لا بد من تسجيل «مستوى معين وشِدّة» للعنف ليصُحَّ إدراجُ الحالة كـ«نزاع مسلح». وكلُّ ما دون ذلك هو «اضطرابات داخلية» و«توتر».[٤] وفي المقابل، تُعنى «الهيئة الدولية للصليب الأحمر» بإسقاط القانون الإنساني الدولي على الحروب الأهلية – وفي تعريفها أنها تلك التي تدور على أراضي بلد ولا تنخرط فيها جهاتٌ خارجية - مما أدى إلى تطوير ما يُسَّمى «القانون الإنساني الدولي للنزاعات المسلحة غير الدولية».[٥]

تماشيًا مع السائد في الذاكرة الشعبية والتوصيفات الصحافية ومؤلفات المؤرخين، لم نعتمد تعبير «نزاع مسلح غير دولي» في كتابتنا عن الحرب اللبنانية.

سوسيولوجيًا، يُعرَّف النزاع الأهلي بأنه انعكاسٌ لانقسامات اجتماعية سواء على أساس عرقي أو إثني، وطائفي، بينما التوصيف الاقتصادي يقاربه من جنَبَة طبقية.

تترك الحرب الأهلية تأثيراتها على مختلف الصُعد. إنسانيًا، تُخلِّف وراءها قتلى وجرحى، معوقين ومخطوفين ومخفيين قسرًا، وضحايا اغتصاب، إلى الصَدَمات النفسية الشديدة، خصوصًا بين الشباب، النساء والأطفال. وتتضرر مجموعات بشرية نتيجة شح المياه والغذاء، تفشي الأمراض وتراجع الرعاية الصحية، ترهل البنى التحتية وشبكات النقل، كما موجات النزوح واللجوء. اقتصاديًا، تترافق مع انهيار مالي، تدهور مستوى المعيشة وفقدان وظائف، وتقييد حركة السِلع والخدمات التجارية. ويتقهقر نظام التعليم ويزداد التسرُّب المدرسي نحو تجنيد الشبان والشابات، تزامنًا مع تفشي التطرف العنيف.

إلى ما تقدَّم، تُحدِث الحرب الأهلية تأثيرات أبعد من حدودها تستدعي أحيانًا تدخلات خارجية تترك بصماتها على الأمن الإقليمي والسياسات الدولية.[٦]

(٤) **The practical guide to humanitarian law**, medecins sans frontieres, accessed on 24 April 2025, time: 14:15

(٥) **Non-international armed conflict, how does law protect in war**, icrc, accessed on 24 April 2025, time: 14:00

(٦) محمد أمين، **بحث حول مفهوم وتاريخ الحروب الأهلية**، موقع آثار، ٢٧ شباط ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٢٠ نيسان ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٤٣.

ومثال على بلدان شهدت حروبًا أهلية منذ القرن العشرين: رواندا (١٩٩٠ – ١٩٩٤)، البوسنة والهرسك (١٩٩٢ – ١٩٩٥)، اليمن (٢٠١٤ – إلى الآن)، السودان - بما في ذلك انفصال الجنوب (١٩٨٣ – ٢٠٠٥) ثم القتال بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع (٢٠٢٣ – إلى الآن)، و... لبنان (١٩٧٥ – ١٩٩٠)، رسميًا على الأقل.

«اللبْنَنة» و«الأحداث»... بين المحلي والخارجي

في تقرير من ٨٠ صفحة صدر في كانون الأول ٢٠٢١ عن (LAW) الحركة القانونية العالمية مع هيئة الأمم المتحدة للمرأة عن جرائم الاغتصاب في لبنان بين عامَي ١٩٧٥ و١٩٩٠، اختار الفريق البحثي تعبير «الحروب اللبنانية» بدلاً من الحرب اللبنانية أو الحرب الأهلية في لبنان. حروب، بالجمع، لأنها لم تكن «حدثًا واحدًا مستمرًا».[٧]

شرحُ حربنا أكثر تعقيدًا من تعريف الحرب الأهلية بالمطلق أو النزاع المسلح غير الدولي. هي اكتسبت مِن الشهرة حدَّ استنباط تعبيرٍ مشتقٍ منها، «اللَبنَنة»، ولم يقتصر استخدامه على محيطنا بل بلَغَ العالمية. ففي قاموس «لاروس» الفرنسي أنه اسم مؤنث يرمز إلى «عملية تفتيت الدولة الناجمة عن الصراعات بين طوائف دينية مختلفة، في إشارة إلى النزاعات التي شهدها لبنان في ثمانينيات القرن العشرين [...]». واللافت أنَّه حصرَ الاقتتال بجانب طائفي لا يمكن إنكارُه لكنه لم يكن الواقع الأوحد. ذلك أنَّه في بدايات الحرب، وفي ذروة الانشطار بين «الحركة الوطنية اللبنانية» و«الجبهة اللبنانية» التي أشار إليها خصومُها بـ«اليمين المسيحي»، الماروني تحديدًا، انخرط مسيحيون يساريون وقوميون في «الحركة» ضد «الجبهة». وبين هذه وتلك، صفة «اللبنانية» تُفرِّق بدلًا من أنْ تجمعَ، إنّها سلاح في سباق دموي على من هو الأكثر بطشًا.

الحرب هي كذلك «الأحداث» كما سمَّاها الموروث الشعبي. ووَردت الكلمة على لسان أحد الشبان الذين انخرطوا في واحدة من أفظع محطاتها، مجزرة صبرا وشاتيلا، في فيلم «مساكر»[٨] للقمان سليم ومونيكا بورغمان الذي يروي سياق تلك الواقعة الرهيبة

(٧) **They raped us in every possible way, in ways you can't imagine: Gendered Crimes during the Lebanese Civil Wars**», LAW, December 2021, accessed on 15 April 2025, time: 20:25

(٨) وثائقي «مساكر، مَقْتَلَة صبرا وشاتيلا بعيون مُرْتَكِبيها» للقمان سليم ومونيكا بورغمان صدر عام ٢٠٠٥. شارك في أكثر من مئة مهرجان دولي ولم يسمح الأمن العام اللبناني بعرضه إلا مرة واحدة في البلاد.

عبر مقابلات مع ستة مشاركين فيها. «أحداثٌ»، لفظٌ شبه محايد وتخفيفي لهَوْل التقاتل الذي امتدَّ على «حروب صغيرة» كما عَنْوَنَ المخرج مارون بغدادي فيلمه عام ١٩٨٢.

فماذا كانت الحرب؟ هل هي داخلية أم «حرب من أجل الآخرين»، والتعبير للصحافي غسان تويني في كتاب أصدره عام ١٩٨٥؟ ومن هم «المحليون» و«الآخرون»؟

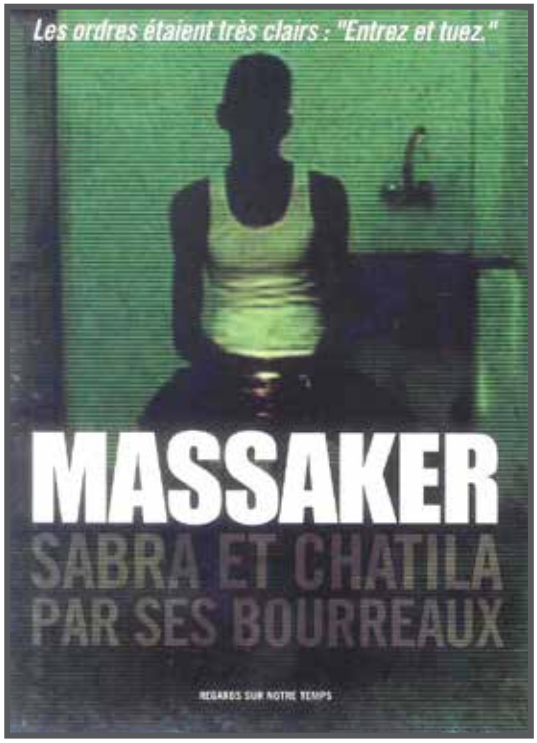

وثائقي «مساكر»

في ما يتعلق بالمكونات الداخلية، تقاتلت أحزاب - ميليشيات، إلى الجيش الذي شهدَ فترات من الانقسام. مسيحيًا كانت «الكتائب اللبنانية»، «القوات اللبنانية»، «تيار المردة»، «حراس الأرز» و«الوطنيون الأحرار»... ولدى السَّنة هناك «المرابطون» و«التنظيم الشعبي الناصري»، في مقابل «حركة أمل» و«حزب الله» عند الشيعة، و«الحزب التقدمي الاشتراكي» درزيًا. كذلك كانت أدوار لأحزاب ذات طابع قومي ويساري، كـ«السوري القومي الاجتماعي»، «البعث العربي» بفرعيه السوري والعراقي، «الشيوعي اللبناني» و«منظمة العمل الشيوعي».

تزامنًا، شكَّلت الحرب أرضية خصبة لتدخلات من الخارج، سياسية، عسكرية، أو مالية؛ في مقدِّمها سوريا، إسرائيل، الولايات المتحدة الأميركية، فرنسا، إيران (عبر «الحرس الثوري»)، العراق، ليبيا وسواها، إضافة إلى «منظمة التحرير الفلسطينية».

وتُرجمت التناقضات الإقليمية نِزالات على أرضنا. نذكر على سبيل المثال لا الحصر الصراع السوري - العراقي الذي تجلَّى في دعم الطرفين لقوى فلسطينية ولبنانية، كذلك المواجهة بين دمشق وحلفائها من جهة والفصائل الفلسطينية واليسار اللبناني من جهة أخرى. كما كان للتباين الليبي- المصري بصمته بتغذية طرابلس الغرب لبعض التنظيمات

الناصرية.[٩] وانعكس التنافس الإيراني - السوري حربًا شيعية بين «حزب الله» و«حركة أمل».[١٠]

تطرَّق المؤرخ كمال الصليبي إلى العامل الفلسطيني عام ١٩٨٨، فكتبَ أنها «حرب أهلية مرتبطة بنزاع بين اللبنانيين أنفسهم - وبدا ذلك أوضح من ذي قبل منذ ١٩٨٢، حين انتفت فعليًا المشاركة الفلسطينية في النزاعات الداخلية».[١١] الحضور الفلسطيني هذا سجَّل ما اعتُبر في مسار التأريخ بداية الحرب اللبنانية، وتجلَّى في «بوسطة» متجهة إلى مخيم تل الزعتر مرَّت في عين الرمانة فكان ما كان ذات أحدٍ في ١٣ نيسان ١٩٧٥. لكنه كان حاضرًا قبلًا، إذ وقع الصِدام الأول بين مسلحين فلسطينيين والجيش اللبناني عام ١٩٦٨ على خلفية تنفيذ الفصائل هجمات فدائية على إسرائيل انطلاقًا من الجنوب. وتلا ذلك محطات عدة مثل اتفاق القاهرة عام ١٩٦٩ وانتقال «منظمة التحرير الفلسطينية» إلى بيروت عام ١٩٧٠، وصولًا إلى مغادرتها إياها عام ١٩٨٢.

ما قبل الحرب... بذور جنينية للصراع وتراكمات تاريخية

لا يمكن سبر أغوار الحرب من دون الخوض في تاريخية المكونات التي تشكِّل الشعب اللبناني. ذلك أنَّ الوطن الحالي تبلورَ عبر أربعة قرون. فالحقبة التي تعاقبَ عليها الأمراء المعنيون ثم الشهابيون، وبعدها القائمقاميتان فالمتصرفية، هي التي أدت إلى تكوُّن لبنان بسكانه «المتعددي الأجناس والأديان» ضمن إطار بُنية إقطاعية ما لبثت أن أصبحت طائفية.[١٢] كأن الطائفية لصيقة بالبلد كتوأمه!

مهَّد احتضار الإمارة الشهابية الذي نضجَ مع الفتنة الطائفية بين المسيحيين والدروز وعزلِ الأمير بشير الثالث في ٢ كانون الثاني ١٨٤٢ لبزوغ نظام جديد قسَّم جبل لبنان

(٩) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، المتحف، ٢٠١٥، ج ١، ص ٢٢٥، ٢٢٩.

(١٠) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، أمم للتوثيق والابحاث، بيروت، ٢٠٢٣، ص ١١٧، ١١٩.

(١١) كمال الصليبي، **لبنان ومسألة الشرق الأوسط**، ترجمة وتقديم محمود شريح، دار نلسن، بيروت، ط١، ٢٠٢١، ص ١٠.

(١٢) إدمون رباط، **التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري**، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات القانونية - السياسية والإدارية، بيروت، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٣٦٣-٣٦٤.

إلى قائمقاميتين شمالية وجنوبية، الأولى بأكثرية مارونية وحُكم قائمقام من الطائفة نفسها، والثانية مختلطة وبإدارة قائمقام درزي؛[١٣] لكنهما كانتا مؤسِسَتين لنظام طائفي حملَ في جنباته بذور الفتنة[١٤] فوقعت اضطرابات أعقبتها تعديلات إدارية بإنشاء مجلس استشاري مختلط في كل منهما.[١٥] كانت ذروة الصِدامات الدرزية – المارونية عام ١٨٦٠، وقد تفشَّت عبر جبل لبنان، ثم بيروت ودمشق. وأعقبها إنزال فرنسي على الشواطئ أنهى القائمقاميتين، معيدًا الجبل إلى وحدته في نظام جديد هو المتصرفية بأُمرة حاكم مسيحي، ومباركة عثمانية وغطاء دولي.[١٦]

إذًا، قام الحُكم حينذاك على قاعدة طائفية محضة بين الموارنة، الروم الكاثوليك والأورثوذكس مسيحيًا؛ الدروز، السُنة والشيعة إسلاميًا.[١٧] ولا تزال تلك التوازنات بين الطوائف الست الكبرى تحكم حروب البلاد وسِلمها، وإن يكن في لبنان الحالي ١٨ طائفة تحظى باعتراف رسمي.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، قام انتدابٌ فرنسي بموجب تقسيمات سايكس – بيكو. وفي ١ أيلول ١٩٢٠ أعلن الجنرال هنري غورو دولة «لبنان الكبير» بعدما ألحقَ بجبل لبنان التاريخي مناطق جديدة جنوبًا، شرقًا وشمالًا، إلى الشريط الساحلي الذي كان يشكل القسم الأكبر من ولاية بيروت في العهد العثماني الأخير. وهكذا انضمَّت أراضٍ وتجمعات بشرية غاية في التنوع، وبصبغة إسلامية وازنة كانت ترتبط بسوريا بوِشاحَي الدين والعروبة؛ فاندمج، من دون انصهار، مساران متباينان، أقله منذ ما قبل قرنين. وظلت الدولة الوليدة بعد توسيعها على ما كانت عليه، «طائفية من حيث جوهرها الاجتماعي، ومذهبية من حيث حياتها السياسية».[١٨]

مع أنَّ الاستقلال عام ١٩٤٣ حملَ وعدًا مفترضًا بالقضاء على التباعد الطائفي، فإنَّ الحكومات

(١٣) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت، مطبعة القديس جاورجيوس، بيروت، ١٩٢٥، ج ١، ص ٤٣٢.

(١٤) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار للنشر، بيروت، ط ٧، ١٩٩٧، ص ٨٨.

(١٥) إدمون رباط، **التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري**، ج ١، ص ٣٣٢.

(١٦) محمد منذر، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول**، من النشأة حتى عام ١٩٥٩، أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ٢٠٢٣، ص ١٢٩.

(١٧) إدمون رباط، **التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري**، ج ١، ص ٢٠.

(١٨) إدمون رباط، **التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري**، ج ١، ص ٢٠.

اللبنانية لم تكن على قدر هذا الاستحقاق. فـ«الميثاق الوطني» الذي وضعَه بشارة الخوري ورياض الصلح لم يوحِّد مكونات الوطن وعجز عن إيجاد صيغة تعايش مُستدامة، بل جمَّع المذاهب في بوتقة أبقت على كوامن التناقضات مؤجِلةً انفجارها إلى آنٍ قريب أو بعيد.[١٩] وترسخَّ الطابع الطائفي للبلاد بعُرف أن يكون رئيس الجمهورية مارونيًا ويقود الحكومة سني ويتولى شيعي رئاسة مجلس النواب.[٢٠]

شهدت نهاية الخمسينيات خضّة عنيفة. ففي أواخر عهد كميل شمعون، وقعت إضرابات وتظاهرات وصِدامات تطوَّرت الى مواجهات مسلحة بدأت في ١٥ تموز ١٩٥٨ وكادت تتحول حربًا واسعة. استدعى الوضع المتوتر تدخلًا أميركيًا مباشرًا بإنزال مشاة البحرية «المارينز» عبر مرفأ بيروت. وطُويت الأزمة في ٢٥ تشرين الأول، وقضت تسوية بين واشنطن والقاهرة وبيروت بانتخاب شخصية مقبولة من الجميع للرئاسة، فكان فؤاد شهاب.[٢١] ويُلاحظ أنَّ مشهد الإنزال تكرر بعد ٩٨ سنة، من الفرنسي عام ١٨٦٠ إلى الأميركي عام ١٩٥٨، وبعده تدخلات خارجية كثيرة بصِيغ مختلفة.

كان في هذا «النزاع»، والتعبير للباحث مكرم رباح، «الإثبات الكافي على أنَّ التعايش في إطار النظام السياسي القائم ما عاد ممكنًا [...] إذ وجَد المسلمون (الدروز والسُّنة والشيعة) الميثاق [الوطني] جائرًا، غير مراع لشروط المساواة، لأنه أعطى للأقلية المارونية سطوة لا حدود لها على البلاد. ومن جهة أخرى، رأى الموارنة أنَّ موطنهم المسيحي كان مهددًا مِن قِبل عوامل متنوعة، وما عاد بالتالي مستديمًا، أو قابلًا للدوام في ظل شروط الميثاق». وبهذا كان الصراع عام ١٩٥٨ على «صلة مهمة بالحرب اللاحقة»،[٢٢] وليس عابرًا كما ظُنَّ حينها.

تراكمت بذور الحرب سياسيًا واقتصاديًا منذ منتصف الستينيات. تصاعد هدير الاضطرابات

(١٩) علي فتوني، **تاريخ لبنان الطائفي**، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص ١١١-١١٢.

(٢٠) ماجدة رماني، **الانتداب الفرنسي على لبنان ١٩٢٠-١٩٤٦**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستير، السنة الجامعية ٢٠١٥ – ٢٠١٦، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قطب شتمة، شعبة تاريخ، ص ٧٧.

(٢١) محمد منذر، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من النشأة حتى عام ١٩٥٩**، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢٢) مكرم رباح، **النزاع على جبل لبنان، الذاكرة الجماعية وحرب الجبل**، أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ط١، ٢٠٢٢، ص ١٥٨.

الاجتماعية في حراكات «الإتحاد العمالي العام»، الطلاب وعمال التبغ منذ عام ١٩٧٠ في مواجهة ما سمَّاه الباحث فواز طرابلسي «السُلطة المُستترة وشبه المقدسة للأوليغارشية التجارية - المالية»،[٢٣] وصولًا إلى تظاهرة الصيادين في صيدا يوم الأربعاء ٢٦ شباط ١٩٧٥ وإطلاق النار على المشاركين فيها وبينهم معروف سعد الذي أسلم الروح في ٦ آذار.

البلاد كانت تغلي، والانفجار تأخَّر قليلًا من احتجاجات صيدا على خلفية اتهام الجيش بتوجيه الرصاصة القاتلة إلى سعد[٢٤]... حتى كان ١٣ نيسان ١٩٧٥. تعدَّدت سرديات ما حدث في ذاك الأحد المشؤوم. لدى طرابلسي المُنتمي إلى «الحركة الوطنية اللبنانية»، أنه «أطلقَت سيارة مجهولة النار على تجمع لحزب الكتائب عند كنيسة عين الرمانة، وجرحت عددًا من الأهالي، ردَّ الكتائبيون على ذلك بعد ساعات بمجزرة في حق باص متوجه إلى مخيم تل الزعتر فقتلوا ٢١ فلسطينيًا، فانفجر القتال انطلاقًا من خط التماس بين الشياح وعين الرمانة».[٢٥] وهو حمَّل بتلك الأسطر القليلة المسؤولية كاملةً لـ«الكتائبيين». وفي المقابل، عند هؤلاء روايتهم المختلفة بالتفاصيل والأرقام. ووفق جوزف سعادة، العقل المدَّبر لمجزرة «السبت الأسود»، أنَّ قتيليْن من حزبه سقطا في إطلاق النار عند الكنيسة. وإذ أقرَّ بأنَّ عبور الفلسطينيين بعد نحو ساعتين كان «استفزازًا لا يُغتفَر بعد الحادث الصباحي»، أضافَ، بتجهيل الفاعل، أنه «أمام الكنيسة إياها أُطلقت النار على الباص»، ثم «تبادلَ الفلسطينيون والكتائبيون المسؤولية عن هذه المجزرة الافتتاحية. وإذ اختلفوا على المسؤولية عن الحادث اتفقوا على عدد القتلى: ٣١، ثم لم تلبث المسؤولية أنْ أُلقيت على عاتق عناصر مجهولة وغير منضبطة».[٢٦]

كم مرة منذ ذلك اليوم استمر القاتل – المجرم مجهولًا، غير منضبط ومُفلتًا من العقاب؟

استقطاب تصاعدي إلى غواية الحرب

منذ بدايتها، تمدَّدت الحرب كالنار في الهشيم ونمَت أذرُعها بسرعة، فبلغ عدد التنظيمات

(٢٣) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، طبعة مزيدة ومنقحة، تشرين الأول ٢٠٠٨، ص ٢٩٧.

(٢٤) علي حشيشو – آمال خليل، **معروف سعد... الحيّ في ذاكرة الصيداويين**، موقع الأخبار، ٦ آذار ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢٥ نيسان ٢٠٢٥، الساعة: ١١:١١.

(٢٥) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٢٦) جوزف سعادة، **أنا الضحية والجلاد أنا**، دار الجديد، بيروت، ط١، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨١-٨٢.

من حرب الجبل

اللبنانية المتقاتلة في عامها الأول ٢٩، بعديد من ٢٠٠ ألف عنصر. وتضخَّم انتشار الميليشيات مع توسَّع القتال والجذْب إليه حتى أُحصي عشية الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ وجود ٢٦٠ فصيلًا مسلحًا قُبِل فيها من كان عمره يتراوح بين ١٢ و٥٠ سنة.[٢٧] وبينها ما كان موجودًا منذ عام ١٩٥٧.[٢٨]

وفي الإجمال عادَ الانخراط في هذه الكيانات المسلحة التي خاضت حقبات الحرب المختلفة - منذ دخول «البوسطة» عين الرمانة إلى سائر محطات مقتلة الخمسة عشرة عامًا - إلى عوامل اجتماعية، اقتصادية، دينية، قومية وأيديولوجية.

من خصوصيات لبنان أنَّ مواطنيه يُعرِّفون بطوائفهم. وفي دراسة إحصائية لعينة من ٣٥٢ مقاتلًا شابًا في الحرب من مختلف الأطراف باستثناء «حزب الله» عنوانها «بالروح بالدم...»، أنَّ تجنيد المسيحيين ارتبط بانتشار السلاح الفلسطيني عام ١٩٧٥، الاجتياح الاسرائيلي واغتيال بشير الجميّل بُعمر ٣٥ سنة عام ١٩٨٢، وصولًا إلى حرب الجبل والتهجير الجماعي عام ١٩٨٣. أما استقطاب السُنة فكان خلال حرب السنتين بين عامَي ١٩٧٥ و١٩٧٦ والغزو الإسرائيلي الأول عام ١٩٧٨. ونشط لدى الشيعة بعد إخفاء الإمام موسى الصدر وقيام الثورة الإسلامية في إيران أواخر السبعينيات وبلغ أوجه مطلع الثمانينيات. وكانت التعبئة الدرزية مطلع الحرب وفي مختلف مراحلها.[٢٩]

للمشاركة الشبابية في القتال أشكال متعددة، من تدريبية إلى عسكرية ولوجيستية،

(٢٧) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، ٢٠١٥، ج ٢، ص ١٣٨١-١٣٨٢.

(٢٨) مكرم رباح، **النزاع على جبل لبنان، الذاكرة الجماعية وحرب الجبل**، ص ١٥٨.

(٢٩) **بالروح بالدم... دراسة احصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ديوان الذاكرة اللبنانية [١]، أمم للتوثيق والابحاث، بيروت، ٢٠١٠، ص ٣٤.

وشـملت تنفيـذ هجمـات انتحاريـة. ففـي تقريـر أعدَّتـه الخبيـرة غراسـا ماشـيل عـام ١٩٩٦ بتكليـف مـن الأمانـة العامـة للأمـم المتحـدة أنَّـه «فـي لبنـان وسـري لانـكا، مثـلًا، اسـتغلَّ بعـض الأشـخاص البالغيـن عـدم نضـج الشـباب لمصلحتهـم، فقامـوا بتجنيـد المراهقيـن لتدريبهـم علـى عمليـات التفجيـر الانتحاريـة».[٣٠]

«تعتير»، إحباط طبقي وتسلح انتقامًا

الأسـباب الاجتماعيـة لانخـراط الشـبان فـي التقاتـل متعـددة، معقـدة ومتداخلـة مـع سـواها. إذ وصَـف طرابلسـي تركيبـة لبنـان عشـية انفجـار عـام ١٩٧٥ بأنهـا بُنيـة مـن الامتيـازات والفروقـات الطبقيـة.[٣١] شـعر كثيـرون ممـن انتمـوا إلـى جماعـة أو بيئـة مهمشـة، أو اعتبـرت نفسـها كذلـك، أنهـم مغيّبـون ومقصيـون. ولَّـد ذلـك لـدى الشـباب حقـدًا علـى الدولـة والفئـات الأخـرى فـي

(٣٠) **تعزيز حقوق الأطفال وحمايتها أثر النزاع المسلح على الأطفال**، الجمعية العامة، الأمم المتحدة، موقع وثائق الأمم المتحدة، ١٦ آب ١٩٩٦، تاريخ الدخول: ١١ أيار ٢٠٢٥، الساعة ١٥:٢٣.

(٣١) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٢٨٧.

الوطـن، فاندفـع بعضُهـم مـن أبنـاء الطبقتيـن الفقيـرة والمتوسـطة إلـى الحـرب بخلفيـة رفـض النظـام الـذي عـدّوه مكرِّسًـا للظلـم الاجتماعـي.

استنتجت الصحافيـة مـي ضاهـر يعقـوب مـن تنقلاتهـا بيـن الكرنتينـا والنبعـة، الجبـل والضاحيـة الجنوبيـة أنَّ أسـباب الحـرب لـم تكـن طائفيـة فحسـب، إذ «لـم أكـن أرى غيـر البـؤس والتعتيـر [...]».[٣٢]

تزامنًـا، أصـاب الانهيـار قطـاع التعليـم، خصوصًـا الرسـمي منـه. فأغلـق الكثيـر مـن المـدارس الخاصـة والرسـمية، وعُبـث بمحتوياتهـا ونُهبـت، أو احتُلـت ودُمـرت.[٣٣] وأحـدثَ تغييـب الفـرص التعليميـة فراغًـا أمـام الشـبان سـعوا إلـى ملئـه بالتحـزُّب والتسـلح.

ثـم فاقمـت الحـرب، فـي بدايتهـا وباقـي أيامهـا الطويلـة، النزوحـات الداخليـة، والتصـقَ التهجيـر بقـوة بالطروحـات الطائفيـة والسياسـية للقـوى المتقاتلـة وأهدافهـا البعيـدة، خادمًـا اسـتراتيجيات مسـتقبلية هدفُهـا الفـرز وإقامـة الكانتونـات. فانتسـبَ شـبان نازحـون إلـى الأحـزاب المتصارعـة ممـا أنتـجَ أحيانًـا تنافـرًا مـع السـكان «الأصليين» المتباينيـن معهـم دينيًـا أو سياسـيًا واجتماعيًا.[٣٤]

كمـا أنَّ العديـد مـن الشـبان تسـلَّحوا بعـد مقتـل أحبـة، فـي محـرِّك عاطفـي مقتـرن غالبًـا بعـدم وجـود قنـوات قانونيـة لتحقيـق العدالـة مـن دون عنـف. ورَدَ فـي «بالـروح بالـدم...»، أنَّ ٧٦,٨ فـي المئـة مـن المسـتطلعين خسـروا صديقًـا، قريبًـا أو جـارًا فـي الحـرب، الأمـر الـذي سـاهم بشـكل أو بآخـر فـي انخراطهـم فيهـا؛ ٥٨,٥ فـي المئـة منهـم فَقـدوا آباءهـم فـي المعـارك قبـل مشـاركتهم فيهـا و٤٨,٣ فـي المئـة قُتـل لهـم أخ لهـم سـبَق تجنُّدهـم. و٤,٢ فـي المئـة حملـوا السـلاح بدافـع الانتقـام.[٣٥]

تأثـر آخـرون بالمحيـط فـي الانجـراف نحـو العنـف. فـ٨٨,٥ فـي المئـة قالـوا إنَّ أحـد أفـراد عائلاتهـم تـورَّط فـي الحـرب. شـكَّل الذيـن قاتـل آباؤهـم قبـلًا ٢٣ فـي المئـة، كمـا أشـار ٤٩,٢ فـي المئـة منهـم إلـى دخولهـم المعـارك بعـد شـقيق لهـم أو تزامنًـا معـه. وتأثـر البعـض بالجيـران، الأصدقـاء والأقـارب، فـ٥٧,٢ فـي المئـة مـن المسـتطلعين أفـادوا بـأنَّ تجنيـد هـؤلاء كان سـابقًا

(٣٢) مي ضاهر يعقوب، **صحافية بثياب الميدان فصول من الحرب الأهلية والمفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية**، المطبعة البوليسية، جونيه، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، آذار ٢٠١٠، ص ٤٣.

(٣٣) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، ج ٢، ص ١٢٠١.

(٣٤) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، ج ٢، ص ١٢٤٦، ١٣٤٤.

(٣٥) **بالروح بالدم... دراسة احصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٢٢-٢٣، ٨٦.

لهم. وجاءت النسبة المئوية الأعلى عند «حركة أمل» بـ٧٥ في المئة، ثم أحزاب «الشيوعي اللبناني» بـ٦٣,٣ في المئة، فـ«التقدمي الاشتراكي» بـ٥٩,١ في المئة و«الكتائب اللبنانية» بـ٥٦ في المئة.[٣٦]

الحرب مصدر استرزاق

شهدت فترة السبعينيات تراجعًا في مستوى معيشة قسم كبير من اللبنانيين نتيجة غياب الاستثمارات في القطاعات الإنتاجية وارتفاع معدلات التضخم. وقبل عقد من انفجار شرارة ١٣ نيسان، كان شبان جنوبيون كثر انضموا منذ عام ١٩٦٥ إلى الفضائل الفلسطينية على خلفيات مالية لتقاضي رواتب ثابتة.[٣٧] ومع تفكك الدولة في الحرب، وما رافقه من انهيار البُنى الاقتصادية وصعود نِسَب البطالة بين الشباب، اندفع قسم كبير منهم إلى ركب التسلح للتكسُّب.[٣٨] وأنشأت الميليشيات اقتصادات سياسية موازية وظَّفت فيها شُبانها، كما سيرد بالتفصيل في الفصل التالي.

في دراسة «بالروح بالدم...»، خاض ٥٣,٨ في المئة الحرب مقابل بدَل. وكانت النسبة الأعلى لأتباع «حركة أمل» بـ٦١,٥ في المئة، ثم «الحزب الشيوعي اللبناني» مع ٦٠ في المئة، والأدنى لدى «الحزب التقدمي الاشتراكي» بـ٢٢,٢ في المئة.[٣٩]

على الموقع الإلكتروني لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية وثيقة من ٣٨ صفحة بعنوان «دليل الميليشيات اللبنانية» أعدها مكتب تحليل الشرق الأدنى وجنوب آسيا وصُرِّح بنشرها في ١٦ حزيران ٢٠٠٩ والمعلومات فيها توقفت عند ١٥ نيسان ١٩٨٤، وفيها ذكرٌ للعائد المادي الذي تقاضاه مسلحون شبان. فعلى سبيل المثال، خُفِّضت في تشرين الأول ١٩٨٣ مخصصات المقاتل في «أمل» من ٧٠٠ أو ٨٠٠ ليرة لبنانية شهريًا أو ما يعادل ١٤٠ أو ١٦٠ دولارًا أميركيًا، إلى ٣٠٠ ليرة ووجبة يوميًا بدلًا من اثنتين. والفارق صارخٌ بين ما حصل عليه عناصر الحركة بالمقارنة مع المنضوين تحت راية العمالة لإسرائيل. ففي المصدر نفسه أنَّ المجنَّد في

(٣٦) **بالروح بالدم... دراسة احصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٢٦-٢٨.

(٣٧) توفيق المديني، **أمل وحزب الله في لعبة المجابهات المحليّة والإقليمية**، مخطوطة غير منشورة، ص ١٣.

(٣٨) عدنان فحص، **الحرب اللبنانية (أسباب ونتائج)**، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ص ٩٤.

(٣٩) **بالروح بالدم.. دراسة احصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٢٩-٣٠.

«جيش لبنان الجنوبي» تقاضى ١٧٠٠ ليرة شهريًا، ما كان يوازي ٣٤٠ دولارًا،[٤٠] على خلفية الضخ المالي الإسرائيلي، المعلن والمستتر، في الاقتصاد اللبناني تحت الاحتلال.

تهديد وجودي... الجميع على حق!

كما ورَد سابقًا، أنتجَ النظام السياسي اختلالًا طائفيًا متفاقمًا وفشلَ في بناء مُواطنة جامعة وتقاسم عادل للسُلطة، مُراكِمًا احتقانًا أوصل إلى الحرب.

في بحث ميداني شملَ ٤٧٠ طالبًا في شباط ١٩٧٥ في الجامعات «الأميركية في بيروت»، «القديس يوسف»، «بيروت العربية» و«اللبنانية»، ناهضَ أغلب المسلمين «سيطرة» المسيحيين على الحكم، بينما دافع معظم هؤلاء عن التركيبة القائمة.[٤١] وعلى تلك الخلفية، تجنَّد شبان هنا وهناك بعد أشهر.

في تقرير لموقع «رصيف ٢٢»،[٤٢] برَّر بيار ناصيف المولود عام ١٩٥٩ حمله للسلاح مع «الكتائب اللبنانية» من دون تدريب، هو الذي أصيب في ظهره وتعرَض للشلل، بأنَّ ما جرى لم يكن نزاعًا أهليًا، بل حربًا «وجودية» مع «فلسطينيين غُزاة». قال: «أنا لم أرَ الآخر كعدو، بل جعلني عدوه، [...] لأنها كانت معركة وطن ومصير وكرامة. فالآخر هو الذي اعتدى على بلدي [...]». وروى رودولف كرم الذي كان في «الكتائب اللبنانية» ثم «القوات اللبنانية – فرع إيلي حبيقة»: «عندما تشاهد كل هذا الخوف من حولك وأنت في مرحلة الطفولة، [...] فإنك ستندمج أوتوماتيكيًا في الجو العسكري [...]. الآخر كان عدوي وكنت مقتنعاً ١٠٠٪ بأنني أحافظ على وجودي [...]».

في المعسكر المقابل، قاتل عباس ضيا[٤٣] في حروب «حركة أمل» مع «حزب الله»،

(٤٠) **Directory of Lebanese Militias**, Directorate of Intelligence, cia.gov, approved for release 16 June 2009, accessed on 1 May 2025, time: 15:01

(٤١) عدنان الأمين، **الشباب اللبناني وطيات السياسة: العلاقات الخطرة، المشاركة السياسية والشباب في العالم العربي الخيارات المتعثرة وأفق التغيير – عمل جماعي**، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٥٥.

(٤٢) فراس حمية، **تجارب أربعة مقاتلين في الحرب الأهلية اللبنانية. ما الذي يقولونه اليوم؟**، موقع رصيف ٢٢، ١٩ نيسان ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ٥ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ٨:٢٠.

(٤٣) فراس حمية، **تجارب أربعة مقاتلين في الحرب الأهلية اللبنانية. ما الذي يقولونه اليوم؟**، موقع رصيف ٢٢، ١٩ نيسان ٢٠١٦.

الفلسطينيين، أحزاب «البعث العراقي»، «الشيوعي اللبناني»، «القوات اللبنانية»، «الكتائب اللبنانية»، «المرابطون»، و«جيش ميشال عون» كما سمّاه، وتعرَّض لجروح سببت له خللًا في مشيه. تسلَّح لعناوين سياسية مثل «أنْ نربط بيروت بالجنوب عبر الطريق الساحلي مرورًا بصيدا، وإسقاط اتفاقية ١٧ أيار ١٩٨٣، اتفاقية العار التي كانت تنص على السلام بين لبنان وإسرائيل. كنت أرى الآخر عدوًا، وكنا أصحاب حق ومبدأ، وما زلنا [...]».

إذًا كان العامل الوجودي المتمثل بشعار «الدفاع عن النفس»، جامعًا للانخراط عند معظم الأطراف المتصارعة، كما طهارة الذات وتبرئتها ولوم «العدو». قال النائب الحالي عن «الحزب التقدمي الاشتراكي» أكرم شهيب، وكان عنده ٢٨ سنة عام ١٩٧٥: «كنت أسعى في مراحل دفاع عن النفس. هذا كان دوري وكنتُ مثل الجميع أعتبر أنني كنت على حق والآخر على خطأ».[٤٤] ووفق النائب السابق نجاح واكيم الذي يقاربه عمرًا، أنَّ «التنظيم الناصري - اتحاد قوى الشعب العامل»، «اضطر» إلى «امتلاك السلاح على قدر إمكاناته دفاعًا عن نفسه والمواطنين الذين عانوا غياب السلطة». وأقرَّ رئيس «حزب النجادة» عدنان الحكيم في آب ١٩٧٥ بوجود ٣٠٠ عنصر مدرَّب للدفاع عن النفس. وربط رئيس الرابطة المارونية شاكر أبو سليمان التسلح دفاعًا عن النفس بتقهقر الدولة.[٤٥] وكان أسعد شفتري طالب هندسة في العشرين من عمره حين اندلعت الحرب وبدت له صائبة أخلاقيًا ودفاعًا عن النفس.[٤٦]

(٤٤) كريستين حبيب، «**الحرب نائمة فلا توقظوها**»... **نصفُ قرنٍ على «نيسان» لبنان**، موقع الشرق الأوسط، ١٢ نيسان ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ١١ ايار ٢٠٢٥، الساعة: ١٠:٠٦.

(٤٥) مي ضاهر يعقوب، **صحافية بثياب الميدان فصول من الحرب الأهلية والمفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية**، ص ٥٠، ٥٢-٥٣.

(٤٦) Sawssan Abou-Zahr, **A religious fanatic turned peace advocate**, peaceinsight, 10 November 2014, accessed on 11 May 2025, time: 16:19

في «بالروح بالدم...» بلغت نسب تجنيد الشبان تحت هذا العنوان ٣٢,٨ في المئة؛ وعند الأحزاب كما يلي: «الكتائب اللبنانية» ٣٥,٢ في المئة، «القوات اللبنانية» ٢٥,٢ في المئة، «التقدمي الاشتراكي» ٣٠,٦ في المئة و«حركة أمل» ٢٤ في المئة.[٤٧]

الدين يحارب الدين

بين عامَي ١٩٧٠ و١٩٧١، أجريت ثلاثة استقصاءات ميدانية لطلاب جامعيين عن اتجاهاتهم السياسية فتبيَّن أنها محددة بانتماءاتهم الطائفية والدينية.[٤٨]

شيعيًا، كانت «حركة أمل» التي أسّسها الصدر، ثم «حزب الله» بامتداد ودعم إيرانيين. وظهرت فصائل سنية تأثرت بفكر «الإخوان المسلمين» والسلفية. ووفَّرت الجماعات الإسلامية غطاء لانخراط الشبان في الحرب تحت عناوين الدفاع عن الدين، أو المستضعفين والثورة على الظلم وسوى ذلك. أما أحزاب «الجبهة اللبنانية» فرفعت راية حماية الوجود المسيحي المهدَّد برأيها.

في دراسة «بالروح بالدم...»، قاتل ٥٦ في المئة من الشبان لأسباب دينية. كانت النسبة ٦٣ في المئة لدى «الكتائب اللبنانية»، ثم «القوات اللبنانية» بـ٥٩,١ في المئة، وعند «الحزب التقدمي الاشتراكي» ٥٥,٦ في المئة و«حركة أمل» ٥٢,١ في المئة.[٤٩]

دخلَ شفتري مثلًا الحرب متأثرًا بأفكار مسبقة عن المسلمين وكونهم مواطنين من الدرجة الثانية، كما «تعلَّم كراهية الفلسطينيين»، وآمنَ أنَّه بقتال الطرفين كان يدافع عن «البابا، المسيح، والقضية» ولذلك استمرَّ بالمشاركة في قداس الأحد.[٥٠]

العروبة مقابل «اللبنانية»

كذلك كانت الأفكار اليسارية دافعًا لكثير من الشبان والشابات إلى الحرب التي قُدِّمت

(٤٧) **بالروح بالدم... دراسة احصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٢٦، ١١٩.

(٤٨) عدنان الأمين، **الشباب اللبناني وطيات السياسة: العلاقات الخطرة، المشاركة السياسية والشباب في العالم العربي الخيارات المتعثرة وأفق التغيير – عمل جماعي**، ص ٥٤.

(٤٩) **بالروح بالدم... دراسة احصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٢٢، ٢٦.

(٥٠) Sawssan Abou-Zahr, **A religious fanatic turned peace advocate**, peaceinsight, 10 November 2014.

على أنها جزء من نضال طبقي عالمي ومواجهة مع الأنظمة المُسمّاة رجعية وامبريالية. وتقاطعت تلك البواعث مع القضية الفلسطينية. فكان يُنظر إلى القتال تحت رايتها كواجب قومي لا طائفي، واستعانت أحزاب لبنانية بخبراء فلسطينيين لتدريب شبابها. واشتدَّ على تلك الخلفية الانشطار بشأن هوية البلاد بين مَن ربطها بالعروبة - وتحرير فلسطين قضيتها الأولى - والذين اعتبروها قومية محلية خاصة وخالصة.

جاء في استفتاء في نيسان عام ١٩٦٧ شمل طلابًا في ست مدارس متنوعة بين مسيحية وإسلامية ورسمية، أنَّ المسلمين ذوو اتجاهات «عربية» بينما المسيحيون أصحاب رؤى «لبنانية». [٥١]

في الحرب، وفق «بالروح بالدم...»، قال ٥٥ في المئة من الشيوعيين إنَّ قتالهم كان لأسباب أيديولوجية.[٥٢] رأى محسن إبراهيم الذي كان أمينًا عامًا لـ«منظمة العمل الشيوعي» أنه كان من حق «الحركة الوطنية» التسلح دفاعًا عن المطالب الشعبية بالتغيير الديموقراطي في مواجهة ما سمّاه عنف اليمين، فـ«لبنان الذي نناضل من أجله هو [...] الوطني العربي المنخرط في الصراع القومي الشامل مع اسرائيل». وكذلك ذكرَ واكيم أنَّ «التنظيم الناصري - اتحاد قوى الشعب العامل» دافع عن «عروبة لبنان».[٥٣]

بهذا الخطاب عبَّأت الأحزاب اليسارية أنصارها في المراحل الأولى من الحرب، قبل تراجعها مع طغيان الواقع الطائفي وتعقد النزاع خصوصًا بعد الاجتياح الإسرائيلي. فكثير من الشبان وجدوا أنفسهم لاحقًا في أتون صراعات مذهبية بحكم التداخل مناطقيًا وضمن الجماعة الدينية نفسها.[٥٤]

في المقابل، جاء السلاح لدى «الرابطة المارونية» ردًا على «التجاوزات» باسم القضية الفلسطينية. وكان من شعارات «حزب حراس الأرز» أنَّه «على كل لبناني أنْ يقتلَ فلسطينيًا» و«لن يبقى غريب على أرض لبنان»، ذلك أنَّ «هوية لبنان هي لبنان فقط. وتاريخ لبنان الحقيقي لم يُكتب

(٥١) عدنان الأمين، **الشباب اللبناني وطيات السياسة: العلاقات الخطرة، المشاركة السياسية والشباب في العالم العربي الخيارات المتعثرة وأفق التغيير – عمل جماعي**، ص ٥٤.

(٥٢) **بالروح بالدم... دراسة احصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٢٢، ٣٤.

(٥٣) مي ضاهر يعقوب، **صحافية بثياب الميدان فصول من الحرب الأهلية والمفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية**، ص ٥٣.

(٥٤) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ٨٣.

بعد وكل التاريخ الذي يعلَّم في المدارس هو مزور. ثُلثا حضارة العالم من لبنان الكبير... العروبة، هي حركة تأخرية ولبنان ليس عربيًا... وتدعو الجبهة إلى إلغاء الأدب العربي من الكتب المدرسية ودراسة الأدب اللبناني والعالمي. [...] كل من هو غير لبناني يعتبر غريبًا». (٥٥)

أضِف أنَّ التعريف المبهم لـ«الميثاق الوطني» للبنان بأنَّ «لغته عربية وهو جزء من العالم العربي ذو طابع عربي»، فهِمَه قسمٌ من المسيحيين على أنه اعتراف مباشر بالقومية اللبنانية أو الخصوصية اللبنانية.(٥٦)

اللا عنف... الحوار يواجه السلاح

وفي موازاة العنف، قرَّر شبابٌ منذ اليوم الأول الابتعاد عن الحرب ونبذوا السلاح، فكان بينهم من أنشأوا منظمات مدنية لبناء جسور الحوار والتقارب من منطلق الإيمان بالمواطَنة الجامعة، برغم الاختلافات، والاقتناع بعدم صوابية الاقتتال الداخلي. وقد تلاقوا في سلسلة نشاطات ولقاءات كان فيها ما هو فكري وأحيانًا رياضي. ولم يكتفِ الناشطون بالاجتماع في ما بينهم بل تحركوا، قدر المستطاع، نحو سياسيين للضغط عليهم لإنهاء المقتلة. ففي أيلول ١٩٨٨ سلَّم وفد يمثِّل «شبان وأطفال لبنان» نائب رئيس مجلس النواب حينذاك ألبير مخيبر رسالة تشدِّد على «وجوب طي صفحة الحرب، وعلى التعاون والتسامح والمحبة للوصول إلى ما يسمى باللاحرب».(٥٧)

في شهادة عن خيار نبذ العنف، كانت مقابلة لغايات هذا البحث مع الخبير في بناء السلام والأمن الإنساني فادي أبي علام الذي كان في السابعة عشرة من العمر عام ١٩٨٢، والاجتياح الإسرائيلي آنذاك سببٌ لتسلح واسع في جبل لبنان. قال: «نعم حملت سلاحًا، كما رفاقي، لكنني كنتُ أضعُ كتبًا في جعبتي بدل الذخيرة رفضًا للحرب». وعزا موقفه المخالف للسائد آنذاك إلى عوامل أُسَرية مثل انفتاح والده بحكم عمله في تجارة الماشية في رمحالا على دروز القرية والجوار حتى أنه أدخله مدرسة درزية لا مسيحية، وتاليًا لم يرَ نجله اليافع عدوًا في الدروز حين تقاتل الجميع على الهوية. وأضاف: «لم يدم السلاح

(٥٥) مي ضاهر يعقوب، **صحافية بثياب الميدان فصول من الحرب الأهلية والمفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية**، ص٤٤، ٥٢، ٥٤.

(٥٦) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، ج ١، ص ٥٤١.

(٥٧) **مخيبر يلتقي عشرة نواب ويتسلم رسالة «فرح العطاء»**، السفير، العدد ٥٠٦٦، ٣ أيلول ١٩٨٨، ص ٤.

في يدي إذ اخترتُ كتبي واعتبرتُه مجرد قطعة حديد لن تستعبدني». مرة جديدة أنقذته العائلة من الحرب إذ ساهم شقيقه المغترب في المملكة العربية السعودية في إرساله إلى جامعة خاصة في «[بيروت] الشرقية» حيث أسس مع شبان مجموعة مدنية تحوَّلت لاحقًا إلى «حركة السلام الدائم» التي صارت «هوية وقضية» له، ولا تزال. وضغطًا لوقف التقاتل، شاركَ ورفاقه في اعتصامات طلابية ومعظم الحراكات السلمية بين ضفتَي العاصمة، وكذلك في إغاثة النازحين، وامتدَّت النشاطات اللا عنفية إلى جامعات أخرى قبل أنْ تعاود بيروت الانفتاح على نفسها.[٥٨]

ولم تخلُ الصحف مِن أنباء تظاهرات من قبيل التي أشار إليها أبي علام لمواجهة العنف وما رافقه من انهيار اقتصادي واجتماعي، وبينها ما نُظِّم في أحد شطري المدينة أو كان جامعًا بينهما. فعلى سبيل المثال لا الحصر في ١٧ تموز ١٩٨٦ جالت مسيرة شعبية ونقابية في «بيروت الغربية» و«تحوَّلت إلى مهرجان شعبي ضد الحرب والجوع».[٥٩] وفي ما وُصف بـ«يوم أبيض» عداءً للحرب في ٢٠ آب ١٩٨٧، شكَّل مئات من اللبنانيين واللبنانيات من جيل الشباب سلسلة بشرية من الأشرفية إلى الصنائع مرورًا بخط التماس عند المتحف – كورنيش المزرعة. [٦٠]

كذلك وقفت إيمان خليفة التي لم تتجاوز العشرين عامًا عام ١٩٧٥ في وجه العنف حتى صحَّ وصفها بـ«داعية الانتفاضة الشعبية الأولى والصوت الصارخ للسلم الأهلي» بدعوتها «الصامتين في منازلهم» إلى مسيرة في ٦ أيار ١٩٨٤ لإنهاء الحرب. غير أنَّ اشتداد القصف بين البيروتَيْن أجهضَ التظاهرة التي كان يُتوقع أن يشارك فيها مئة ألف شخص. وإذا كانت سطوة السلاح مَنعتها من حشد مواطنيها ومواطناتها في الشارع، فإنَّها جمعت ١٨٠٣٣ توقيعًا على «ميثاق للسلام بين اللبنانيين». ووجدَ حراكُها صدى في الخارج أعلى من الداخل، فمُنحت في ٦ كانون الأول من العام نفسه «جائزة السلام للأكثرية الصامتة» في مقر البرلمان السويدي.[٦١]

(٥٨) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع فادي أبي علام في ١٣ أيار ٢٠٢٥.

(٥٩) «**ضد الحرب وضد الجوع التظاهر منو ممنوع**»، السفير، العدد ٤٣٥٩، ١٨ تموز ١٩٨٦، ص ٦.

(٦٠) **مواطنون من الشرقية والغربية يلتقون في تظاهرة عداء للحرب الأهلية**، السفير، العدد ٤٧٤١، ٢١ آب ١٩٨٧، ص ٥.

(٦١) نادر سراج، **إيمان خليفة ... سيرة اللاعنف في حياة شابة لبنانية**، موقع باحثات، ٨ شباط ٢٠٠٦، تاريخ الدخول: ٧ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٥٣.

كما نشطت «حركة اللاعنف» بين ضفتَي العاصمة في منتصف الثمانينيات للتثقيف على المفهوم الذي أثمر في نضالات المهاتما غاندي في الهند ومارتن لوثر كينغ في الولايات المتحدة. والأهم الإضاءة على مبادرات ميدانية بسيطة في لبنان قامت بها «نساء عاديات» مثل «عاملات المياومة» اللواتي قرّرنَ ارتداء ملابس بيض في يوم واحد، رفضًا لسردية الأحزاب في تصوير التقاتل دفاعًا عن «الرعايا»[٦٢] أو «النفس» كما ورد سابقًا. ومن الوجوه الشابة البارزة فيها حينذاك عفيفة السيّد.

وقالت الأخيرة، وهي ناشطة اجتماعية وسياسية، في مقابلة لغايات هذا البحث إنها رفضَت حمل السلاح، وكذلك البقاء «متفرجة على بلدي يحترق»، إما بالتقوقع في منزلها أو مغادرة البلاد، فكانَ خيارُها المساهمة، مهما كانت ضئيلة، في التصدي للحرب «التي لم تكن محقة» لأنَّ «أكبر نزاع يمكن حله بالحوار». غير أنَّ الأمر كان «كمطاردة وهم، أي الأمل بوقف الحرب بالطرق اللاعنفية ومواجهة العنف باللاعنف». والمفارقة أنَّ اللاعنف يُجابه غالبًا بالتهديد والخطر على السلامة الشخصية. مع ذلك، أمضت السيّد مع رفيقات ورفاق أيامًا وليالي في «التخطيط لتحركات ومسيرات تجمعُ المنطقتين المنقسمتين في نشاطات مشتركة [...]. ما قمنا به كان ذا جدوى في حينه في ترسيخ مفهوم النضال اللاعنفي واستبدال السلاح بالحوار لحل النزاعات. صحيح أنه لم يوقف الحرب، غير أنه أوصلَ صوت الفئة الأكبر من الشعب اللبناني التي كانت ترفض الحرب وأسكتها الرصاص».[٦٣]

(٦٢) جنى مراد، **التعامل مع الماضي، ذكريات من أجل المستقبل إحياء قصص بطلات غير مكرّمات**، المعهد العربي للمرأة، الجامعة اللبنانية الأميركية، ص ٢٥.

(٦٣) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع عفيفة السيّد في ١٢ أيار ٢٠٢٥.

الفصل الثاني: مَن قاتل مَن

جرفت الحرب معظم الطوائف في سيولها وشطَرت الجيش أفقيًا وعموديًا على أسس مذهبية مرتبطة بالصراع السياسي المحلي والإقليمي.

اعتبر الكاتب كمال حمدان أنّها مرّت بمرحلتَين ارتبطتا بتطوّر موازين القوى. في الأولى أصبح العنف مشرّعًا ودائمًا، بسيطرة طائفيّة ضمن النطاق المُقتطع، ولكن من دون إعلان قيام دولة جديدة. وفي الثانية باتَ التقاتل حالة خاصّة في قلب المناطق المختلفة، وكلٌ منها مسرحٌ لصراعات على السُلطة والتفتّت على أسس داخليّة تخصّ كلّ طائفة بذاتها، ولا تتعلّق بالنزاع الأوسع بين الجميع.[١]

ميليشيات الطوائف والعقائد

شهدت الحرب ثلاثة نماذج ميليشياوية. الأول دافع عن شارع أو حيّ، بصيغة «اتحاد قبضايات» كـ«المرابطون» و«الوطنيون الأحرار».[٢] ثانيًا كانت الميليشيات المناطقيّة، وأبرزها «القوّات اللبنانيّة»، «حركة أمل» و«الحزب التقدّمي الاشتراكي»؛ وهدفها بناء بقعة خاضعة لها كليًا. وهي انتهجت عنفًا استند إلى نوعين من التشكيلات العسكريّة، الأوّل مجموعات صغيرة تدخّلت عند الحواجز، والثاني وحدات مركزيّة اهتمَّت بالأمن والأسلحة الثّقيلة كالمدفعيّة، تحركت خارج الأحياء، وإنْ ضمن حدود نفوذها. أمّا النموذج الثالث للميليشيات، فكان المُطلق وتجاوز الفواصل المناطقيّة لبناء دولة بديلة، سواء ذات طابع دينيّ كـ«حزب الله»، أو عسكريّ كما حاول عون.[٣]

(١) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٧٤.

(٢) بول أشقر، **نصفُ قرنٍ وخمسون تلوينة صندوق فرجة الحرب**، موقع ميغافون، ١٣ نيسان ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٢٩ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١١:٤٥.

(٣) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ١٧٤-١٧٥.

كان تجنيد الميليشيات كبيرًا بالمقارنة بعديد الجيش اللبناني. في تقرير لصحيفة «النيويورك تايمز» الأميركية نُشر عام ١٩٨١ عرضٌ لِمن كانوا الأكثر انخراطًا في الحرب حينذاك مع تقدير الحضور البشري والعسكري. وفيه أنَّ «ميليشيا "الكتائب" المارونية، مع بعض الحلفاء الأصغر حجمًا، [كانت] تملك قوة جاهزة من عشرة آلاف [مقاتل] زاعمةً قدرتها على استقطاب ٤٠ ألف رجل. وتبدأ الميليشيات اليسارية، "المرابطون" في المقام الأول [ثم] الحزب السوري القومي الاجتماعي وأنصار آل جنبلاط، ومعظمهم من الدروز، مِن قاعدة سبعة آلاف [مسلح]. الفلسطينيون بفصائلهم المتعددة لديهم قوة جاهزة من ٢٠ ألفًا [...] يأملون في رفعها إلى مجموع ٥٠ ألفًا [...] أما الميليشيا الحدودية المدعومة اسرائيليًا والتابعة للرائد سعد حدّاد، الضابط الماروني المطرود الذي [كان] يهدد من حين إلى آخر بتدمير صيدا إذا لم يتلقَّ رجاله دفعةً من خمسة ملايين دولار [خُوّة]، ففي مجموعها ألفا عنصر. لدى "أمل"، الميليشيا المسلمة الشيعية المرتبطة باليسار عمومًا، ألف رجل، كذلك الزعيم الشمالي سليمان فرنجية الذي يكنُّ العداء للكتائب الذين قتلوا نجله»[٤] طوني وأسرته في ١٣ حزيران ١٩٧٨ في إهدن.

وفي التقرير نفسه أنَّ الحرب خيضت بالدرجة الأولى بالبنادق الآلية وقاذفات الصواريخ. وعام ١٩٨١ كان في حوزة «الكتائب اللبنانية» نحو ٧٠ دبابة واقتنى «المرابطون» مدافع بعيدة المدى. أتى السلاح من الخارج، «إسرائيل على الجانب المسيحي وليبيا وسواها بالنسبة إلى اليسار».[٥]

وبالعودة إلى وثيقة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية المذكورة في الفصل الأول والمصُرِّح بنشرها في ١٦ حزيران ٢٠٠٩ والمعلومات فيها توقفت عند ١٥ نيسان ١٩٨٤، نشأت «القوات اللبنانية» في آب ١٩٧٦ لرغبة بشير الجميّل في «جيش مسيحي نظامي»، وكان في صفوفها خمسة آلاف مقاتل كحد أقصى ويمكن استدعاء مثلهم مِن الاحتياط، ولديها ٢٠٠ دبابة وناقلة جُند إسرائيلية المصدر، بالإضافة إلى مدفعية وقذائف هاون وبنادق مضادة للدبابات.[٦]

(٤) John Kifner, **Battered and divided army mirrors Lebanese civil war**, the newyork times, 24 May 1981, accessed on 20 May 2025, time: 15:37

(٥) John Kifner, **Battered and divided army mirrors Lebanese civil war**, the newyork times, 24 May 1981.

(٦) **Directory of Lebanese Militias**, Directorate of Intelligence, cia.gov, approved for release 16 June 2009 accessed on 20 May 2025, time: 21:48

أمـا «حركـة أمـل» التـي وظَّفـت خمسـة آلاف عنصـر بـدوام كامـل، فـكان فـي وسـعها ضـمّ ضعفهـم عـام ١٩٨٣، «لكـون معظـم الشـيعة [كانـوا] ينتمـون إليهـا أو يدعمونهـا». وبعـد سـنة «اعترفـت معظـم الفصائـل المسـلمة بـ[نبيـه] بـري بصفتـه القائـد المدنـي والأمنـي لبيـروت الغربيـة وأطاعـت تعليماتـه». ولـم تعمِّـر «أمـل الإسـلامية» بمجنّديهـا الـ٨٠٠ طويـلًا، وكان لـكل مـن وحداتهـا قائـد إيرانـي. تزامنًـا اسـتفادَ «الحـزب التقدمـي الاشـتراكي» مـن انقسـام الجيـش وأشـرفَ ضبـاطٌ دروز علـى تدريـب رجالـه المقدَّريـن بخمسـة إلـى سـتة آلاف.[٧]

فـي الجانـب السـني، وضـعَ الإحصـاء الاسـتخباراتي الأميركـي حجـم «حركـة التوحيـد الإسـلامي» عنـد ألـف مجنَّـد فـي طرابلـس. أمـا تنظيـم «المرابطـون» فنشـأ فـي حـرب السـنتين وتمكـن مقاتلـوه القليلـو العـدد نسـبيًا مـن تحقيـق مكاسـب عسـكرية مثـل احتـلال مبنـى «بـرج المـر» الشـهير. واسـتقطب عشـية الاحتـلال الإسـرائيلي نحـو ١٢٠٠ إلـى ١٥٠٠ مسـلَّح إلـى أنْ تقهقـر مطلـع عـام ١٩٨٤ علـى وقـع ضربـات «حركـة أمـل» و«الحـزب التقدمـي الاشـتراكي» لـه. ويُعتقـد أنـه كان لـه ٢٠٠ عنصـر خـارج بيـروت بيـن طرابلـس والبقـاع.[٨]

وبيـن الأحـزاب ذات الطبيعـة غيـر الطائفيـة، رصـد الدليـلُ «السـوري القومـي الاجتماعـي» بعديـد لا يتعـدّى ٢٠٠ محـارب عـام ١٩٨٣؛ و«الشـيوعي اللبنانـي» بنحـو ٥٠٠ إلـى ٦٠٠ عـام ١٩٨٤. أمـا «منظمـة العمـل الشـيوعي» التـي شـاركت فـي الاسـتيلاء علـى «بـرج المـر» فتسـلَّحت مـن سـوريا وبلـدان فـي أوروبـا الشـرقية ولـم يتجـاوز عـدد مقاتليهـا الثابتيـن المئتيـن، وإن كانـت قـادرة علـى تجميـع ١٦٠٠ عنـد الضـرورة.[٩] وقـال اليـاس عطاللـه إنَّ «الحـزب الشـيوعي» كان الأقـوى فـي «الحركـة الوطنيـة اللبنانيـة» وعتـاده مـن الاتحـاد السـوفياتي السـابق، وكذلـك ليبيـا والعـراق واليمـن الجنوبـي، وتلقـى مـرة شـحنة مـن أربعـة آلاف قطعـة كلاشـينكوف مـن روسـيا.[١٠]

لـم تُشـر الوثيقـة إلـى «حـزب الوطنييـن الأحـرار» الـذي كانـت لـه ثـلاث فـرق هـي «النمـور»،

(٧) **Directory of Lebanese Militias**, Directorate of Intelligence, cia.gov, approved for release 16 June 2009

(٨) **Directory of Lebanese Militias**, Directorate of Intelligence, cia.gov, approved for release 16 June 2009

(٩) **Directory of Lebanese Militias**, Directorate of Intelligence, cia.gov, approved for release 16 June 2009

(١٠) نجم الهاشم، **الياس عطاللـه يروي محطات من تاريخ الحرب والحزب الشيوعي**، موقع نداء الوطن، ٢٠ كانون الثاني ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢١ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٣٦.

«النسور» و«الضفادع».[١١] وأفاد الصحافي الأميركي جوناثان راندل أنَّ الشبان السريان كانوا «وقودًا لمدافع نمور شمعون، [وهم] أكثر المحاربين قسوة وفجورًا في المعسكر المسيحي» ثم حملوا راية الجميّل،[١٢] فهُم من أعمدة «الجبهة اللبنانيّة»[١٣] وشاركوا في معارك عدة مثل تلك في الأسواق التجاريّة لبيروت، تلّ الزعتر، زحلة وصربا.[١٤]

ومع أنَّ «حزب الكتلة الوطنية اللبنانية» لم يكن مقاتلًا، فإنَّ بعض أنصاره في جبيل تسلحوا عام ١٩٧٦ بذريعة منع «الكتائب والأحرار من فرض الخوة والتحكم بالناس والسيطرة عليهم بقوة السلاح»،[١٥] فكان التسلح للتصدي للتسلح!

وإذا كان راندل ذكر نازار ناجريان، أو «نازو»، «من الطائفة الأرمنية التي حاولت جاهدة البقاء خارج الصراع» وأنه «في الثامنة عشرة من عمره قادَ نصف المجموعات الكتائبية وسط بيروت»؛[١٦] فإنَّ الباحث آرا سنجيان وضعَ الأمر في إطار فردي، وإنْ لم ينفِ انجذاب شبان أرمن إلى «حزب الكتائب» ومقتل عشرات منهم في الحرب، مِن دون قرارٍ للقيادات الأرمنية بالتورط في الصراع بعد نكبتها عام ١٩٥٨. وأوضح في مقابلة لغايات هذا البحث أنَّ امتناع الأرمن عمومًا عن أي نشاط عسكري كان شديد الأهمية بالنسبة إلى مجتمعهم بعد «حربهم الأهلية الصغرى عام ١٩٥٨ وفيها كان تبادُل القتل سياسيًا». تواجه اللبنانيون لثلاثة أشهر بين تموز وتشرين الأول من تلك السنة، «سقطَ منهم ثلاثة آلاف شخص، بينهم ٣٥ إلى ٤٠ أرمنيًا في التحارب الأرمني والاصطفاف حول طرفَي النزاع، وقضى عشرة غيرهم في مواجهات غير أرمنية

(١١) مي ضاهر يعقوب، **صحافية بثياب الميدان فصول من الحرب الأهلية والمفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية**، ص ٥١.

(١٢) جوناثان راندل، **حرب الألف سنة، حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، لا دار نشر، ترجمة بشار رضا، نسخة مترجمة عن الكتاب الصادر بالإنكليزية في أيار ١٩٨٣ بعنوان Going All the Way: Christian Warlords, Israeli Adventures and the War in Lebanon، ص ١١٣.

(١٣) ألان سركيس، **الصوت السرياني مُقاوِم سيادي... و«لآخر نَفَس»**، موقع القوات اللبنانية، ٢٩ آذار ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٨ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:١٢.

(١٤) فيرا بو منصف، **فداك يا لبنان... قالها الشهداء السريان**، موقع القوات اللبنانية، ٤ آذار ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٢٨ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:١٦.

(١٥) **إده: الكتلويون يتسلحون لمنع الكتائب والأحرار من فرض الخوة**، السفير، ٤ آذار ١٩٧٦، العدد ٦٩٧، ص ٣.

(١٦) جوناثان راندل، **حرب الألف سنة، حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، ص ٨٩.

الطابـع». كان ذلـك كابوسًـا مِـن الواجـب التصـدي لتكـراره، فحظـرت الكنائـس الأرمنيـة القتـال عـام ١٩٧٥. وأضـاف أنَّ حـزب «الطاشـناق» امتلـك فـي حـرب السـنتين بعـض السـلاح للدفـاع عـن مقـاره وأحيائـه وحمايتهـا مـن السـرقة، فـي حيـن سـقطت مناطـق موالية لـ«الهنشـاك» فـي قبضـة «الوطنيين الأحـرار» ثـم «الكتائـب اللبنانيـة». وتحـدث عـن ضغـوط مـن الجميّـل علـى الأرمـن بيـن عامَـي ١٩٧٨ و١٩٧٩ لـ«توحيـد البندقيـة المسـيحية»، لـم يسـتجب لهـا «الطاشـناق» إلا لمامًـا.

عـن ذلـك كتـب رانـدل فـي الصفحـة ١٠٨ مـن مؤلَّفـه عـن أمـراء الحـرب المسـيحيين أنّـه «عـام ١٩٧٨ و١٩٧٩ واجهَـت الطائفـة الأرمنيـة الصناعيـة [...] هجومًـا مشـتركًا مِـن ميليشـيا الكتائـب والنمـور. رغـم تحالفهـم السياسـي مـع الكتائـب، لـم ينـسَ الأرمـن درس ١٩٥٨: آنـذاك دفعـوا غاليًـا فـي المـال والرجال ثمـن وقوفهـم إلـى جانـب المسـيحيين [.] فـي الحـرب الأهليـة اليـوم [عـام ١٩٧٥ ومـا تـلاه] أرادوا البقـاء علـى الحيـاد، فاتُهمـوا بالانتهازيـة [...]».

وحيـال عظـم حجـم التسـلح بقيت أحـزاب محدودة الانتشـار والتأثيـر خارج أتـون الحرب مثـل «الحزب الديموقراطـي» (باسـم الجسـر)، «حـزب التحريـر العربـي» (رشـيد كرامـي)، «حـزب الهيئـة الوطنيّـة» (عبـد اللـه اليافـي)، و«الحـزب الدسـتوري» (ميشـال خـوري) و«تجمّع المسـيحيين الملتزميـن».[١٧]

المُقاتِلات بين الطبخ والأيقونات

لـم تكـن الشـابات بمنـأى عـن خريطـة الميليشـيات أعـلاه وممارسـة العنـف فـي إطارهـا. إنهـن «مقاتـلات لـدى منظمـات اليسـار والمسـيحيين والفلسـطينيين والشـيعة [...] إذ انخرطـت النسـاء فـي كل الميليشـيات الأساسـية المُشـاركة فـي الحـرب»، ولـم يكـن للإكـراه أي دور فـي ذلـك بـل جاء انعكاسًـا للقناعـة التامـة بـ«قضيـة» الفصيـل الـذي انتميـن إليـه.[١٨]

لـم تقتصـر دراسـة «بالـروح بالـدم...» علـى الشـبان إذ شـملت ٤٨ مقاتلـة، ٤٧،٨ فـي المئـة منهـن قمـنَ بأعمـال عسـكرية فـي مقدَّمهـا اسـتهداف مراكـز للخصـوم، قتـل مسـلحين وربمـا مسـلحات فـي المعسـكر المقابـل، ثـم أعمـال خطـف وتفجيـر وحـرق وسـرقة.[١٩]

(١٧) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، ج ٢، ص ١٣٨٢.

(١٨) Jennifer Eggert, **Revisiting Women's Roles in Conflict and Peace: Female Fighters during the Lebanese Civil War**, Al-Raida, Vol. 47, Issue 1, 2023, p 105, 108-109

(١٩) **بالروح بالدم... دراسة إحصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٤٠.

وبخلاف الاعتقاد الشائع، فإنَّ نسبة الشابات «في الميليشيات المسيحية كانت أقل بكثير من تلك لدى معظم المجموعات اليسارية – وأنه حتى في جماعة أمل الشديدة المُحافَظَة جندريًا، اضطلعت النساء بأدوارٍ قتالية»، ولكن دافعهن للالتزام العسكري مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية. وفي بعض التقديرات أنَّ المُحارِبات شكلْنّ ١٥ في المئة من عديد فصائل اليسار مثل «الحزب الشيوعي اللبناني» و«منظمة العمل الشيوعي»، ومعهما في الخندق نفسه «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»؛ في مقابل ٢ إلى ٧،٥ في المئة في معسكر «الكتائب» و«الجبهة اللبنانية» عمومًا. وليس ثمّة مقاتلات في صفوف «الحزب التقدمي الاشتراكي» و«المرابطون». ووفق مقابلات أجرتها الباحثة جنيفر إيغِرت، شكَّلت نساء وحدتَهن العسكرية وأقنعنَ مسلحين اشتراكيين بتدريبهن بصفتهم الشخصية. وفي الإجمال تراوحت أعمار المُجندات بين سنوات المراهقة ومنتصف العشرينيات. [٢٠]

روَت ميسلون فرحات أنها حملت السلاح في صفوف «الحزب السوري القومي الاجتماعي» حين كانت في الرابعة عشرة بعد خضوعها لثلاث دورات عسكرية، مدة الواحدة منها ٤٠ يومًا. وصارت لاحقًا مسؤولة عن ١٢ مقاتلًا شابًا.[٢١] أما إيلين بولس، ولقبها «أم سبيرو»، فتجنَّدت بعمر الثانية عشرة بعد وفاة شقيقتها صوفي بقذيفة وشلل شقيقها بشظية.[٢٢] وفي صحف زمن الحرب أخبار متفرقة عن تخريج شابات بعد معسكرات تدريب لـ«الكتائبيات» على سبيل المثال، والعثور على جثث مقاتلات منهن.

كيف كانت يوميات المُحاربات؟ كتبت الباحثة دلال البزري أنَّ «الرفيقات [كُنَّ] يتولين مهمات الطبخ اليومي وتنظيف الغرف المختلفة [... إلى] التدريب على إطلاق النار في الطابق السفلي من المدرسة» الرسمية في الشياح[٢٣] التي وضَعت «منظمة العمل الشيوعي» يدَها عليها مطلع الحرب وحيث بقيت هي ثمانية أشهر وكانت حينها في مطلع عقدِها الثاني.

(٢٠) Jennifer Philippa Eggert, **Female Fighters and Militants During the Lebanese Civil War: Individual Profiles, Pathways, and Motivations**, Taylor & Francis online, 5 November 2018, accessed on 1 May 2025, time: 18:11

(٢١) فيفيان عقيقي، **جوسلين خويري وميسلون فرحات: عندما تتذكّران يوميّات جبهات القتال**، موقع لبنانيون نقلًا عن موقع جريدة النهار، تاريخ الدخول: ٣ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٠٢.

(٢٢) انظر/ي: **أسير كتائبي وجثث مقاتلات**، السفير، العدد ٢٤٩٧، ٨ نيسان ١٩٨١، ص ١؛ تخريج مقاتلات كتائبيات، السفير، العدد ٨٦٨، ٢٥ آب ١٩٧٦، ص ٢.

(٢٣) دلال البزري، **دفاتر الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص ٣٣.

ومن المهمات التي اضطلعت بها عام ١٩٧٥ تهريب سلاح وذخيرة، ذلك أنَّ «[...] الرفاق يحتاجون إلى رفيقات [...]؛ لأنهن ببساطة لا يُثرن الشُبهة على الحواجز المعادية [...] يعترضنا داخل الأشرفية حاجز كتائبي، يسألنا عن هويتنا، نكلِّمه بفرنسية باريسية تتخللها عربية مُكسَّرة، فيدعنا نمشي، ملوحًا بيده، علامة على اطمئنانه»[٢٤] إلى هوية البزري الدينية والسياسية المفترضة المبنية على أفكار مسبقة سطحية عن الآخرين والأُخريات. ولم يظُن شبان الحاجز أنّها منخرطة مثلهم في الحرب، فالمرأة، في ذهنهم، لا تقاتل. أضِف أنَّ التنقل الذي كان أحيانًا أكثر أمنًا بالنسبة إلى النساء زادَ من اعتماد الجرائد على المُراسِلات الشابات في التغطيات الميدانية، بما في ذلك الخطيرة منها. وأقرَّت الصحافية مي ضاهر يعقوب بأنَّ كونها فتاة ساعدها ومَن قابلتهم في أوضاع أمنية معقدة.[٢٥]

وروت البزري أنه أمام مراسلة يسارية فرنسية صارت ورفيقتها زينب قائدَتي فصيل نسائي بما «[...] يدغدغ غرورنا، ويقدِّمنا على أننا كائنات أسطورية [...] لكننا لا نروي لها، مثلًا، الساعات الطويلة التي نقضيها في المطبخ يوميًا [...]». [٢٦]

تلك الهالة طَبعت سيرة جوسلين خويري ذات الصورة الشهيرة بشعرها القصير وبلوزتها الصيفية والجينز تُصِّوب سلاحها بثقة. وبِخلاف الأفكار الثورية اللا دينية التي حرَّكت البزري، كانت خويري الطامحة إلى الالتزام في سِلك الرهبنة ذات إيمان مسيحي راسخ. والموْقِعة عند أحد متاريس «الكتائب اللبنانية» في الوسط التجاري لبيروت حوَّلتها أيقونة و«رَيْسة» على ألف مقاتلة «نظامية»، ويُعتقد أنَّ حزبها جنَّد ١٥٠٠ فتاة وامرأة.[٢٧] «في ليل ٦ أيار ١٩٧٦ تعرّضنا لهجوم غادر شنّه ١٠٠ مسلّح فلسطيني وسوري في فترة وقف إطلاق النار، صدّيناه أنا وست فتيات»، روت خويري. وعن تلازم العسكرة والصلاة لديها، هي التي قادت مهمات في شكا وزحلة، وأصيبت في يديها،[٢٨] قالت: «كان الربّ

(٢٤) دلال البزري، **دفاتر الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)**، ص ٥١-٥٢.

(٢٥) مي ضاهر يعقوب، **صحافية بثياب الميدان فصول من الحرب الأهلية والمفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية**، ص ١٠٩.

(٢٦) دلال البزري، دفاتر الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)، ص ٧٥-٧٦.

(٢٧) فرانسوا الباشا، **المرأة في لبنان، دور مهم عبر التاريخ، للأسف تمَّ تقليصه**، موقع لبنان نيوز، ٨ آذار ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٦ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٢٣.

(٢٨) فيفيان عقيقي، **جوسلين خويري وميسلون فرحات: عندما تتذكّران يوميّات جبهات القتال**، موقع لبنانيون نقلًا عن موقع جريدة النهار.

جوسلين خويري في الحرب

معنـا، حَمانـا وحرسـنا فـي مـكان متـروك لا يمكـن لأحـد أنْ يصـلَ إلينـا».[٢٩]

وبعيـدًا مِـن قُدسـية السـلاح، كان حملُـه عنـد بعـض الشـابات رغبـةً فـي «التباهـي» ولتبـدو صاحبتُـه «ذات أهميـة»؛ والانخـراطُ فـي القتـال مدعـاة للتحـرر مِـن ضغـوط اجتماعيـة، خصوصًـا فـي البيئـات المحافظـة[٣٠] وسـعيًا إلـى الندِّيـة الجندريـة. غيـر أنَّ انتشـار المُحارِبـات كان أُفقيًـا، إذ نقلَـت البـزري عـن زميلتهـا زينـب أنّـه «علـى الرفيقـة، إنْ أرادت أنْ تتـدَّرج فـي الرُتـب الحزبيـة المختلفـة – أنْ تكـون بقيمـة رفيقَيـن، وأحيانًـا ثلاثـة [...]».[٣١] وأقـرَّت سـلوى سـعد التـي انخرطـت فـي الحـرب مِـن موقـع مناصَـرة القضيـة الفلسـطينية بأنهـا تسـلَّحت «لأتسـاوى مـع الرجـل».[٣٢] ومـع أنهـا أجـادت التصويـب فإنهـا حرصـت علـى عـدم القتـل وكانـت أحيانًـا الشـابة الوحيـدة علـى الجبهـة فـي وجـه اعتراضـاتٍ ذكوريـة أقصـت المُقاتـلات عـن الاجتماعـات السياسـية.[٣٣] وفـي المقابـل، فـإنَّ فرحـات التـي لـم تسـتطِع إحصـاء عـدد مـن أردَتهـم، قالـت إنَّ السـلاح لـم يجرِّدْهـا مـن أنوثتهـا.[٣٤]

وعلـى محـاور التصـدي للاحتـلال الإسـرائيلي بـرزت الانتحاريـات أو «الاستشـهاديات» مثـل سـناء محيدلـي التـي تذرَّعـت بشـراء طـلاء للأظافـر لمغـادرة منـزل ذويهـا لتنفيـذ مهمتهـا.[٣٥]

(٢٩) **جوسلين خويري... غابت امرأة المعارك التي انتزعت الفتيات من مسرح الحرب إلى التكرّس لله!**، موقع الكتائب، ١ آب ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٣ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٥١.

(٣٠) Jennifer Philippa Eggert, **Female Fighters and Militants During the Lebanese Civil War: Individual Profiles, Pathways, and Motivations**, Taylor & Francis online, 5 November 2018

(٣١) دلال البزري، دفاتر الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)، ص ٧٨.

(٣٢) سلوى سعد، **بعض من مسيرة**، موقع سلام وكلام، ١ آب ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٥ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٥٣.

(٣٣) Sawssan Abou-Zahr, **The metamorphosis of a female fighter into a peacebuilder**, peaceinsight, 23 April 2019, accessed on 5 May 2025, time: 15:15

(٣٤) **السلاح في أيد ناعمة**، موقع الجزيرة نت، ١٦ تشرين الثاني ٢٠٠٩.

(٣٥) راغدة غملوش، **المرأة الشيعية في لبنان، خصوصية الهوية والكفاح المستمر**، أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ٢٠٢٣، ص ٦٥.

المفارقة أنَّ تلك الشابة المتدربة عسكريًا كانت أمام والديْها مراهقة تحتاج إذنًا للخروج.

وإذا كانت محيدلي ووفاء نور الدين ومريم خير الدين ويسار مروة وفاديا بزي،[٣٦] وسهى بشارة وقريبتها لولا عبود وزينب المولى وليلى أبو الحسن وسواهن واجهنَ العدوان الإسرائيلي من خلفيةٍ وطنية أو عقائدية لا دينية، فإنَّ شابات أُخريات خُضنَ المعركة نفسها مِن منبر ذي صبغة إسلامية، شيعية تحديدًا. كانت مُناسبات تخريجهن مدعاة للاحتفاء. فعلى سبيل المثال، وبعد التدريب ثلاثة أسابيع في صيف ١٩٨٦ على «الدروس النظرية والعقيدة والثقافة الإسلامية»، اختتمت ٤٠ مقاتلة في «حركة أمل – التنظيم النسائي – إقليم البقاع» دورة في حقل رماية في الذخيرة الحية في وادي مقنة، وكنّ الدفعة الأولى من نوعها في البقاع.[٣٧] وفي الخبر المنشور في صحيفة «السفير» أنَّ المسؤولة كانت «السيدة أصفهاني»، والاسم يوحي باحتمال أصل إيراني. وإلى أحد معسكرات الزهراني حضر صيف ١٩٨٨ رئيس الهيئة التنفيذية لـ«أمل» داود داود والمسؤول التنظيمي العام محمود فقيه، وتحدثت حسنية جرادي باسم المقاتلين والمقاتلات،[٣٨] وهي انتُخبت عام ٢٠٠٢ لعضوية المكتب السياسي للحركة.[٣٩]

وفي الإجمال، علقت المُحاربات المتعددات الأطياف، كنظرائهن الشبان، في فقاعة الصَوابية السياسية. ووفق البزري أنَّ الكبرياء الحزبي طغى، كما عامل صغر السِّن. وعاشت، هي «المناضلة» وفق وصفها، في مركز الشياح أمنًا لم تختبره في بيتها، والأهم «الأمان الفكري» في ظلَّ «صحة خطنا وتوجهنا».[٤٠] «النضال» تردد كذلك على لسان أليس عقيقي التي بدأته في الثالثة عشرة مع «الكتائب اللبنانية» متأثرة بخويري التي «عملتنا [كذا في الأصل والمقصود علَّمتنا] الصلاة وحب الآخر [...] شجعتنا للقتال في سبيل بقاء لبنان».[٤١]

(٣٦) للمزيد عن سِيرهن انظر/ ي: راغدة غملوش، **المرأة الشيعية في لبنان، خصوصية الهوية والكفاح المستمر**، ص ٦٤-٦٦.

(٣٧) **تخريج دفعة مقاتلات في «أمل» بالبقاع**، السفير، العدد ٤٤٠٧، ٥ أيلول ١٩٨٦، ص ٧.

(٣٨) **«أمل» تخرج مقاتلين ومقاتلات**، السفير، العدد ٥٠٣٢، ٢٣ تموز ١٩٨٨، ص ٤.

(٣٩) راغدة غملوش، **المرأة الشيعية في لبنان، خصوصية الهوية والكفاح المستمر**، ص ٨٥.

(٤٠) دلال البزري، **دفاتر الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)**، ص ٩٤.

(٤١) **هدى بيطار وأليس عقيقي لصوت لبنان: نفتخر بتاريخنا النضالي في صفوف حزب الكتائب**، موقع صوت لبنان، ١٢ نيسان ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٣ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٣١.

لكنَّ المثاليات سرعان ما تبددت. غادرت البزري «منظمة العمل الشيوعي» عام ١٩٨١ بعدما أدركت أنَّ «القائد»، أيًا يكن، «يومياته عبارة عن إشارات بحبوحة مستجدة، [...] أفكر في أنني ما كنتُ لأنتبه إلى ذلك كله لو كنت زوجة أحدهم، أو لو كنتُ رجلًا [...] فهل كنتُ سأرى في ذلك فسادًا أصلًا؟».[٤٢] كأنَّ المقاتلات أكثر طهرانية من نظرائهن الشبان. كذلك وَرَدَ في بعض مقابلات إيغِرت تخليهن عن الأدوار العسكرية حين صارَ القتال مذهبيًا وعند تصارع الميليشيات على المغانم والمنافع الاقتصادية. [٤٣]

المسار النقدي تجلَّى بوضوح لدى سعد التي عبرَت إلى بناء السلام. «إنها طريق بدايتها الشكّ بما حفظناه وتعلمناه، والتخلص من مخاوفنا بتنقية دواخلنا مما علق بها من آثام كره الآخر المختلف ومحاولة إلغائه. وصولاً للعمل سويّاً على منع تكرار الحرب». [٤٤]

يبقى أنه في أبحاث إيغِرت أنَّ معظم المُقاتلات كنَّ عازبات، غير أنَّ البزري كانت متزوجة ولديها طفل عند اندلاع الحرب وشكَّلت ولادة ابنة سعد تحولًا أعادَها إلى الحياة المدنية. وروت فرحات أنها بقيت تحمل السلاح حتى الشهر السادس من حملها.

الجيش... اثنان وأكثر

لم يسلم الجيش وشبانه من عنف الحرب، إذ كان من الضحايا الأولى لحرب السنتين.[٤٥] حينذاك رفضت القوى «التقدّمية الإسلاميّة» مبدأ تدخّله لأنّ مِن شأنه تعزيز موقع الموارنة في السُلطة بينما كان لهؤلاء رأيٌ معاكسٌ.[٤٦] وحيال سيطرة الميليشيات، تقلَّص دوره إلى «الانتشار في مناطق متفق عليها بين الفريقين المتقاتلين وحماية اتفاقات وقف إطلاق النار [...]». [٤٧]

(٤٢) دلال البزري، دفاتر الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)، ص ١٤٣.

(٤٣) Jennifer Philippa Eggert, **Female Fighters and Militants During the Lebanese Civil War: Individual Profiles, Pathways, and Motivations**, Taylor & Francis online, 5 November 2018

(٤٤) سلوى سعد، **بعض من مسيرة**، موقع سلام وكلام، ١ آب ٢٠١٩.

(٤٥) John Kifner, **Battered and divided army mirrors Lebanese civil war**, the newyork times, 24 May 1981

(٤٦) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ١٩٣.

(٤٧) العميد إيلي خلف، **الجيش اللبناني: الواقع والدور المرتقب**، موقع المعهد المصري للدراسات، ٢ أيلول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٩ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٢٦.

يافطة دعم لـ«جيش لبنان العربي»

في ٢١ كانون الثاني ١٩٧٦ انسحب الملازم أوّل أحمد الخطيب من المؤسسة العسكرية مُنشِئًا «جيش لبنان العربيّ» من عناصر مسلمين بدعم من «حركة فتح»، مستوليًا على ثكن صور، راشيّا، صيدا، بيروت، بعلبك، الخيام، مرجعيون والنبطيّة. ثم انضم إليه الرائد أحمد المعماري واضعًا يده على ثكنةٍ في عرمان واثنتين في طرابلس والقاعدة الجوّية في القليعات. كذلك انفصل الرائد أحمد بوتاري وأشرفَ على قيادة «جيش لبنان العربي» في صور. وفي البقاع أسّس العميد فهيم الحاج والرائد إبراهيم شاهين «طلائع الجيش اللبناني» التي ضمَّت ٣٥٠٠ عنصر. في المقابل، في ٥ آذار، تمرّد جنود في جونية وطالبوا بالالتحاق بوحدات في عكّار للدفاع عن المسيحيّين في القبيّات. وفي ١١ من الشهر نفسه قاد العميد عزيز الأحدب انقلابًا كان مصيره الفشل بعد شهرين. وبعد يومين احتلّ العقيد انطوان بركات ثكنة الفياضيّة، وانكفأ سعد حدّاد مع ٧٠٠ ضابط وجندي في مرجعيون. كذلك انشقّ الرائد فؤاد مالك مع عناصر مسيحيّين مؤسسًا «جيش لبنان». وظهر «لواء عكار» من عسكريّين بقيادة مدنيّ هو خليل نادر. ودفع التدهور جنودًا إلى هجر وحداتهم والانكفاء في منازلهم. [٤٨]

وكحال شبان الميليشيات، برَّر العسكريون تقسيم الجيش بذرائع مشابهة لِما استخدمه أبناء طوائفهم في التنظيمات المتقاتلة. عزا الخطيب تمردَّه، وكان عنده ٣٣ سنة، بأنه لـ«تحويل بندقية الجيش اللبناني لمواجهة إسرائيل بدلاً من المهادنة معها».[٤٩] ويُعتقد أنه

(٤٨) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، ج ٢، ص ٩٥٣-٩٥٥.

(٤٩) سمير ناصيف، **جيش أحمد الخطيب كان محور صراع بين حافظ الأسد وعرفات**، موقع القدس العربي، ٥ آب ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١٩ أيار ٢٠٢٥ الساعة: ٢٣:١٣.

بحلول عام ١٩٨١ انضوى تحت رايته ٥٠٠ إلى ٧٠٠ عنصر.[٥٠] بينما قال بركات إنَّ هدفه كان «إنقاذ الجمهورية من الاهتزاز والانهيار»،[٥١] وشارك مالك لاحقًا في قيام «القوات اللبنانية».

صباح ٧ شباط ١٩٧٨ وقع تبادل للنار تعددَّت الروايات بشأنه بين جنود لبنانيين وسوريين قرب ثكنة الفياضية، فكان «حلقة في مسلسل انهيار وحدة الجيش اللبناني تباعًا».[٥٢] وفي تقرير «النيويورك تايمز» من عام ١٩٨١ أنَّ نصف عناصره المقدَّرين حينذاك بـ١٩ ألفًا توزعوا بين المعسكرَين المتقاتلَيْن. [٥٣]

وقع انشطارٌ إضافي للجيش وشبانه عام ١٩٨٣ عندما أعاد انتشاره في القسم الغربي للعاصمة مشتبكًا مع ميليشياتها وتلك الموجودة في الضاحية الجنوبيّة، وتدخّلت وحدات منه في «حرب الجبل»، كما انشقّ دروز متّخذين ثكنة حمّانا مركزًا لهم. وفي ٦ شباط ١٩٨٤ تكرَّس التباعد بين «جيش الغربيّة» و«جيش الشرقيّة» بخروج «اللواء السادس» بأكثريّته الشيعيّة عن أُمرة اليرزة وارتباطه بـ«حركة أمل». تزامنًا انضمّ عناصر من «اللواء الرابع» إلى «الحزب التقدّمي الاشتراكي» في السيطرة على الشحّار الغربي.[٥٤]

وتعمَّق التشظي عند انقضاء رئاسة أمين الجميّل في أيلول ١٩٨٨ وطالَ القيادة نفسها بين العماد ميشال عون واللواء سامي الخطيب،[٥٥] فبلغَ انهيار الجيش ومؤسسات البلاد ككل مستوى لا سابق له، وكان الفصل الأخير من الحرب شديد الدموية والقتال فيه مسيحي داخلي بين عون و«القوات اللبنانية» بزعامة سمير جعجع.

ولا يمكن إغفال العامل الإسرائيلي في تفتيت الجيش. فلدى إعلان «دولة لبنان الحر

(٥٠) **Directory of Lebanese Militias**, Directorate of Intelligence, cia.gov, approved for release 16 June 2009

(٥١) **المؤسسة العسكرية تواجه أزمات حادة من البلاغ رقم ١ الى القتال في الزواريب**، موقع لبنان ٢٤، ٩ تشرين الثاني ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ١٦ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:١٦.

(٥٢) أحمد عياش – جوزف باسيل – حسّان الرفاعي، **حسن الرفاعي حارس الجمهورية**، دار سائر المشرق للنشر والتوزيع، جديدة المتن، طبعة ثانية منقحة، ٢٠٢٣، ص ١٢٠.

(٥٣) John Kifner, **Battered and divided army mirrors Lebanese civil war**, the newyork times, 24 May 1981

(٥٤) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، ج ٢، ص ٩٥٥-٩٥٦.

(٥٥) العميد إيلي خلف، **الجيش اللبناني: الواقع والدور المرتقب**، موقع المعهد المصري للدراسات، ٢ أيلول ٢٠٢١.

المستقل» في ١٨ نيسان ١٩٧٩، كان حدّاد على رأس «جيش لبنان الحر»، كما اسمه آنذاك، والذي شجَّعت تل أبيب تجنيده، إلى المسيحيين، نحو ٢٠٠ عنصر شيعي ومئة من الدروز وعشرات السُنة. وعام ١٩٨٤، مع انتقال الراية إلى أنطوان لحد، ضمَّ الفصيل ٢٠٦٩ مقاتلًا، بينهم ١٢٨٦ مسيحيًا، ٣٢٢ شيعيًا، ٢٧٦ درزيًا و٦٥ سنيًا. وتغيّرت تسميته بعد سنة إلى «جيش لبنان الجنوبي».[٥٦] وفي وثيقة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية المذكورة سابقًا أنّه كان لديه حينذاك نحو ٢٠ دبابة.[٥٧]

يوميات دموية... حروب في حرب

اختلط الخاص بالعام في مفاصل الحرب وطغى أحيانًا كأن تكون مذبحة من أكثر المحطات عنفًا مثل «السبت الأسود» في ٦ كانون الأول ١٩٧٥ ثأرًا شخصيًا. فقد روى جوزف سعادة أنه أردى، وبعض الشبان، «مخطوفين شيعة» انتقامًا فور تبلغه بمقتل نجله رولان ثم صفّى مارّةَ مسلمين، معظمهم من عمال مرفأ بيروت، مقرًا بأنَّ المجزرة كانت قرارًا فرديًا إذ قيل له من قيادات «الكتائب اللبنانية» بأنه ومَن معه «مجانين، سوف تشعلون البلد من جديد».[٥٨] وهذا ما كان.

وفي سجّل الحرب الكثير من المذابح. كتب راندل أنَّ مجزرة الكرنتينا في ١٨ كانون الثاني ١٩٧٦، «يوم قتلت الميليشيات المسيحية مئات المدنيين من الأكراد، واللبنانيين المسلمين الشيعة، والفلسطينيين، أغلبهم عُزَّل من دون سلاح»، ارتكبها شبانٌ مخدَّرون بالحشيش أو الكوكايين. وعدَّد كذلك مجازر «ضبية، السبت الأسود، الدامور، العَيْشية، جسر الباشا، تل الزعتر، القاع، الخيام، إهدن، الصفرا مارين، زحلة [...]». أما صبرا وشاتيلا فاستمرت ٣٨ ساعة من دون انقطاع بين ١٦ أيلول ١٩٨٢ و١٨ منه، ولم تنجُ منها الخيول والكلاب والقطط، ولم تسلم الجثث من تقطيع وتشويه وحتى تلغيم لمنع مسِّها ودفنها.[٥٩] وتحدث مشاركون

(٥٦) حسين أبوب، **جيش لحد من بداياته الهجومية إلى نهايته المتوقعة**، السفير، ٢٦ أيار ١٩٩٩، العدد ٨٣٠٤، ص ٣.

(٥٧) **Directory of Lebanese Militias**, Directorate of Intelligence, cia.gov, approved for release 16 June 2009

(٥٨) جوزف سعادة، **أنا الضحية والجلاد أنا**، ص ١٢-١٣.

(٥٩) جوناثان راندل، **حرب الألف سنة، حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، ص ٢٦، ٢٩.

مجزرة صبرا وشاتيلا

في الجريمة أمام كاميرا وثائقي «مساكر» عن تعاطيهم المخدرات وتلقي تدريب عسكري في إسرائيل عام ١٩٨٠، وأنَّ «اليهود» واكبوهم في عملية «إفناء» الفلسطينيين ثأرًا لبشير الجميّل الذي لم تكن لهم يد في قتله.

وأشار راندل إلى نمطٍ من الانتقام الجماعي أعقبَ الاغتيالات السياسية، راصدًا تصفية ٣٤٢ «مِن الكتائبيين وأفراد عائلاتهم» عام ١٩٧٨ بمعدَّل «أكثر من عشرة قتلى مقابل كل واحد من الذين سقطوا في [اغتيال طوني فرنجية في] إهدن»، وقبلها عام ١٩٧٧ أُرديَ أكثر من ١٧٠ مسيحيًا في الشوف ردًا على قتل كمال جنبلاط. (٦٠)

والاغتيالان مفصليان في تشعّب مسار الحرب. فالرصاص الذي مزّق جسّد السياسي الدرزي والعنف العشوائي الذي تلاه مسؤولان، بطريقة أو بأخرى، عن حرب الجبل بين أيلول ١٩٨٣ وشباط ١٩٨٤ التي انتهت بانتصار درزي و«تهجيرٍ لموارنة جبل لبنان عاكسين عملية نزوح المسيحيين إلى جبل لبنان بدعوة وتشجيع من الأمير فخر الدين في القرنين السادس عشر والسابع عشر». (٦١)

كما أنَّ استهداف فرنجية أطلق عنان التقاتل المسيحي الداخلي، الماروني تحديدًا. ومن

(٦٠) جوناثان راندل، **حرب الألف سنة، حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، ص ١٧، ١٠٥.

(٦١) مكرم رباح، «**حرب الجبل»... أربعون عامًا من العِبَر في لبنان**، موقع المجلة، ٢٣ أيلول ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢١ أيار ٢٠٢٥، الساعة:: ٢٢:٣٩.

محطاتـه هجـوم مسـلحي بشـير الجميّـل علـى «ثكنـات الشـمعونيين، والمرافـئ [الخمسـة]، والمكاتـب ومواقـع حـزب الوطنييـن الأحـرار الأخـرى» فـي ٧ تمـوز ١٩٨٠ بذريعـة التصـدي لتهريـب الحشـيش، ممـا أدى إلـى مقتـل ٥٠٠ شـخص معظمهـم مدنيـون.[٦٢] ولا يخفـى هنـا العامـل الرِبحـي والسـيطرة علـى مغانـم الاقتصـاد ومفاصلـه فـي ظـل تقهقـر مؤسسـات الدولـة، فانحرفـت الحـرب عـن مسـارها المعلـن عـام ١٩٧٥، ذلـك أنَّ «العـدو» لـم يعـد اليسـاري أو المسـلم أو الفلسـطيني بـل صـار مسـيحيًا آخـر. وكذلـك مـن مواقـع المعارك المسـيحية السياسـية الطابـع اشـتباكات «تيـار المـردة» و«القـوات اللبنانيـة» علـى محـور الكـورة -البتـرون عـام ١٩٨٢، تمـرّد جعجـع وإيلـي حبيقـة علـى قيـادة فـؤاد أبـو ناضـر لـ«القـوات اللبنانيـة» عـام ١٩٨٥ ثـم صراعـات جعجـع وحبيقـة العنيفـة عـام ١٩٨٦.

ولـم تكـن الحـال أفضـل فـي المعسـكر المقابـل. نذكـر حـروب «حركـة أمـل» علـى الأحـزاب اليسـارية فـي المناطـق المشـتركة فـي بيـروت الغربيـة والضاحيـة الجنوبيـة والبقـاع والجنـوب، مثـل المواجهـات مـع «حـزب البعـث العربـي الاشـتراكي» المدعـوم عراقيًـا، «الاتّحـاد الاشـتراكي العربـي» الموالـي لليبيـا، «الحـزب الشـيوعي اللبنانـي» و«منظّمـة العمـل الشـيوعي»؛ ثـم النـزاع مـع «الحـزب التقدمـي الاشـتراكي» عامَـي ١٩٨٥ و١٩٨٧؛ وحصـار المخيمـات الفلسـطينية بيـن ١٩٨٥ و١٩٨٧؛ ومـا سـمّي «حـرب الأخـوة» بينهـا و«حـزب اللـه» بيـن عامَـي ١٩٨٨ و١٩٩٠.

ويسـترعي الانتبـاه أنَّ الذيـن سـقطوا فـي الصدامـات الداخليـة فـي كل طائفـة بلـغ ضعـف عـدد القتلـى فـي تحـارُب المذاهـب المختلفـة، خصوصًـا لـدى الميليشـيات المارونيّـة والشـيعيّة. كمـا أنـه خـلال فتـرة الثمانينيـات، زادت نسـبة تجنيـد الأحـزاب للشـبّان دون الثامنـة عشـرة مـن العمـر، ممّـا رفـع «العنـف الاعتباطـي والأعمـى والتعسّـفي».[٦٣]

وكان العنـف متسـعًا. ففـي دراسـة «بالـروح بالـدم...»، اعتـرف ٧٠,٣ فـي المئـة مـن أفـراد العيّنـة بقصـف مواقـع عسـكريّة، و٤١,٥ فـي المئـة بتصفيـة مقاتلـي الطـرف الآخـر غـدرًا، و٣٦,٣ فـي المئـة بأعمـال تفجيـر اسـتهدفت مدنيّيـن، و٢٩,٨ فـي المئـة بالتعـرّض للكرامـات، و٢٥,٨ فـي المئـة باسـتهداف مبـانٍ سـكنيّة، و٢٥ فـي المئـة بعمليّـات خطـف. كانـت النسـبة الأعلـى لاحتجـاز رهائـن لـدى «الكتائـب اللبنانيـة» بـ٤٤,٥ فـي المئـة ثـم «القـوّات اللبنانيّـة» بـ٣٧,٥ فـي المئـة.

(٦٢) جوناثان راندل، **حرب الألف سنة، حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، ص ١٠٩-١١٠.

(٦٣) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ١٩٢، ٢٠٢.

وحلَّ «الحزب الشيوعي اللبناني» أولًا بقصف المدنيّين بـ٢٢,٥ في المئة، تلته «حركة أمل» بـ٢١,٩ في المئة. وفي أعمال التفجير تقدَّمت «القوّات اللبنانيّة» بـ٥٢ في المئة على «الكتائب اللبنانية» بـ٤٦,١ في المئة. أما القنّاصة فكانوا الأكثر لدى «الحزب الشيوعي اللبناني» بـ٢٠ في المئة ثم «حركة أمل» بـ١٧,٨ في المئة. وشكَّل مقاتلو «الكتائب اللبنانية» طليعة حارقي أو تالفي الممتلكات الخاصّة بـ٢٩,٧ في المئة، وبعدهم نظراؤهم في «حركة أمل» بـ٢٠,٨ في المئة. وتصدَّر إهانة الأشخاص عناصر «الكتائب اللبنانية» بـ٣٨,٩ في المئة، ثم «حركة أمل» و«القوّات اللبنانيّة» بـ٢٩,٢ في المئة.[٦٤]

الخطف... حرب على الأفراد ومأساة مستمرة

يمكننا اعتبار الخطف والخطف المضاد على الهوية لعشرات آلاف المدنيين مجزرة من نوع آخر، بهدف الانتقام السياسي، الممنهج والعشوائي، إذ كان أحيانًا متفلتًا من العِقال الحزبي القيادي وممارَسةً يقوم بها شبان في إطار فائض القوة المرافق للتسلح، بدليل تهديد «أهالي» بعمليات خطف ونصْب «حواجز طيارة» لهذه الغاية.[٦٥] ودعا كميل شمعون، والحرب لم تكن بلغت عامها الأول، الأحزاب إلى ضبط نفسها أمام الخطف، «علَّة العلل».[٦٦] وعام ١٩٨٤ اعتبره الكاتب الياس خوري «مؤسسة حقيقية [...] تعلن فيها الطبقة الحاكمة بكل أجنحتها عجزها عن التعامل مع جريمة واضحة [...]».[٦٧]

لمسَ الخطفُ أسرة البزري مِن خلال زوجها بعد أيام من مجزرة صبرا وشاتيلا. ودام اعتقالُه شهرين ويومين في وزارة الدفاع باليرزة بتهمتَي الشيوعية والتورط في اغتيال بشير الجميّل. وبعد طلبها وساطة نائب «تقدُّمي» عند شقيقه أمين، أُطلق بشرط مغادرة البلاد. وعن تلك التجربة كتبت: «يبقى أنَّ "حظي" في الخطف – الاعتقال أفضل من حظ غيري. فالجهة التي خطفته – اعتقلته هي جهة رسمية، يمكنها أنْ تتعامل مع قضاة ورؤساء جمهورية أو وزارة، أو نواب. [... الدولة] كانت تتصرف مثل الميليشيات،

(٦٤) **بالروح بالدم... دراسة إحصائية في أحوال عيّنة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٣٧-٣٩.

(٦٥) انظر/ي: **يحمر تهدد باللجوء إلى الخطف**، السفير، ٢٩ كانون الأول ١٩٧٥، العدد ٦٣٢، ص ٢؛ **آل عيساوي يستنكرون الخطف والخطف المضاد**، السفير، ٦ كانون الأول ١٩٧٥، العدد ٦١١، ص ٤.

(٦٦) **شمعون يتوقع اضطرابات ويحمّل الخطف المسؤولية**، السفير، ٦ كانون الأول ١٩٧٥، العدد ٦١١، ص ٤.

(٦٧) الياس خوري، «**مؤسسة الخطف**»، السفير، ١٠ تموز ١٩٨٤، العدد ٣٦٤٧، ص ١٢.

وأحيانًا تُخفي إلى الأبد مَن تمكنت من حياتهم ومماتهم». [٦٨]

وإذا كانت البزري ساهمت في إطلاق «لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان»، فإنَّ تلك الهيئة ارتبطت ولا تزال بشخص رفيقتها وداد حلواني، الشابة التي انقلبت حياتها رأسًا على عقب، خصوصًا أنَّ خاطفَي زوجها عدنان قالا إنهما من «الدولة» وأنَّه سيعود بعد «خمس دقائق» لاستجوابه بشأن حادث سير.[٦٩] وإلى اليوم لم تنقضِ تلك الهُنيهات. وكسائر اللبنانيات، اختبرت مساكنة العنف «من مهارة تقدير نوع القذيفة» للفرار وموقع القناص ومرمى رصاصاته لحماية طفلَيها منه.[٧٠] ومثلها اضطرت النساء والشابات إلى البحث بأنفسهن عن الأقارب الغائبين لأن «الذكور عادةً ما كانوا يُخفونَ أو يُختطفونَ عند ذهابهم إلى دفع فدية عن أفراد أُسرَهم المخطوفين».[٧١]

صور لمفقودين من زمن الحرب الأهلية

كذلك كان الخطف مصدرًا للتكسب حين ترافَق مع اشتراط فدية. وشكَّل احتجاز الأجانب، وبالأخص الصحافيين، بين عامَي ١٩٨٤ و١٩٨٩، تجارة مربحة، إذ كان الخاطفون يبحثون عن «الصفقة الأفضل [...] ببيع

(٦٨) دلال البزري، **دفاتر الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)**، ص ١٦١، ١٦٧-١٦٨.

(٦٩) Sawssan Abou-Zahr, **The disappeared of Lebanon: the unfinished story of a finished war**, peaceinsight, 5 July 2017, accessed on 6 May 2025, time: 18:19

(٧٠) وداد حلواني، **شاناي: من فسحة حب إلى ساحة حرب، طواحين الهوى**، من إصدار المركز الدولي للعدالة الانتقالية ولجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان، توزيع دار نلسن، ٢٠٢٣، ص ٤٢.

(٧١) جنى مراد، **التعامل مع الماضي، ذكريات من أجل المستقبل إحياء قصص بطلات غير مكرَّمات**، ص ٢٢.

الرهائـن مـن جماعـة إلـى أخـرى حتـى تنتهـي بيـد مجموعـة كبـرى»[٧٢] لهـا مطالـب سياسـية. وكتـب الصحافـي البريطانـي روبـرت فيسـك أنَّ «عمـلاء ليبييـن» فـي بيـروت «ابتاعـوا» رهائـن مـن خاطفيـن شـبان عامليـن لحسـابهم الخـاص وحاولـوا «شـراء» زميلـه وصديقـه الأميركـي تيـري أندرسـون.[٧٣]

الاغتصاب... عنف جندري ممنهج

لـم تكـن الحـرب اللبنانيـة اسـتثناءً فـي اسـتخدام العنـف الجنسـي فيهـا سـلاحًا يسـتهدف الفتيـات والنسـاء، فـكان الاغتصـاب شـبحًا يهـدد أي أنثـى حتـى قبـل سـنِّ البلـوغ. وروَت حلوانـي خشـيتها مـن هـذا المصيـر فـي رحلـة هـروب طويلـة بطفليهـا إلـى بـرِ أمـان مفتـرض.[٧٤] ووفـق سـعد، ارتضـى بعـض الآبـاء، حتـى فـي الأوسـاط المحافظـة، التدريـب العسـكري لبناتهـن لحمايتهـن مـن الاعتـداءات الجنسـية.[٧٥] غيـر أنَّ ذلـك لـم يكـن متحققًـا بالضـرورة، إذ أقّـرت مقاتِلـة بـأنَّ «النسـاء المُحارِبـات كـنَّ عُرضـة للتحـرش داخـل ميليشـياتهن».[٧٦]

أمـا المَدنيـات ممـن وقعـنَ فـي براثـن تلـك الجريمـة التـي لـم يتبنَهـا أحـد، فبقيـنَ يواجهـنَ إنـكارًا حينًـا ووصمـة أحيانًـا. وحيـن اعتُـرِف بممارسـة الاغتصـاب كان الأمـر فـي موضـع التباهـي. ففـي وثائقـي «مسـاكر» لسـليم وبورغمـان عـام ٢٠٠٢ فـي عشـرينية صبـرا وشـاتيلا أعـادَ مقاتـل تمثيـلَ واقعـة هتـك عُذريـة فتـاة فلسـطينية قبـل قتلهـا. غيـر أنَّ حديثـه عـن فِعلتـه وضَعَهـا فـي إطـارٍ فـردي، إذ لـم يذكـر خمسـة سـواه فـي الفيلـم الانتهـاكات الجنسـية، ولا يعنـي ذلـك أنهـم لـم يرتكبوهـا. مهمـا يكـن مـن أمـر، كان صعبًـا توثيـق حـالات الاغتصـاب أو التطـرُّق إليهـا باسـتثناء المجـازر الكبـرى مثـل صبـرا وشـاتيلا. وفـي الإجمـال بقيـت روايـات الضحايـا والناجيـات محجوبـة، طوعًـا أو قسـرًا، لحساسـياتٍ عائليـة، مجتمعيـة وسياسـية.

(٧٢) **بودكاست معبر، الموسم الثاني، الحلقة الثالثة، كرمال الصورة**، ١٩ كانون الثاني ٢٠٢٤، موقع البودكاست على اليوتيوب، تاريخ الدخول: ٢٢ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:٢٥.

(٧٣) Robert Fisk, **Pity the Nation**, Oxford University Press, third edition, 2001, p 616

(٧٤) وداد حلواني، **شاناي: من فسحة حب إلى ساحة حرب، طواحين الهوى**، ص ٤٩.

(٧٥) Sawssan Abou-Zahr, **The metamorphosis of a female fighter into a peacebuilder**, peaceinsight, ٢٣ April ٢٠١٩

(٧٦) Sawssan Abou-Zahr, **Rape and Lebanon's war: longstanding impunity**, peaceinsight, 24 October 2022, accessed on 8 May 2025, time: 15:24

طالَ التعتيم سنوات حتى خرقَت ٨٠ صفحة من الشهادات الصادمة جُمعت من ثمانية مواقع، بينها مخيمات فلسطينية، جدار الصمت، وذلك في تقرير موثق ورد ذكره سابقًا للحركة القانونية العالمية وهيئة الأمم المتحدة للمرأة. ربما ساهم مرور الزمن في تظهير الحاجة إلى البوْح، والأهم أنَّ مئاتٍ من النساء اللواتي تعرضنَ للجرائم الجنسية في الحرب أو كن شاهدات عليها، حصلنَ على دعم نفسي وقانوني من معدّي الوثيقة، وهذا حقٌ لم توفره لهن دولة ما بعد اتفاق الطائف التي سكبَت عليهن عُنف التجاهل.

وفي التقرير أنَّ جهات حكومية وغير حكومية استخدمت الاغتصاب على نطاق واسع ومُمنهج، بما في ذلك الاغتصاب بقوارير زجاجية وأدوات حادة حتى تشويه الأعضاء التناسلية والاغتصاب الجماعي وذاك المُتعدد الفاعلين؛ والتعذيب الجنسي من قبيل صعْق الأثداء بالكهرباء والضرب المبرح أثناء الدورة الشهرية والإرغام على ممارسة الدعارة، وصولًا إلى قتل النساء الحوامل والفتيات الصغيرات بعد اغتصابهن أو بربطهن بسيارتين تسيران في اتجاهين معاكسَيْن.(٧٧)

ومن الدلالات على تكريس الإفلات من العقاب، أنَّ مغتصبًا صار ضيفًا على الشاشات التلفزيونية بعدما بات مشهورًا، على ما أفادت ناجية.(٧٨) وذاك عنفٌ مضاعَف ومستدام تواجهه ونظيراتها.

جغرافيا الميليشيات... لبنان سبع مناطق

بعد عام ١٩٨٢، تاريخ إخراج الفصائل الفلسطينيّة من جنوب لبنان والشطر الغربي من بيروت، حتّى انتهاء الحرب عام ١٩٩٠، انقسم لبنان إلى سبع مناطقَ توزَّعت بين سيطرة الأحزاب - الميليشيات المختلفة، وكذلك تل أبيب ودمشق. وهي:

١- الشريط الحدودي، وكان في قبضة «جيش لبنان الجنوبي» واحتلته إسرائيل مباشرةً.

(٧٧) Sawssan Abou-Zahr, **Rape and Lebanon's war: longstanding impunity**, peaceinsight, 24 October 2022

(٧٨) مروى بلوط، **«أرى مُغتصبي اليوم على شاشات التلفزة»: LAW توثق الجرائم ضد النساء في الحرب اللبنانية**، موقع المفكرة القانونية، ١٦ حزيران ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٨ أيار ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:٣٣.

٢- الجنوب – شمال الشريط الحدودي، تحت الإشراف الكامل لـ«حركة أمل»، خاصّة بعد عام ١٩٨٨، وهذه منطقة ذات أكثريّة شيعيّة.

٣- صيدا، وكانت بإدارة «التنظيم الشعبي الناصري» ويسكنها لبنانيّون وفلسطينيّون معظمهم من السُنة، مع أقلّيات شيعيّة ومسيحيّة.

٤- «الجبل الدرزي»، وشمل أقضية الشوف، عاليه وإقليم الخرّوب، وقسمًا من المتن. ومثَّل معقل «الحزب التقدمي الاشتراكي».

٥- الضاحية الجنوبية لبيروت، بقيت تحت سيطرة «حركة أمل» منذ نهاية السبعينيّات حتى عام ١٩٨٨، ثم تحوَّلت المعقل الأساسي لـ«حزب الله»، وهي شيعيّة بغالبيتها.

٦- «المنطقة المسيحيّة»، وكانت تشمل بيروت الشرقيّة، المتن الشمالي، بعبدا، كسروان، جبيل وقسمًا من قضاء البترون. حتّى مطلع عام ١٩٨٩ بقيت «كانتونًا متجانسًا» قبل تمزّقه بسبب التقاتل المسيحي إلى وحدتين جغرافيّتين: الأشرفيّة، الجمّيزة، الدورة والنبعة، مع كسروان، جبيل والبترون في قبضة «القوّات اللبنانيّة»؛ والضاحية الشماليّة الشرقيّة لبيروت، وفيها بعبدا، المتن الشمالي، وبعض عاليه، وكانت بيَد عون.

٧- أما بقيّة البلاد فوقعت تحت وصاية القوّات السوريّة. ويُقصد بها الشطر الغربي لبيروت، البقاع، زحلة، عكّار وطرابلس، الكورة، بشرّي، زغرتا، وقسم من المتن الأعلى. وضمَّت ٢٥ إلى ٣٠ في المئة من المسيحيّين، نصف الشيعة وأربعة أخماس السُنة.[٧٩]

وهذه الخريطة لانشطار لبنان ضرورية لفهم تركيب امبراطوريات الميليشيات الاقتصادية.

اقتصاد الميليشيات... تقاتلٌ وتوافق

كما ذكرنا سابقًا، انحرفت الحرب عن مسار «القضية»، أيًا تكن، إلى التقاتل على مغانم الاقتصاد الأسود وبها، فتغيرت معالم الصراع وعناوينه، وتبدَّل الأعداء والحلفاء ولم يتوقف سقوط الضحايا. حين اكتسب العنف طابعًا اقتصاديًا، كان ممنهجًا بملايين الدولارات وصولًا إلى المليارات، تولاه قادة الميليشيات، وفرديًا مارسه صغار المسلَّحين لمكاسب شخصية. وأرسى التحارب الاقتصادي دُوَيلات غير شرعية على أنقاض السُلطة المركزية، تصارعت في

(٧٩) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ١٨٤-١٨٨.

بعض الرسوم الضريبية والمدفوعات التي كانت تفرضها الأحزاب

ما بينها أو تحالفت بحسب المصلحة والظرف، واعتاشت من ابتزاز المدنيين والمؤسسات.

طوَّرت التنظيمات المسلَّحة امبراطورياتها في مختلف الميادين، مرافئ غير شرعيّة، تهريب، تجارة مخدّرات، تبييض أموال، نظام ضرائبي رديف أو خوّات، استيراد سجائر ومشتقّات نفطيّة كانت تابعة للدولة، وتزوير منتجات صناعيّة. كما شملَ الاقتصاد الرديف المضاربة على العُملة، الإقراض بفوائد عالية، السوق السوداء في مجالَي الطحين والخبز، الأدوية، وصولًا إلى إحلال بدائل للخدمات العامة المعطّلة مثل المياه، الكهرباء والهاتف. (٨٠)

اختلفت التقديرات بشأن مداخيل الاقتصاد الأسود لكوْن الأرقام المُتاحة جمعَها باحثون في أوقاتٍ مختلفة وضمن معطيات متغيرة، لكن يُعتقد أنَّ ما غنمته الميليشيات عمومًا فاق الـ٣٠ مليار دولار.(٨١)

كان الاتجار بالمخدّرات على أنواعها المصدر الأكبر لتمويل معظم التنظيمات وتسليحها. وقد درَّ بين عامّي ١٩٧٥ و١٩٨٠، ١,٥ مليار دولار إلى ملياري دولار سنويًا. ومن المفارقات أنّ «اللوردات» تعاونوا في ما بينهم، وانسجموا في إنجاح هذه التجارة غير الشرعية، وإن كانوا أعداء في الحرب. احتكروا الأرباح وخصصوا الفُتات لأجور مقاتليهم الشبان. وانتشر تعاطي المخدّرات بين هؤلاء، ثمة مَن أدمنها ليبقى يقظًا على المتاريس ولدى ارتكاب المجازر كما أسلفنا، وآخرون للمتعة. وانخرطت مصارف، مغطاة بقانون السرّيّة المصرفيّة، في تبييض أموال المخدرات. واعتبر الباحث كمال ديب أنَّ علاقة الطبقة

(٨٠) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٨١) كمال ديب، **روجيه تمرز امبراطورية انترا وحيتان المال في لبنان ١٩٦٨-١٩٨٩**، المكتبة الشرقية، سن الفيل، ط ١، ٢٠١٨، ص ٢٨٣.

السياسيّة وميليشياتها الطائفيّة بحيتان المال كانت من أسباب حماية القطاع البنكي وعدم مسِّها به خلال الحرب.[٨٢]

في المقابل، كتب راندل أنّه «مع تصاعد موجات العنف والنهب الفردي والاحترافي، نهبت الميليشيات المسيحية المرفأ. بينما قام الفلسطينيون، وربما بمؤازرة لصوص أوروبيين، بأكبر سلسلة من السطو على البنوك. هكذا تلاشى أهم مصدرين في لبنان». ونقل عن ناجريان أو «نازو» تبريره سرقة موجودات مرفأ بيروت وسوقه الحرة المقدَّرة حينها بـ٧١٥ مليون دولار، بأنه امتثالٌ لضغوط مقاتليه الشبان ممن لمسوا علامات الثراء الفاحش على محاربين آخرين، مشيرًا إلى تبديد كل الأموال لاحقًا على «القمار والمخدرات والنساء».[٨٣]

تقاسمت الميليشيات المرافئ الرسمية وتلك غير الشرعيّة على طول الساحل اللبناني فبلغت مداخيلها منها خلال الحرب حوالي ٢,١ مليار دولار.[٨٤] وهنا عرضٌ لتلك المنشآت والجهات التي كانت تديرها، من الجنوب إلى الشمال.

كان مرفأ الناقورة في قبضة «جيش لبنان الجنوبي» واستخدمه لتهريب المخدّرات.[٨٥] وشكَّل مرفأ صور أحد مصادر دخل «حركة أمل» التي تقاضَت ٥٠ دولارًا عن أيِّ آليّة مستوردة.[٨٦] وهي أدارت كذلك مرفأ الزهراني لاستيراد المحروقات وتقاسمت عائداته مع ما بقيَ من الدولة، وذهبت حصّة منها إلى لحد. وكان لـ«التنظيم الشعبي الناصري» نصيبه من الرسومِ الجمركيّة في صيدا، وبعضٌ آخر لـ«جيش لبنان الجنوبي»[٨٧] الذي استوفى ٤٠٠ ليرة من كل باخرة تجارية رسَت فيها وصور، وكذلك ٢٥ ليرة على أي معاملة في مصلحة الآليات والسيارات في محافظة الجنوب، ومقرها صيدا.[٨٨]

(٨٢) كمال ديب، **روجيه تمرز امبراطورية انترا وحيتان المال في لبنان ١٩٦٨-١٩٨٩**، ص ٢٧٥-٢٧٨، ٣٣٧-٣٤٠.

(٨٣) جوناثان راندل، **حرب الألف سنة، حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، ص ٨٩-٩٠.

(٨٤) كمال ديب، **روجيه تمرز امبراطورية انترا وحيتان المال في لبنان ١٩٦٨-١٩٨٩**، ص ٢٨١.

(٨٥) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ١٨٤.

(٨٦) **حركة أمل في الجنوب: جهاز متردد... تأكله الفوضى**، الحياة، العدد ٩٨٩٢، ١ شباط ١٩٩٠، ص ٨.

(٨٧) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤٠٥.

(٨٨) **خوات تفرضها ميليشيات حداد على البواخر والمعاملات الرسمية في الجنوب**، السفير، ١ تشرين الثاني ١٩٨٢، العدد ٣٠٥٠، ص ٦.

ووقع مرفأ الجيّة ضمن نطاق نفوذ «الحزب التقدّمي الاشتراكي»،[٨٩] وكذلك منشأة خلده. وخضع مرفأ الأوزاعي لسُطوة «حركة أمل» منذ عام ١٩٨٤.[٩٠]

وضمَّت منطقة ما سُمّي «الكانتون المسيحي» مرفأي جونية وبيروت.[٩١] استورد الأول المواد الغذائيّة وسيّر خطًّا بحريًّا إلى قبرص، وكان في نهاية الثمانينيّات بيَد «القوّات اللبنانيّة». أمّا الحوض الخامس للثاني، ففي قبضتها أيضًا مع «الكتائب».[٩٢] والخوّة موجودة فيه حتى في آذار ١٩٧٥. وكانت لتفريغ البضائع بسرعة وتراوحت بين عشرة آلاف و٢٥ ألف ليرة، ثم تأمين تخزينها في العنابر والمستودعات. [٩٣]

أمسكَ «تيار المردة» بمرفأ شكّا الذي كان معَدًا لتصدير الإسمنت وفرض كذلك رسومًا على معامل هذه المادة، وتقاسم عوائدَ المنشأة مع «الحزب السوري القومي الاجتماعي» وجهات أخرى موالية للنظام السوري. أما «مرفأ المهدي» في طرابلس فأداره رجل الأعمال طارق فخر الدين لحساب «حركة التوحيد الإسلامي».[٩٤]

كان كلُّ شيء إذًا عرضة لـ«التشبيح»، كما التعبير العامي، حتى المقاعد الدراسية.[٩٥] وحملت الخوّات، وهي ممارسة عُنْفية اقتصادية، ذرائع لا تنسجم معها مثل «الدفاع عن الوطن»[٩٦] و«إعادة إصلاح الطرقات».[٩٧] كأنَّ «التشبيح» نبيلٌ وسامٍ!

درَّ نهب الأملاك الخاصّة والرسميّة وفرض الخُوّات نحو ١٢ في المئة من دخل الميليشيات في الحرب، أو ما قيمته ٣,٢ مليار دولار.[٩٨] واقتُطعت حصة من عائدات المهن الحرة والمنشآت الصناعيّة والتجاريّة والزراعيّة، كما المؤسسات الكبرى كـ«طيران الشرق الأوسط» وإدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية أو «الريجي».[٩٩]

(٨٩) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ١٨٥.

(٩٠) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٩١) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ١٨٦.

(٩٢) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤٠٤.

(٩٣) **خوة لتفريغ البضائع في المرفأ تنافس «الخوة» المفروضة على تخزينها**، السفير، ٢٨ آذار ١٩٧٥، العدد ٣٦٢، ص ٢.

(٩٤) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤٠٤.

(٩٥) **خوة الكتائب على الدولة**، السفير، ٢٢ آذار ١٩٨٠، العدد ٢١٢٦، ص ٧.

(٩٦) **«خوة» للدفاع عن «وطننا لبنان»**، السفير، ١٦ أيلول ١٩٧٥، العدد ٥٣٢، ص ٢.

(٩٧) **الحزب التقدمي الاشتراكي يوضح «مشروع الليرة»**، السفير، ٦ أيار ١٩٧٦، العدد ٧٥٨، ص ٣.

(٩٨) كمال ديب، **روجيه تمرز امبراطورية انترا وحيتان المال في لبنان ١٩٦٨-١٩٨٩**، ص ٢٧٩، ٢٨٢.

(٩٩) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤١٠.

على سبيل المثال لا الحصر، جبَت «حركة أمل» رسومًا من رُخَصِ البناء بـ١٥ ليرة، أي ثلاثة سنتات على المِتر المُربَّع، والتَسويات بنحو ٤٠ في المئة من قيمتها، كما تقاضت نصفَ دولار على كُلِّ صفيحةِ بنزين.[١٠٠] ووضعت خُوَّات على الملكيّة العقاريّة جنوبًا بمعدّل دولارَين للدونم، وضرائب غير شرعية على السلع الاستهلاكيّة.[١٠١]

بدوره جمَعَ بشير الجميّل ضرائب على البنزين، وفواتير المطاعم والملاهي الليلية، والكازينوهات المحظورة، والمعاملات العقارية، وكذلك غرامة سكن وفقًا لحجم المكان.[١٠٢] وتقاضت «القوّات اللبنانية» على حواجزها ما عادلَ ٢ في المئة من ثمن البضائع.[١٠٣]

ويمكننا أنْ نحسبَ في الاقتصاد الأسود ما واكب الاجتياح الإسرائيلي من قبيل وجود مكاتب لتبديل الليرة بالشيكل في الشوف ووكيل لطيران «العال» في صيدا. وإذا كان بعض الشبان اللبنانيين انخرطوا طوعًا في ما يجوز اعتباره تطبيعًا اقتصاديًا، فإنَّ الاحتلال الإسرائيلي كان في الوقت نفسه غزوًا اقتصاديًا. فقد كتب فيسك أنّه في إحدى زياراته لصيدا عام ١٩٨٣ لم يجِد ثمارَ برتقال أو حامض محلية، «لا فاكهة لبنانية على الإطلاق، فكلُّ صندوق برتقال، كل صندوق فاكهة خشبي جاء من إسرائيل [...] استلمه عبر الحدود سائقو شاحنات هددوا الصحافيين الذين حاولوا التقاط الصُوَر. الصادرات الإسرائيلية [القَسْرية] ساهمت في خسارة المزارعين اللبنانيين أعمالهم».[١٠٤] وحصَّل «جيش لبنان الجنوبي» في الناقورة خوّات بـ١٥ مليون دولار سنويًّا في مقابل تصدير سلع اسرائيليّة إلى الأسواق العربيّة على أنّها لبنانيّة.[١٠٥]

وحين شارفت الحرب على الانتهاء كان العنف الاقتصادي المتمثل بالاقتصاد البديل مُمسكًا بمعظم إدارات الدولة والقطاعات الإنتاجية، فكانت إيرادات «القوات اللبنانية» بملايين الدولارات، وفق غريمها عون. وهو إذ تحدث عنها في شباط ١٩٨٩ دون باقي الميليشيات من باب المناكفة والكيدية، فإنَّ الأرقام التي قدّمها كافية لتكوين فكرة عن مصلحة الجميع

(١٠٠) **حركة أمل في الجنوب: جهاز متردد... تأكله الفوضى**، الحياة، ص ٨.

(١٠١) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤١٠.

(١٠٢) جوناثان راندل، **حرب الألف سنة، حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، ص ١٠٧.

(١٠٣) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤٠٩.

(104) Robert Fisk, **Pity the Nation**, p 457, 543-544.

(١٠٥) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤١١.

فـي إطالـة الحـرب طمعًـا فـي مردودهـا. فقـد غنمـت «القـوات»، عبـر شـبانها المسـلحين، ٤٠٠ مليـون ليـرة مـن الدوائـر العقاريـة. وبلـغ مدخـول الحـوض الخامـس لمرفـأ بيـروت مئـة مليونًـا شـهريًا، فـي مقابـل مليـون مـن حركـة المسـافرين عبـر جونيـة، إلـى تقاضـي ٤٠٠ ليـرة عـن كل ٢٠ ليتـرًا مـن البنزيـن و٤ فـي المئـة مـن أي فاتـورة فـي كازينـو لبنـان وخـوّات علـى أصحـاب المصانـع، المتاجـر والمهـن الحـرة.[١٠٦]

(١٠٦) **الخوات والضرائب بالأرقام**، السفير، ١٨ شباط ١٩٨٩، العدد ٥٢٠٧، ص ٣.

الفصل الثالث: انتهت ولم تنتهِ

كما كان لـ«الآخرين» اليد في إشعال الحرب، كان قرارهم بإطفائها عبر «اتفاق الطائف». فمن بقوا على قيد الحياة من نواب مجلس عام ١٩٧٢ لم يجتمعوا في عاصمتهم بل التقوا في المَصْيَف السعودي في أيلول ١٩٨٩. ومن المفارقات أنَّ الاتفاق المُعَّد لإنهاء الحرب كان سببًا لتقاتل جديد، فاندلعت «حرب الإلغاء» بين عون وجعجع بين كانون الثاني وأيار ١٩٩٠، وهي مواجهة كانت نتائجها كارثية على المدنيين والمسيحيين خصوصًا، والرجلَين على السواء، إذ أدت إلى نفي الأول في آب ١٩٩١ وتوقيف الثاني في نيسان ١٩٩٤. وفي تلك الموقعة دليلٌ على أنَّ العنف لم يضع أوزاره إلا على الورق، فلا عدالة ولا محاسبة بل قانون للعفو العام[1] حوَّل أرباب الحرب إلى سياسيين متحالفين تارة ومتخاصمين طورًا في جبهات جديدة في البرلمان والحكومة والشوارع حين تطلَّبت المصالح المذهبية ذلك.

أبعد من ذلك، هل ثمّة تاريخ مرادف لـ١٣ نيسان يمكن اعتباره خاتمة للحرب؟ هل هو يوم ولادة «وثيقة الوفاق الوطني» في الطائف في ٣٠ أيلول ١٩٨٩ أو إقرار الاتفاق في ٢٢ تشرين الأول أو مصادقة النواب عليه في مطار القليعات في ٥ تشرين الثاني من العام نفسه، أو تبني معظم بنوده في تعديل دستوري في ٢١ آب ١٩٩٠، أو ١٣ تشرين الأول من العام نفسه حين حسمَ النظام السوري السابق لآل الأسد «حرب التحرير» وقصفَ قصر الرئاسة في بعبدا وقتلَ عشرات من عسكريي الجيش اللبناني الموالين لعون، أو لدى صدور قانون العفو في ٢٦ آب ١٩٩١؟

الطائف... نهاية الحرب أو تجميدها؟

لم يكن اتفاق الطائف منفصلًا عن محاولات سابقة، إذ «عُقدت اجتماعات ومؤتمرات ووُقعت اتفاقيات لإنهاء الحرب، كان أبرزها إعلان "الوثيقة الدستورية" (١٩٧٦)، ومؤتمر

(١) انظر/ي: **نص قانون العفو في الجريدة الرسمية**، ٢٧ آب ١٩٩١، العدد ٣٤، ص ١-٣.

القمة السداسي في الرياض (١٩٧٦)، وإنشاء قوات الردع العربية (١٩٧٦)، واتفاق شتورة (١٩٧٧)، ومؤتمر الحوار اللبناني في جنيف ولوزان (١٩٨٣-١٩٨٤)، والاتفاق الثلاثي في دمشق (١٩٨٥)، واجتماعات اللجنة السداسية العربية في تونس (١٩٨٨)، واللجنة الثلاثية العربية المنبثقة عن مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء [...] (١٩٨٩) التي دعت إلى عقد اجتماع لمجلس النواب اللبناني في مدينة الطائف السعودية لمناقشة وإقرار مسودة أُعدَّت لاتفاق ينهي الحرب في لبنان».[٢]

في رأي فواز طرابلسي أنه جاء «إحياء» لـ«الاتفاق الثلاثي» المُجهض برلمانيًا في شباط ١٩٨٦ وعسكريًا في آذار من العام نفسه. ففي ٢٨ كانون الأول ١٩٨٥ تعهد وليد جنبلاط، نبيه بري وإلياس حبيقة بحل الميليشيات في سنة. ثبَّت توافقُهم المناصفة بين المسلمين والمسيحيين وأقرَّ إلغاء الطائفية السياسية بعد فترة وتحقيق توازن بين صلاحيات رؤساء الجمهورية والحكومة ومجلس النواب لمصلحة الأخيرَيْن، وزيادة عدد النواب وخفض سن الاقتراع إلى ١٨ سنة وإنشاء مجلس شيوخ «على أساس التمثيل الطوائفي ويفصلُ في القضايا الحيوية المتعلقة بالتعديلات الدستورية والتجنيس وإعلان الحرب والسلام [...]».[٣]

بعد ثلاث سنوات ذهب إلى الطائف ٦٢ نائبًا، امتنع منهم حسن الرفاعي عن توقيع الوثيقة وتحفّظ توفيق عساف وزاهر الخطيب وتوعك إدوار حنين.[٤] قال الرفاعي الذي تغيَّب كذلك عن جلسة إقرار التعديلات الدستورية في ٢١ آب ١٩٩٠، إنَّ النواب استُدعوا إلى اجتماع عام «حيث تُلي النص المعدَّل [الموزَّع عليهم قبل يوم] وطُلب إلى الجميع أن يصوِّتوا عليه بالتزكية [...]»، منتقدًا تغييب «أصحاب الاختصاص [...] فلا تحدث فيه كل الثغر التي أحدثت أزمات سياسية تكاثرت [...] في حرب الرؤوس المتعددة في ظل غموض في الصلاحيات وتشابك في ما بينها». [٥]

أبعد من ذلك، «المشكلة ليست فقط في نصوص الطائف وفي صياغته التي أتت غالبًا ملتبسة، [...] بل إنَّ الخلل الكبير يعود إلى الممارسة وإلى الرجال الذين طبَّقوا الطائف

(٢) رمزي الحافظ، **الحلم اللبناني**، إنفوبرو، بيروت، ط١، ٢٠١٥، ص ١٠٩.

(٣) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٣٩٤-٣٩٦.

(٤) عباس هدلا، **مبادرات السلام في الحرب والسلم (١٩٧٥ -٢٠٢٥): المصالحة المؤجلة**، موقع نداء الوطن، ١٢ نيسان ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ١٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٢٥.

(٥) أحمد عياش – جوزف باسيل – حسَان الرفاعي، **حسن الرفاعي حارس الجمهورية**، ص ٣٢٤-٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٥.

منذ سنة ١٩٩٠، كما زاد الخلل منذ سنة ١٩٩٢ بإزاحة غالبية النواب الذين شاركوا في الطائف، ووصول مَن أتت بهم المخابرات السورية [...]».[٦] والأخطر أنّه كرَّس الوصاية السورية، في ما وصفَه مكرم رباح بـ«أثمان باهظة».[٧]

عمليًا فإنَّ «وثيقة الوفاق الوطني» لم تنهِ «الميثاق الوطني» المرافق لاستقلال لبنان والذي وصفه نواف سلام بـ«الملتبس»[٨] هو أيضًا، كأنَّ الالتباس يرافقُ الجمهورية منذ عام ١٩٤٣، إنْ لم يكن قبلًا. وهكذا يمكن القول إنّ الاتفاق جمّد النزاع الأهلي ولم يعالج أسبابه الجذريّة، واضعًا وقفًا للنار أكثر من صناعته تسويةً نهائيّةً.

جعل «الطائف» إبطال الطائفية السياسية هدفًا فضفاضًا. وتساءل رمزي الحافظ «كيف يُلغى ما هو غير موجود» كتابةً في دستورَي ١٩٢٦ و١٩٤٣، معتبرًا ذلك البند الأكثر إثارة للجدل إذ أدى إلى «شرْعَنة الطائفية السياسية».[٩] وإذا كان الاتفاق نصَّ على «إلغاء ذكر الطائفة والمذهب في بطاقة الهوية»، فإنَّ قلة من الشبان والشابات قامت بذلك طوعًا قبل أنْ تضطرها الطائفية المتجذرة في المجتمع إلى التراجع،[١٠] وذلك في عنف ممنهج يتقاسمه رجال الدين والمؤسسات العامة في عرقلة الزواج والطلاق والإرث والتوظيف لِمن لا ينضوون وينضوين تحت مظلة الطوائف.

(٦) أحمد عياش – جوزف باسيل – حسّان الرفاعي، **حسن الرفاعي حارس الجمهورية**، ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٧) مكرم رباح، **النزاع على جبل لبنان، الذاكرة الجماعية وحرب الجبل**، ص ٤٨٩.

(٨) نواف سلام، **لبنان بين الأمس والغد**، شرق الكتاب، الطبعة العربية الأولى، أيار ٢٠٢١، ص ٦٨.

(٩) رمزي الحافظ، **الحلم اللبناني**، ص ١١١.

(١٠) حلا نجار، **شطب المذهب، «خطأ» مخالف للواقع: أو حين تسترد الطوائف أبناءها الضالين**، موقع المفكرة القانونية، ٢٢ حزيران ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٤٩.

ويمكننا في مرور سريع على نص الوثيقة[١١] تعداد المخالفات التي أعقبتها وما بقي خارج التطبيق منها. فعلى سبيل المثال لا الحصر لم يتحقق الفصل بين السُلطات، ولا الإنماء المتوازن للمناطق، أو الإصلاح المالي والاقتصادي والاجتماعي في «المبادئ العامة». وقِس على ذلك. ولا يتحمَّل أرباب الحرب المتحوّلون إلى السياسة وحدهم مسؤولية القُصور، فالسلطات المحلية المنتخبة متورطة كذلك في انتهاك الاتفاق الذي أكَّد حق كل لبناني في الإقامة حيثما أراد، في حين أنَّ بلديات حظرت سكن المختلفين مذهبيًا في نطاقها الجغرافي،[١٢] في ممارسة عُنْفية إقصائية مستعادة من زمن الحرب.

وننقل عن نواف سلام ما كتب قبل سنوات من توليه رئاسة الحكومة عام ٢٠٢٥ عن الاتفاق الذي «فشل عبر تطبيقه الجزئي المشوّه في وضع لبنان على طريق بناء دولة. [...] وما باتَ مطلوبًا اليوم هو معالجة اختلالات الطائف وتطويره».[١٣]

المهجرون، المخطوفون والمفقودون... ديمومة الحرب في السلم

وضعَت الحرب أوزارها بحصيلة ثقيلة، فإلى مفقوديها الـ١٧٤٥٢، حصدت ١٥٠ ألف قتيل وقتيلة، وأصيب فيها ٣٠٠ ألف شخص بينهم أصحاب إعاقات دائمة. وخلال مراحلها المختلفة تهجَّر أكثر من مليون شخص ونزح نحو ٦٠٠ ألفًا من ١٨٩ بلدة وقرية مسيحية وإسلامية، أي ما يعادل ٢١,٨ في المئة من مجموع السكان[١٤] حينذاك. وعند طرابلسي، نقلًا عن بطرس لبكي وخليل أبو رجيلي، أنَّ ٦٧٠ ألف مسيحي هُجِّروا، خصوصًا من المناطق المختلطة مع الدروز في مقابل ١٥٧ ألفًا من المسلمين، معظمهم شيعة، في ما سمَّاه «تطهيرًا طوائفيًا» و«تصفية ديموغرافية» في المناطق أعقبه «طرد» المختلفين سياسيًا داخل المذهب الواحد نفسه.[١٥]

(١١) **اتفاق الطائف، وثيقة الوفاق الوطني – اتفاق الطائف**، موقع مجلس النواب اللبناني، تاريخ الدخول: ١٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٥١.

(١٢) انظر/ي: جوني فخري، **في «بلد العيش المشترك».. بلدية في لبنان تُقصي المسلمين!**، موقع العربية.نت، ٢٠ حزيران ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ١٩ حزيران ١٩:٢١.

(١٣) نواف سلام، **لبنان بين الأمس والغد**، ص ١٢٠.

(١٤) **الحرب الأهلية اللبنانية.. صراع استمر ١٥ عامًا وأرسى نظامًا سياسيًا جديدًا**، موقع الجزيرة.نت، ١٣ نيسان ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة ١٨:١٨.

(١٥) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤١٤.

مبنى متضرر بسبب الحرب الأهلية

بعد نهاية الحرب أنشئت وزارة شؤون المهجّرين لرعاية المصالحات ومعالجة ملفّات الذين غادروا مناطقهم قسرًا وإعادتهم إليها بعد دفع تعويضات. لكنّ الأمور لم تسِر كما يُفترض بدليل استمرار وجود الوزارة حتى لحظة كتابة هذا البحث عام ٢٠٢٥، مع العلم أنَّ كمال شحادة الذي يشغلها حاليًا مع حقيبة الدولة لشؤون التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي توقع أن يكون آخر من يتولاها لأنَّ «دورها انتهى وستذهب نحو الإقفال»، ليس من باب الإنجازات، بل لأنَّ «لا أموال في الوزارة» منذ عام ٢٠١٧.[١٦] حينذاك كانت في عُهدة القاضية أليس شبطيني التي قالت إنَّ آلافًا تلقّوا دفعة أولى من التعويضات ولم يتقاضوا الباقي، «وهذا يشكّل قمّة الظلم بحقّ هؤلاء الذين هجّرتهم الحرب أوّلًا وحُرموا من حقوقهم ثانيًا»، ذلك أنّ «كلّ حزب أو طرف يعمل لمصلحته ويخدم جماعته على حساب المواطن الضحيّة الذي يفقد ممتلكاته المحتلّة، وعلى حساب الدولة التي لا حول لها ولا قوّة».[١٧]

وبهذا الاعتراف بهشاشة الدولة، استمرّ الملف جرحًا نازفًا، إذ أنّ عودة الناس فِعلُ مصالحة مع الأرض والذاكرة، ووجه من وجوه العدالة المطلوبة لمعالجة تبعات الماضي، وبذلك استمرَّ انسلاخ بعض الشباب عن مناطقهم الأصلية.

وفي الإطار نفسه، يكرِّسُ حجبُ الحقيقة بشأن مصير المفقودين والمخطوفين ألمَ أفراد عائلاتهم ويعمِّق شعورهم باللاعدالة واستمرار الحرب وذكرياتها عندهم، خصوصًا أنَّ معظم أحبابهم احتجزوا على أيدي الميليشيات التي باتت تدير سُلطة السلم ولن تُدين نفسها بطبيعة الحال. اكتُفي لسنوات بلجنة أمنيّة وأخرى وزاريّة – قضائيّة ولم يتحرّك أحد

(١٦) **«سأكون الوزير الأخير للمهجرين».. شحادة: التكنولوجيا ستنقل لبنان لعالم أفضل وأبناؤنا رواد الابتكار**، موقع نداء الوطن، ١٨ نيسان ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٢٤.

(١٧) **بعد ٣ عقود على إنشائها... وزارة المهجّرين نحو الإقفال؟**، موقع أم تي في، ١٠ حزيران ٢٠١٨، تاريخ الدخول: ٢٢ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٠٢.

بجدَية ومسؤولية رغم توفّر معلومات شعبيّة عن المدافن الجماعية.[١٨] قالت حلواني إنَّه حتى في كشف المقابر اعتُمدت «سياسة ٦ و٦ مكرّر، ولم يسلّمونا أيّ دليل ونشروا صفحة ونصف فقط».[١٩] وجاء تشكيل «الهيئة الوطنية المستقلة للمفقودين والمخفيين قسرًا» في تموز ٢٠٢٠ خطوة صغيرة إلى الأمام على درب جلجلة العدالة.

إلى المهجرين والمخطوفين، هناك متضررون آخرون لا يدخلون في إحصاء الضحايا مثل من قضوا رعبًا من القصف أو قهرًا في انتظار عزيز خُطف ولم يعد. وكذلك مَن دفعتهم الحرب وخسائرهم الإنسانية والاقتصادية فيها إلى الهجرة. ولدى لبكي وأبو رجيلي أنَّ هؤلاء ٨٩٤٧١٧ شخصًا، فيهم الكثير من الشبان والشابات. يُضاف إليهم أكثر من مئة ألف شخص، معظمهم من المسيحيين، غادروا إلى كندا والولايات المتحدة وأستراليا نتيجة ما سمّاه طرابلسي «حروب الجنرال»[٢٠] عون. ومن المفارقات أنَّ مقاتلين متعددي الولاءات هاجروا أيضًا لدى انتهاء الحرب أو بعد ذلك، كانوا شبانًا حين اندلعت وآثروا الابتعاد عند الخاتمة. وفي دراسة «بالروح بالدم...» أعلن ٨٢,٣ في المئة أنّ رفاقًا لهم رحلوا عن البلاد.[٢١]

رواسب الحرب... أثقال نفسية

كما لم يحمل اتفاق الطائف العدالة بالنسبة إلى ضحايا الحرب وذوي المفقودين، فإنه أهمل تأهيل المقاتلين الذين دخلوا الصراع يافعين وخرجوا منه مِن دون أي خبرة مع حياةٍ لا يكون العنف عنوانًا لها. وفق «بالروح بالدم...» تابعَ ٢,٧٥ في المئة علاجًا نفسيًا بعد نهاية التحارُب، وخضع ٨,٧٥ في المئة لمتابعة متخصّصة.[٢٢]

أفادت مونيكا بورغمان في مقابلة لغايات هذا البحث أنَّ المقاتلين الستة الذين ظهروا في وثائقي «مساكر» عاشوا طفولة قاسية مع آباء معنِّفين، وتلك الملاحظة ليست بأي حال تخفيفًا مما ارتكبوه قبل مجزرة صبرا وشاتيلا وبعدها. وانتقدت قانون العام العفو،

(١٨) نادر فوز، **المفقودون والمهجرون: الحرب الأهلية اللبنانية لم تنته**، موقع العربي الجديد، ١٣ نيسان ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ٢٢ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:١٤.

(١٩) فاطمة خشاب درويش، **قضية المفقودين في لبنان: لن ننسى**، موقع الأخبار، ٢ شباط ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٢ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٤٣.

(٢٠) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤١٥، ٤٢٣.

(٢١) **بالروح بالدم... دراسة إحصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٦٣.

(٢٢) **بالروح بالدم... دراسة إحصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٢٣.

«الخطيئة الكبرى»، لتكريسه الإفلات من العقاب، إذ حمى زعماء الميليشيات لكنه ترك مجنّديهم الشبان في مواجهة ما اقترفوه. وأضافت أنَّه حين العمل على المشروع، وهدفه دراسة العنف الجماعي في الحرب، كان المُحاوَرون لا يزالون يدافعون عن «قضيتهم»، حتى أنَّ أحدهم قال في حديث لم يُعرض في الشريط إنَّه يستحيل قبوله باحتمال ارتباط ابنته بشاب فلسطيني، ملوحًا بقتله لو حدث ذلك. بقي العنف إذًا في نفوسهم، وأحدهم صار متعاقدًا أمنيًا في العراق، مستعيدًا السلاح لكسب العيش.[٢٣] وبالعودة إلى دراسة «بالروح بالدم...»، رفض ١٢,٥ في المئة فيها مسامحة أعداء الأمس.[٢٤]

ووجه أسعد شفتري بالاستهزاء والتشكيك وتلقى تهديدات بالقتل حين اعتذر[٢٥] منفردًا، من دون أي غطاء حزبي، عام ٢٠٠٠ «من جميع الأشخاص الذين كنتُ جلادهم أو كانوا ضحيتي [...] باسم لبنان أو "القضية" أو "المسيحية" [...] ليس كموقف ضعف بل كموقف مسؤول. وليس لهذا أي علاقة بأي تدابير قد يقوم بها القضاء اللبناني باسم الشعب اللبناني اللذين أجِّل وأحترم».[٢٦]

وقد مضى لاحقًا إلى اعتذارات خاصة ومحددة في زيارات للأحياء مِن ضحاياه أو عائلات ذوي من قضوا، و«كان هناك ألم ومرارة ولكن سامحني كثيرون».[٢٧] وبين هؤلاء حسن الرفاعي الذي نجا من محاولة اغتيال كان هو وراءها عشية جلسة انتخاب بشير الجميّل.[٢٨] وأشار المُقاتل التائب إلى أنَّ قانون العفو الذي لم يلحظ إعادة تأهيل المقاتلين ودمجهم في مسارٍ مِن الخدمة المجتمعية والحقيقة والمصالحة،[٢٩] كان يجب أن يكون منطلقًا لتأسيس مؤسسات وطنية لمساعدة ذوي المفقودين والمصابين.[٣٠]

(٢٣) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث مع مونيكا بورغمان في ١٨ حزيران ٢٠٢٥، في مقر «مؤسسة أمم للتوثيق والأبحاث» في بيروت.

(٢٤) **بالروح بالدم... دراسة إحصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٤٩.

(٢٥) Sawssan Abou-Zahr, **A religious fanatic turned peace advocate**, peaceinsight, 10 November 2014, accessed on 24 June 2025, time: 21:00

(٢٦) **شفتري في «رسالة إلى ضحاياه»: أعتذر عن أفعالي باسم لبنان**، النهار، ١٠ شباط ٢٠٠٠، العدد ٢٠٥٧٤، ص ٥.

(٢٧) Sawssan Abou-Zahr, **A religious fanatic turned peace advocate**, peaceinsight, 10 November 2014

(٢٨) أحمد عياش – جوزف باسيل – حسّان الرفاعي، **حسن الرفاعي حارس الجمهورية**، ص ٢٤١.

(٢٩) Sawssan Abou-Zahr, **A religious fanatic turned peace advocate**, peaceinsight, 10 November 2014

(٣٠) جوزف عيساوي، **حوار مع «التائب» أسعد شفتري: لم أبح بارتكاباتي سوى لقلة...**، النهار، ٩ أيار٢٠٠٠، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٤ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٥٧.

شفتري عضو مؤسس في جمعية «محاربون من أجل السلام»[٣١] مع أربعة آخرين بينهم فؤاد الديراني، الأستاذ الجامعي حاليًا الذي كانت لنا معه مقابلة لغايات هذا البحث. وبدوره اعتبر أنَّ قانون العفو الذي نقلَ أسياد الميليشيات «من البزات العسكرية إلى ربطات العنق» وأدخلَ أتباعهم، من دون استحقاق وكفاءة، إلى المؤسسات الرسمية؛ حجبَ العدالة عن المتضررين من المدنيين والجرحى والمفقودين. وذلك كرَّس نهج الإفلات من العقاب والتلاعب بالقانون و«انسحابَ الدولة الموعودة بعد اتفاق الطائف مِن أي مسؤولية اجتماعية واقتصادية ونفسية حيال الضحايا، وشكَّل باكورة التقاسم والتحاصص بين قادة الميليشيات الذين تولوا الحُكم في استيعاب عناصر مُختارين في الجيش، بما لا يخلُّ بالتوازن الإسلامي – المسيحي، فكان الأمر محدودًا وعكسَ التغاضي عن إعادة تأهيل آلاف المقاتلين». معظم هؤلاء «تُركوا يتباهون ويتفاخرون»، ثُمة مَن كانوا رموزًا وقياديين من المستوى المتوسط تبجحوا بـ«كسر الآخرين»، فبقيت كلماتهم مسموعة لدى شبان جدد في الأوساط نفسها التي كانوا يتزعمونها، وكذلك حال متبنّي خطاب «التشكّي والمظلومية وسلب الحقوق والاضطهاد».[٣٢]

تغييب العدالة... عنف تحت الرماد

في محاولة لتفكيك تقاطعات حروب ما بعد الحرب الكبرى وحلقات العنف المتناسلة في لبنان، سألنا عن تأثير تغييب العدالة على مَن كانوا شبابًا غير مقاتلين في الحرب، وعلى جيل وأكثر من الشباب لم يختبرها لكنه يحيا في ظل تداعياتها النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والعُنْفِية.

قالت الباحثة تيا صاغريان في مقابلة لغايات هذا البحث إنَّ قانون العفو نسَف

(٣١) شرح الدكتور فؤاد الديراني في مقابلة مع كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب في ٢٦ حزيران ٢٠٢٥ كيفية تأسيس «محاربون من أجل السلام» على أيدي أشخاص شاركوا في الحرب والتقوا مصادفة في إطار تجمع «وحدتنا خلاصنا» الذي نشأ عام ٢٠٠٨ للعمل على تحقيق السلم الأهلي. وحين اندلعت المعارك بين باب التبانة وجبل محسن عام ٢٠١٢، عقد خمسة من هؤلاء كان الديراني بينهم مؤتمرًا صحافيًا تحت عنوان «مِن مقاتلي الأمس إلى مقاتلي اليوم» لحضّهم على عدم تكرار تجربة الحرب. وبعد الصدى الإيجابي لخطوتهم قرروا إطلاق «محاربون من أجل السلام» وحرصوا على أن يشير عنوانها إلى كونهم مقاتلين سابقين للتأكيد على أنَّ التغيير ممكن، فـ«إذا تغيرنا نحن بعدما كنا نترصَّد بعضنا البعض على المتاريس، فكل تغيير آخر ممكن»، وللتأكيد على أنَّ العنف ليس حلًا لأي خلاف.

(٣٢) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع الدكتور فؤاد الديراني في ٢٦ حزيران ٢٠٢٥.

مسارات العدالة الانتقالية. ورأت أنَّ أي محاسبة، ولو مِن دون محاكمات، كانت لتكون نوعًا من العدالة في أدنى مستوياتها، من قبيل تجريد قادة الميليشيات من حقوقهم المدنية وتجنيبهم السجن في مقابل فتح المجال أمام وجوه شابة لم تلوثها الدماء وتحقيق تغيير، وإن طفيف، في الحُكم لكبح استيلاد حلقات العنف. نظريًا، كانت البلاد بحاجة إلى لجانٍ للحقيقة والمصالحة تواكب اتفاق الطائف. غير أنَّ الاعتراف الجماعي بالمسؤولية عن الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان لم يحدث، ولا الاعتذار السياسي مِن قِبل الدولة ككيان ومؤسسات، أو كفعلٍ مشترك من مرتبكي العنف والجرائم، إذ كان فرديًا ومحدودًا كنموذج شفتري، مما أحبطَ هدف العدالة الانتقالية. أضِف أنَّ لجان الحقيقة والمصالحة كان يجب أنْ تتضمَّنَ نقدًا ذاتيًا واعتذارًا واضحَ الكلمات والغايات من اللبنانيين نحو الفلسطينيين والعكس.[٣٣]

واعتبرت بورغمان إعدادَها وسليم لوثائقي «مساكر» شبيهًا بدور لجان الحقيقة والمصالحة، مع العلم أنَّ المشاركين لم يُبدوا ندمًا باستثناء شخص بدا أكثرهم قلقًا في الفيلم، وقد أرجعت اضطرابه إلى الإشفاق على الذات.[٣٤]

كما أنَّ قانون العفو العام الموضوع على مقاس أرباب الحرب لم يذكر المقاتلين الفلسطينيين، وقبله غابَ عن اتفاق الطائف تسمية هؤلاء بذاتهم، وإن يكونوا المقصودين بحل الميليشيات «غير اللبنانية». وتاليًا يمكن تصنيف المدنيين الفلسطينيين بين ضحايا الحرب المنسيين، فبَينَهم أيضًا مخطوفون ومهجرون ومُغتصبات، ولا يمكن اختزالهم بمصطلح «الميليشيات». وهكذا فاتَ «الطائف» أن يكون منطلقًا لمصالحة لبنانية - فلسطينية تنهي رواسب العنف الحربي، خصوصًا تلك النفسية والاجتماعية.

في مقابلة لغايات هذا البحث، عرض الصحافي والناشط الحقوقي الفلسطيني - اللبناني أنيس فضل محسن رؤيته لعلاقة سِلمية وسليمة بين اللبنانيين والفلسطينيين. وأشار على سبيل المثال إلى مبادرة المنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان عام ٢٠٠٥ لجمع شبان فلسطينيين من مختلف الأطياف السياسية بنظراء لبنانيين متعددي الطوائف والانتماءات؛ وفيها تموضعَ

(٣٣) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث مع الدكتورة تيا صاغريان المحاضرة في جامعة دندي الاسكتلندية، في ١٥ حزيران ٢٠٢٥ في بيروت.

(٣٤) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث مع مونيكا بورغمان في ١٨ حزيران ٢٠٢٥، في مقر «مؤسسة أمم للتوثيق والأبحاث» في بيروت.

المشاركون، وبينهم الفلسطينيون، لدى إثارة مواضيع خلافية خلف شعارات ٨ و١٤ آذار السائدة حينها. وذلك يعني أنَّ «اللاجئين الفلسطينيين متأثرون، بطريقة أو أخرى، بالطبائع الانقسامية في لبنان، ولا بد، لبنانيًا وفلسطينيًا، مِن غرس مفهوم المواطَنة، قبل لقاءات المصالحة أو بالتوازي معها. أما سياسيًا، وعلى رغم وثيقة منظمة التحرير الفلسطينية التي اعتذرت[٣٥] فيها عن دورها في الحرب اللبنانية، وعقدها اجتماعات مع من كانوا على عداوة معها؛ فإنَّ تحميل الفلسطينيين مسؤولية الحرب استمرَّ، وهذا نابعٌ من مفهوم الإنكار، ولوم الآخر، أي آخر، بما في ذلك الفلسطيني. لذا فإنَّ ما يحتاجه شباب لبنان هو العودة إلى العدالة الانتقالية، لإظهار الحقائق والاعتراف بها، ثم المصالحة والمسامحة».[٣٦]

الكتاب الغائب والذاكرة الممزقة

تزامنًا لا يمكن العبور من الماضي العنيف إلى حاضر ومستقبل أقل عنفًا من دون إعادة التفكير النقدي في تاريخ لبنان، خصوصًا ما يُراد للناشئة معرفته عنه.

والملاحظ أنَّه خلال فترة الحرب سُجلت زيادة واضحة في المؤلَّفات التاريخيّة التي استُخدمت أداة ترويج لبعض المواقف الأيديولوجيّة. وارتدَّت معظم هذه الأعمال للدفاع عن مذهب المؤلّف، فباتت الطائفيّة دافعًا محرِّضًا على الكتابة التاريخيّة.[٣٧]

ردًا على سؤال لغايات هذا البحث عن دور الإصلاح في تدريس التاريخ، خصوصًا ما يتعلق بالحرب، في إبعاد الشباب عن العنف، ربطت الخبيرة التربوية نايلة خضر حمادة الأمر بسياق تعليمي ومجتمعي عام. وهي إذ أشادت بجدية عمل اللجنة الحالية المولجة إعداد مضامين مناهج التاريخ في مختلف المراحل الدراسية لناحية نبذ حشو المعلومات وتشجيع مهارات التحليل والمقارنة لدى التلامذة، وتقريب المادة بذلك من

(٣٥) انظر/ي: غسان سعود، **اعتذار ملتبس يربك الفلسطينيّين «الآخرين» ويقسّم اللبنانيّين**، موقع الأخبار، ١١ كانون الثاني ٢٠٠٨، تاريخ الدخول: ١٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٢٠؛ **عباس زكي: خطوة الاعتذار للفلسطينيين الذين سقطوا بالحروب بلبنان تشكل بداية طيبة للفهم المتبادل**، موقع دنيا الوطن، ١٢ نيسان ٢٠٠٨، تاريخ الدخول: ١٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٣٠.

(٣٦) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع أنيس فضل محسن في ٢٥ حزيران ٢٠٢٥.

(٣٧) أكسيل هافمان، **التاريخ وكتابة التاريخ في لبنان خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، الفهم الذاتي للتاريخ: أشكاله ووظائفه**، طبع بإشراف المعهد الالماني للأبحاث الشرقية في بيروت في مطبعة كومبيوبرنت، بيروت، ط ١، ٢٠١١، ص ٢٦٩-٢٧٠.

اشكالات وجرحى في تظاهرة حول كتاب التاريخ ومضامينه

البُعد الإنساني على حساب الجانبَين السياسي والعسكري؛ تخوَّفت من عدم وجود جرأة كافية لمقاربة الحرب بعيدًا من التسطيح والاختزال والعموميات في اختيار المصطلحات والمواضيع في ظل استمرار تباين نظرة اللبنانيين إلى ماضيهم.[٣٨]

ولم تمر محاولات سابقة لإعداد كتاب موحد للتاريخ بلا عنف، فسقط جرحى عام ٢٠١٢ في احتجاج حزبَي «الكتائب اللبنانية» و«الوطنيين الأحرار» على «إهانة لمقاومتنا وتضحيتنا».[٣٩] وأوضح وزير التربية الأسبق حسن منيمنة أنَّ «الكتائب مثلًا اعترضَ على تسمية الأحداث بينه وبين القوات السورية مواجهات وليس مقاومة [...]».[٤٠]

وانتقدت حمادة ما ورَد في اتفاق الطائف بشأن «إعادة النظر في المناهج وتطويرها بما يعزز الانتماء والانصهار الوطنيَين، والانفتاح الروحي والثقافي وتوحيد الكتاب في مادتّي التاريخ والتربية الوطنية»، رافضةً تذويب اختلاف المكونات اللبنانية في بوتقة «الانصهار»، الأمر الذي من شأنه زيادة الهواجس وما يرافقها من تقوقع وعنف محتملَين، بدل الاعتراف بالتعدُّد كصفة أساسية للهوية الوطنية. وأكدَّت أنَّ اعتماد سرديات عدة في تعليم التاريخ يشجع الناشئة على انتهاج التفكير النقدي وفهم الأحداث في سياقها وكذلك اكتساب التعاطف وبناء لغة الحوار والتواصل السلمي وتقدير الآخرين، وكلها آليات مضادة للعنف. وحذَّرت من أنَّ خروج كتاب التاريخ المرجو برواية أحادية سيؤدي

(٣٨) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث مع مؤسِسة «الهيئة اللبنانية للتاريخ» الدكتورة نايلة خصر حمادة في ٢٠ حزيران ٢٠٢٥ في بيروت.

(٣٩) **تظاهرة كتاب التاريخ تحوّلت إشكالًا أسقط جرحى**، الشرق، ١٢ آذار ٢٠١٢، ص ١٢، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٤ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٢٥.

(٤٠) **منيمنة لـ«الحياة»: تاريخنا خلافي منذ الأمير بشير**، الحياة، ١٣ آذار ٢٠١٢، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٤ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٣٥.

إلى تدريس تاريخ موازٍ في المؤسسات التربوية الخاصة التابعة للأحزاب السياسية وتلك الدينية الطابع بحسب أهواء الأساتذة. (٤١)

وليست مصادفة اختيار كمال الصليبي للفصل الحادي عشر مِن كتابه «بيت بمنازل كثيرة» عنوان «الحرب حول كتاب التاريخ» في إطار تشريحه للتباينات اللبنانية، مِن وصف الأمير فخر الدين بـ«المؤسس الأول للبنان الحديث» أو كونه مجرد «شخصية درزية اختُلِف في شأنها». وفي رأيه أنَّ كل محاولات صياغة تعليم التاريخ منذ عام ١٩٣٥ كانت «تتغاضى عن أكثر المواضيع حساسية [... وهي تلك] المتعلقة بهوية لبنان التاريخية». وتحدث عن تاريخ موازٍ ينافي «السرد الرسمي» كما في تدريس مدارس الشوف في الثمانينيات المادة من رؤية «السرد الدرزي». (٤٢)

وتطرَّق الديراني إلى خطورة غياب ذاكرة وطنية جماعية متصلة الحلقات وغير انتقائية تعترف «بأنَّ فريقًا أخرج الاحتلال الإسرائيلي من لبنان وآخر ضغطَ ليتحقق الانسحاب السوري»؛ ملاحظًا من موقعِه الجامعي شدة حضور الذاكرات الفردية لدى الشباب بما فيها مِن تساهل حيال الجماعة الخاصة وتبرير أخطائها وعنفها ولوم الآخرين. ولا بدَّ لتفكيكها من الاستماع إلى السرديات المختلفة وتعزيز العقل النقدي(٤٣) لدى جيل ما بعد اتفاق الطائف، ورثة تروما الحرب.

في هذا الإطار كان مشروع «بدنا نعرف»(٤٤) الذي شاركت فيه مؤسسة «أمم للتوثيق والأبحاث»، وفيه مَن لم يعِش الحرب سأل مَن اختبرها عن يومياتها. على سبيل المثال أفادت كارين أنّهَ شجَّعها على «العودة إلى الماضي لفهم الحاضر لأن التاريخ يكرر نفسه [...]». وساعد المشروع كريستين في إدراك ما عاناه والداها. ورأت فاطمة أنَّ مقاربة التاريخ الشفهي هي الأفضل لشرح «الأسباب الغامضة» للحرب لجيلها. واعترفت رنا بأنَّها

(٤١) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث مع مؤسِسة «الهيئة اللبنانية للتاريخ» الدكتورة نايلة خصر حمادة في ٢٠ حزيران ٢٠٢٥ في بيروت.

(٤٢) كمال الصليبي، **بيت بمنازل كثيرة، الكيان اللبناني بين التصوّر والواقع**، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة نوفل، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ٢٤٩-٢٥١، ٢٥٣.

(٤٣) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع الدكتور فؤاد الديراني في ٢٦ حزيران ٢٠٢٥.

(٤٤) مشروع «بدنا نعرف» أطلقته «أمم للتوثيق والأبحاث» عام ٢٠١٢ مع شركاء محليين ودوليين بهدف زيادة الوعي بين الطلاب والطالبات بشأن الحرب وتدريبهم/ن على التاريخ الشفهي لتعزيز الحوار حول الحرب وفهم آثارها من خلال تسجيل شهادات عن يومياتها.

راجعت تعصبها وصارت أكثر تقبلًا للرأي المختلف. وأعانَ المشروع ماريا على فهم الآثار الاجتماعية للحرب، متسائلة ما لا نزال نطرحه إلى اليوم: «هل سنعيش يومًا في وحدة لا يستطيع أي نزاع هزها أو تهديدها؟».[٤٥]

وإذا كان إرث الحرب ثقيلًا على شبان وشابات ما بعدها، عبر ما غُرس في النفوس وقيل في البيوت، فكيف إذا كان الآباء مقاتلين وعلى أيدي بعضهم دماء. وفق «بالروح بالدم...» إنّ معظم أفراد العينة لم يتحدثوا إلى ذريتهم عن الحرب، ولم تتجاوز نسبة المستعدين لنقل عِبَر إيجابيّة إلى الأبناء عتبة ٣٠ في المئة. أعلن ٢٩,٨ في المئة منهم تنبيههم إلى ضرورة تجنُّب الحرب، وتطرَّق ٢٩,٥ في المئة إلى بشاعتها، كما أنَّ ٢٢,٣ في المئة منهم كانوا جاهزين للَفتِ أولادهم إلى ضرورة إتمام المصالحة. ورفض ٦١,٥ في المئة انخراطهم في القتال، بينما رضي ١٣,٥ في المئة بذلك.[٤٦]

ويشير غياب حوار غالبيّة المشاركين في الحرب مع أبنائهم بشأنها، إلى رغبة في طيّ صفحتها بالتجاهل أو لشعورٍ بالذنب، أو أنَّها لم تكن تستحقّ خوضها. وهذا سيفٌ ذو حدّين إذ يشيحُ أنظار الأجيال التالية عن تجارب الأهل وسياقاتها، مما يجعلها عُرضة لإعادة الأخطاء أو تبنّي روايات موجّهة جاهزة ومعلَّبة. كما أنَّ النتيجة المتدنية في عنوان المصالحة تعني أنّها لم تتحقق أو تصبح ثقافة مجتمعية رغم مرور أكثر من ثلاثة عقود على انتهاء الحرب. ومع أنَّ نسبة رافضي انخراط أولادهم في قتال جديد مرتفعة، فإنَّ وجود ١٣,٥ في المئة لم يعترضوا على ذلك مؤشر مقلق على أنّ رواسب العنف لا تزال حاضرة وحيّة.

الكشافة في خدمة التطييف، التسييس والعسكرة

ربطًا بما تقدَّم، وفي ظل هشاشة التنشئة الوطنية المتصالحة مع الآخر والنابِذة للعنف، بقي الانتماء المذهبي متحكمًا بهوية قسم كبير من شباب لبنان بعد الحرب. وانعكس ذلك على الجمعيّات الكشفيّة التي ليست مجرّد أطر تربويّة وثقافيّة لتنمية المهارات الفرديّة وروح العمل الجماعي، بل صار بعضُها أدواتٍ في أيادي الأحزاب السياسيّة – الطائفيّة تتلاعب

(٤٥) **مشروع «بدنا نعرف»**، موقع ليبانون ميموري، تاريخ الدخول: ٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٤٩.

(٤٦) **بالروح بالدم... دراسة إحصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ص ٢٥، ٤٨-٤٩.

بهـا لإعـداد مناصريـن جـدد علـى الـولاء والطاعـة، إلـى التدريـب العسـكري فـي بعـض النمـاذج.

تأسسـت «جمعيـة كشّـافة المهـدي» التابعـة لـ«حـزب اللـه» عـام ١٩٨٥ ورُخِّصـت عـام ١٩٩٢. وبلـغ عـدد منتسـبيها عـام ٢٠٢٢ مـا يقـارب ٧٥ ألـف شـخص.[٤٧] هدفهـا «إنشـاء جيـل إسـلامي وفـق التصـور الخـاص بـ"ولايـة الفقيـه" أي الالتـزام بتعاليـم المرجـع الدينـي فـي إيـران المرشـد السـيّد علـي خامنئـي».[٤٨] وهـي بذلـك إحـدى أبـرز أذرع الحـزب فـي مشـروعه التربـوي - التعبـوي والسياسـي - العسـكري. فبخـلاف الجمعيّـات التقليديّـة التـي تركّـز علـى المهـارات الحياتيّـة والعمـل التطوعـي والاهتمـام بالبيئـة، تتّخـذ هـذه الكشّـافة منحـى عقائديًـا واضحًـا زارعـةً باكـرًا فـي نفـوس الفتيـان قبـل الشـبّان الفكـر الدينـي المرتبـط بثقافـة «انتظـار» الإمـام المهـدي. ويُوظّـف هـذا النمـوذج لتحفيـز الاسـتعداد والجهوزيـة للقتـال إذ يخضـع كثيـرون مـن الشـبيبة لتدريبـات متنوّعـة. هكـذا تكـون «كشّـافة المهـدي» مدرسـة شـبه عسـكريّة مبطّنـة، تُعـدّ الشـباب، نفسـيًا وتنظيميًـا، ليتحـول بعضهـم مجنّديـن مسـتقبليين فـي «حـزب اللـه». وكثيـرون مـن هـؤلاء نعاهـم

كشافة المهدي

(٤٧) **Hezbollah's Children crafting supporters from the cradle to the grave, AlMahdi Scouts: The first community/collective**, Van 4, 20 October 2024, p 3, accessed on 2 July 2025, time: 14:07

(٤٨) وسام الأمين، **ملف حزب الله (٢): كشافة المهدي.. خزان المقاتلين والشهداء**، موقع جنوبية، ٢٦ نيسان ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢٣ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٣١.

الحزب في مواجهاته المختلفة، خصوصًا الحرب الأخيرة مع إسرائيل بين أيلول وتشرين الثاني ٢٠٢٤، «على طريق القدس».

على نحو مماثل، تُعتبر «كشافة جمعية الرسالة الإسلاميّة» من أهم أدوات «حركة أمل» التربويّة والتنظيميّة، وقد باشرت العمل عام ١٩٧٧ ونالت ترخيصها عام ١٩٨٣.[٤٩] الولاء الديني هنا هو للمرجع العراقي علي السيستاني، وعلى المستوى الداخلي لا شخصيّة تنافس الصدر. ولديها هي أيضًا تدريب عسكري للشبان، إذ رثَت الحركة بدورها في حرب ٢٠٢٤ مع تل أبيب العديد من الكشفيّين «دفاعًا عن لبنان والجنوب».

وبحسب موقع «الأنباء»، قامت «جمعيّة الكشّاف التقدّمي» عام ١٩٦٩. نهجُها «المعرفة واستكشاف الحقيقة» وممارسة نشاطات متنوّعة لتأهيل منتسبيها ليكونوا مواطنين فاعلين. غير أنَّها ضمنًا تُعِدّهم لتولي «مناصب متقدّمة في الحزب التقدّمي الاشتراكي»، تحت لواء تيمور، نجل وليد جنبلاط، وعلى طريق جده كمال.[٥٠]

مسيحيًا، تأسست «كشّافة المستقبل»، التي حُلّت مع «القوات اللبنانية»، على أيدي ضباط حزبيين،[٥١] في تناقض بين العمل الكشفي الصرف والخبرة العسكرية. ومع خروج جعجع من السجن، عاودت نشاطها تحت مسمّى «كشّافة الحريّة». ويتدَّرب المنخرطون فيها هم أيضًا على أساس الولاء الحزبي، يتلقّون مبادئ «القوّات» التي تنمّي فيهم «روح المقاومة» والتنشئة المسيحيّة في إطار شرح التاريخ الماروني.[٥٢]

يعود ترخيص «جمعيّة الكشّاف السرياني اللبناني» إلى عام ١٩٤٤ قبل تعديله عام ١٩٥٦.[٥٣] مع أدوارها الكشفيّة التقليديّة، واستحضارها الدائم لذكرى مجزرة سيفو التي استهدفت السريان والأشوريون إلى جانب الأرمن وغيرهم على أيدي العثمانيين، تدين

(٤٩) علي الفقيه، **كشافة الرسالة الإسلامية الإمام المغيب السيد موسى الصدر**، موقع الشيخ علي الفقيه، ٤ شباط ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٢٣ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٥٨.

(٥٠) أريج عمار، **الكشاف التقدمي: معايير عالمية من أجل مستقبل أفضل... على نهج المؤسس**، موقع الأنباء، ٢ كانون الثاني ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٤ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١١:١٠.

(٥١) **كشافة المستقبل**، موقع كشافة الحرية، تاريخ الدخول: ٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:٤٧.

(٥٢) غرازييلا فخري، **كشافة الحرية.. خبطة قدمهم على الأرض هدارة!**، موقع القوات اللبنانية، ١٣ أيار ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٣ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٢٠.

(٥٣) **تسوية وضع جمعية الكشاف السرياني اللبناني**، الجريدة الرسمية، العدد ٢٤، ٢٢ أيار ٢٠٠٣، ص ٢٧٦٧.

بـ«الـولاء غيـر المشـروط» لبطريـرك الكنيسـة السـريانيّة الأورثوذكسـيّة،[٥٤] مـا يحوّلهـا كغيرهـا امتـدادًا للمؤسّسـة الدينيّـة أو السياسـية المرتبطـة بهـا.

ويُشَبَّه «الحـزب السـوري القومـي الاجتماعـي» بـ«حـزب اللـه»، لناحيـة تنشـئة صغـاره وصغيراتـه ثـم شـبانه وشـاباته علـى سـردية خاصـة تقـدِّس القيـادة ومفهـوم الشـهادة. لهـؤلاء أيضًـا حركـة كشـفية خاصـة تنشـر التعاليـم الأيديولوجيـة المتشـرِّبة أفـكار أنطـون سـعادة الواجـب ممارسـتها كمـا حفظهـا قبـل العضويـة الفعليـة والرسـمية فـي الحـزب.[٥٥]

وتنشـط «كشـافة التربيـة الوطنيـة» التابعـة لـ«الحـزب الشـيوعي اللبنانـي» منـذ تأسيسـها عـام ١٩٥٤، ولا تـزال فاعلـة فـي مناطـق ذات حضـور يسـاري تاريخـي، وهـي أكثـر التزامًـا بالمبـادئ الكشـفية مـن نظيراتهـا الموجهـة طائفيًـا وسياسـيًا.

مظاهر منظّمة شبه عسكريّة... استعراضات القوة

امتهنـت الأحـزاب فـي زمـن السـلم أسـاليب عديـدة لإيصـال رسـائل فائـض القـوّة إلـى الآخريـن، خصومًـا وحلفـاء، منهـا المظاهـر شـبه العسـكريّة فـي المناسـبات السياسـيّة والدينيّـة المختلفـة.

يُعتبـر «حـزب اللـه» الأنجـح فـي إجـادة اسـتخدام هـذا الأسـلوب فـي احتفالاتـه الكبـرى، كإحيـاء ذكـرى العاشـر مـن محـرّم أو يـوم القـدس العالمـي وسـوى ذلـك. ويرافـق التنظيـم اللوجسـتي الـذي يتـولاه عـدد كبيـر مـن الشـبّان المنتشـرين بلبـاس موحَّـد علـى الأرض وأسـطح المبانـي، أدوات خطابيّـة فعّالـة فـي التجييـش والتحميـس إضافـة إلـى المؤثّـرات السـمعيّة والبصريّـة.[٥٦]

وتعتمـد «حركـة أمـل» النهـج شـبه العسـكري إيـاه بحذافيـره فـي مناسـبتها الأهـم وهـي التجمّـع السـنوي فـي تغييـب الصـدر وكذلـك المسـيرة المركزيّـة فـي العاشـر مـن محـرّم.[٥٧]

(٥٤) ساندرا زيناتي، **مفوضية جبل لبنان لجمعية الكشاف السرياني اللبناني تحتفل بيوبيلها الذهبي**، موقع تلفزيون نورسات، ٥ تشرين الأول ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢٤ حزيران ٢٠٢٥ـ الساعة: ١١:٤٦.

(٥٥) Aya Fatima Chamseddine, **The cocoon Incubating Lebanon's future**, synaps.network, 20 March 2017, accessed on 23 June 2025, time: 23:21

(٥٦) انظر/ي: **فيديو: العروض العسكرية للمقاومة في يوم القدس (١٩٩٧-٢٠٠٠)**، موقع العهد الإخباري، ٤ نيسان ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:٠٥؛ حزب الله ينظم عرضًا عسكريًا في صيدا بمناسبة يوم القدس، موقع آر تي بالعربية، ٢٩ نيسان ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:٠٩.

(٥٧) انظر/ي: **«حركة أمل» تحول «مناسبة دينية» الى عرض عسكري في لبنان**، موقع العربية.نت، ١٥ آب ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:٠٠.

على المستوى السني، تتبع «قوّات الفجر» تنظيميًّا لـ«الجماعة الإسلاميّة»، فرع «الإخوان المسلمين» في لبنان. وشبّانها هم أيضًا بملابس موحَّدة ويتباهون بسلاحهم بدليل ما حصل في نيسان ٢٠٢٤ خلال تشييع اثنين منهم في ببنين العكّارية، وهما قُتِلا في غارة إسرائيلية على الجنوب قبيل الحرب الأخيرة. ولم يمر عرض القوة مرور الكرام، إذ أصاب الرصاص الطائش امرأة وطفلًا،[٥٨] مما أغضبَ السكان. ووصفَ النائب البيروتي إبراهيم منيمنة انتشار المسلحين الملثمين بـ«الترهيب».[٥٩]

وعمَد «حزب التوحيد العربي» برئاسة وئام وهاب في مناسبات مختلفة إلى تنظيم مهرجانات حزبيّة شارك فيها شبّان دروز مرتدين زيًا أسود شبه عسكري تحت مسمّى «سرايا التوحيد»،[٦٠] واضعين عصبات بشعارات دينية على رؤوسهم.

ورغم نفيه لوجوده كتنظيم مسلح بعد الحرب، فإنَّ «حزب القوّات اللبنانية» يقيم أحيانًا استعراضات شبه عسكرية على موسيقى محدّدة. ومن ذلك ما نفّذه شبّان في حي الجمّيزة البيروتي في أيلول ٢٠٢٠ في ذكرى اغتيال بشير الجميّل، حيث ساروا في نظام مرصوص ببزات سود عليها شعار «القوّات»، حاملين رايتها والعلم اللبناني.[٦١]

وبرز أخيرًا تجمع شبابي باسم «جنود الرب» تأسس في كرم الزيتون على يد جوزف منصور، وانتشر في الأشرفية وجل الديب وزحلة لـ«حماية المناطق المسيحية والدفاع عنها»، مُعادِيًا كل ما هو غير ديني، علمانيًا كان أو يساريًا وشيوعيًا، إلى اللاجئين الفلسطينيين والسوريين.[٦٢] تُعرِّف الجماعة نفسها بأنّها ليست حزبًا أو منظّمة ولا تتبع لأيّ شخصيّة، وليس لها أيّ نشاط أمني أو مدني، وذلك ليس دقيقًا. صحيحٌ أنَّ أفرادها

(٥٨) **«الجماعة الإسلامية» تستعرض في «عكار»**، موقع السياسة، ٢٨ نيسان ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:٤٠.

(٥٩) بياتريس فرحات، **من هي الجماعة الإسلامية في لبنان، آخر من يستعرض الأسلحة ضد إسرائيل؟**، موقع المونيتور، ٢٩ نيسان ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:٥٥.

(٦٠) انظر/ي: **بالصور: «سرايا التوحيد» تتحضر لعرضها العسكري**، موقع ليبانون فايلز، ١٥ تشرين الثاني ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٥٣.

(٦١) انظر/ي: **بالفيديو – عرض عسكري لحزب القوات اللبنانية؟**، موقع التيار، ١٤ أيلول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة ١٦:٢٣؛ **بالفيديو – عرض عسكري للقوات اللبنانية... نحن هنا**، موقع ليبانون أون، ١٤ ايلول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة ١٦:٢٨.

(٦٢) رضوان مرتضى، **«جنود الرب»... بدايات الأمن الذاتي**، موقع الأخبار، ٢ كانون الأول ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة ١٦:٥٠.

المفتولي العضلات بقمصانهم السود وعليها صليب بجناحين، وبينهم سجناء سابقون، لم يظهروا حاملين للسلاح، إلا أنَّهم اعتمدوا على قبضاتهم والعصي أحيانًا، وعلى كثرتهم العدديّة في الاشتباكات التي انخرطوا فيها. كانت إطلالتهم العلنيّة الأولى عام ٢٠١٩ خلال اعتراضات كنَسيّة وشعبيّة على تنظيم حفل لفرقة «مشروع ليلى» على خلفية اتهامها بالترويج للمثليّة الجنسيّة. وَلاحقًا سَرَت أنباء عن دور لهم في حماية المصارف إبّان ثورة ١٧ تشرين الأول ٢٠١٩. وعلى صغر حجم هذه المجموعة التي يُعتقد أنَّ عدد المنتسبين إليها ٣٠٠، ثمّة من يقارنها بـ«حزب الله»؛[٦٣] وفي ذلك مبالغة جلية مِن ناحية الحجم، وإنْ مع بعض التقاطع في الخلفية الدينية المتشددة.

كما صار لـ«الحزب السوري القومي الاجتماعي» أمكنته الخاصة لإيصال رسائل القوة والحضور بالعروض والملابس الموحدة، خصوصًا في شارع الحمرا البيروتي[٦٤] حيث كثيرًا ما أُقيمت مسيرات شبه عسكرية في مناسبات مختلفة.[٦٥]

كما في الحرب... السلاح بيد الجميع

على تلك الخلفية، تتفشّى الأسلحة الصغيرة والمتوسّطة خارج نطاق الأحزاب حتّى صُنِّف لبنان الثاني عربيًا والتاسع عالميًا في اقتناء السلاح الفردي[٦٦] المقدَّر بنحو مليون قطعة مع المواطنين.[٦٧] ويتمّ شراؤه عادةً من التنظيمات المسلّحة والمخيّمات الفلسطينية وتجّار السوق السوداء. ويظهر على مدار السنة، سواء بالرصاص الطائش في المناسبات الاجتماعيّة، الدينيّة والسياسية، حزنًا واحتفالًا، أو جرائم الخطف والقتل والسرقة وفرض

(٦٣) سامر زريق، **كل ما تريد معرفته عن «جنود الرب» في لبنان**، موقع المجلة، ٣٠ آب ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٨ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:٠٣.

(٦٤) Aya Fatima Chamseddine, **The cocoon Incubating Lebanon's future**, synaps.network, 20 March 2017

(٦٥) انظر/ي: سعد الياس، **لبنان: استعراض عسكري للحزب القومي في الحمراء تخللته هتافات ضد جعجع.. وقيوميجيان يرد**، موقع القدس العربي، ٢٣ أيار ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢٣ حزيران ٢٠٢٥، الساعة ٢٣:٣٣.

(٦٦) راما الجراح، **لبنان الثاني عربيًا والتاسع عالميًا في أعداد السلاح الفردي!**، موقع لبنان الكبير، ٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٥٢.

(٦٧) **إكتشفوا «عدد المسلحين» في لبنان.. الرقم هائل!**، موقع لبنان ٢٤، ٢٢ أيار ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة ١٣:٥٥.

الخوات، وتجارة الممنوعات وسوى ذلك من مظاهر العنف المجتمعي الذي كان من معالم الحرب واستمرّ في السلم.

في وسائل الإعلام وتقارير قوى الأمن الداخلي أنّه بين عامَي ٢٠١٠ و٢٠٢١ سقط ٨١ قتيلًا و١٦٩ جريحًا بالرصاص الطائش[٦٨] الذي كاد كذلك، في خلاف عشائري، أن يصيب طائرةً مدنيّة مما كان ليتسبب بكارثة إنسانية وإضرار بسمعة مطار رفيق الحريري الدولي.[٦٩] والقتال المماثل شبه يومي، يستخدم الشبان فيه أسلحة خفيفة ومتوسّطة. وقد يكون بين عشائر ذات هويّة طائفيّة واحدة[٧٠] أو مختلفة[٧١] أو داخل العشيرة نفسها،[٧٢] كذلك مع القوى الأمنيّة اللبنانيّة[٧٣] وجِهات سوريّة عند الحدود.[٧٤]

وانعكاسًا لسهولة اقتناء السلاح واستخدامه وسيلة للتكسُّب السريع وغير المشروع، حلَّقت أعمال الخطف مقابل فدية بنسبة ١٩١ في المئة، من سبع حالات عام ٢٠١٧ إلى ٥٠ عام ٢٠٢٢.[٧٥] كذلك جرائم القتل، ففي عام ٢٠٢٢ بلغ عدد ضحاياها ١٥١ شخصًا، ثم ١٥٥ بعد سنة، وذلك بزيادة ٢,٦ في المئة. وفي السرقة والسلب المسلحَين، سُجلت ٣٧٨٤ حادثة عام ٢٠٢٢. صحيح أنَّ الارتفاع في الجرائم العنيفة ترافق مع تفاقم الانهيار

(٦٨) **بالأرقام... إليكم ضحايا الرصاص الطائش!**، موقع قناة أم تي في، ٢٢ أيلول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢٧ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٣٩.

(٦٩) سوسن مهنا، **إلى متى يستمر الرصاص الطائش في محيط مطار بيروت الدولي؟**، موقع إنديبندنت عربية، ١٤ آذار ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٢٤.

(٧٠) انظر/ي: **قوة من الجيش دخلت حي الشراونة بعد اشتباكات بين عائلتي جعفر وزعيتر أوقعت أضرارًا مادية**، موقع الوكالة الوطنية للإعلام، ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٢٧؛ **اشتباكات مسلحة بين آل حجولا وآل زعيتر في الليلكي**، موقع جنوبية، ١٨ شباط ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٣٨.

(٧١) انظر/ي: **اشتباكات بين آل جعفر وآل الصلح في الشراونة في بعلبك والجيش يتدخل**، موقع الجمهورية، ٢٢ نيسان ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٢٥.

(٧٢) انظر/ي: **بالفيديو – اشتباك مسلح في الليلكي بين أفراد من آل زعيتر**، موقع النهار، ٢٣ أيار ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٤٠.

(٧٣) انظر/ي: **اشتباكات في الشراونة بين الجيش ومسلحين من آل جعفر**، موقع القوات اللبنانية، ٢٩ كانون الأول ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:١٩.

(٧٤) انظر/ي: **اشتباكات شمالًا.. إليكم ما جرى عند الحدود**، موقع هنا لبنان، ١٥ كانون الأول ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٤٢.

(٧٥) **المؤشرات الأمنية في ٩ أشهر ٢٠٢٢ -٢٠٢٣، الشهرية**، موقع الدولية للمعلومات، ٢ تشرين الثاني ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٧ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٢٥.

المالي والأزمات المعيشية، إلا أنّه كذلك من مظاهر تقهقر هيبة النظام العام أمام سطوة حاملي السلاح الشبان ومن يستخدمونهم. وفي رأي رئيس مركز «الشرق الأوسط والخليج للتحليل العسكري - أنيغما» رياض قهوجي أنَّ «القوى الأمنية لا تستطيع سحب السلاح من المواطنين بسبب رفض القيادات الحزبية التي تحمي العديد من العصابات التي تمارس الخوة وتقوم بعمليات التهريب ونشاطات غير شرعية [...] وبنهاية المطاف الأمن بالتراضي هو خدعة كبيرة تقوَّض هيبة وجدية دولة القانون. والسلاح غير الشرعي أكبر خطر على السلم الأهلي في لبنان [...]».[٧٦]

كذلك لم تحمِ حقبة ما بعد الحرب الشابات والنساء عمومًا من العنف، لا بل تنامى تعرضهن له، لفظيًا وجنسيًا وقتلاً، إلى مستويات لا سابق لها، في ظل «ثقافة الصمت والتسامح مع العنف ضد المرأة، تلك المتجذرة في المعايير الاجتماعية والثقافية [...] بسبب غياب الردع القانوني»[٧٧] والإفلات من العقاب.

حيال كل ما تقدَّم، استنتج الديراني أنَّ الحرب لا تزال ترخي بظلالها على يومياتنا، ولا يمكن إنكار أثر تغييب العدالة الانتقالية على تفشي عنف متعدد المظاهر بدءًا بمفردات التخاطب الشرس ولغة التهديد والشتم، وصولًا إلى انتشار السيارات ذات الزجاج الداكن وانعدام الأخلاق في القيادة. وفي الإطار نفسه استسهال القتل بسبب مشاكل عادية تُفترض معالجتها بالحوار كأفضلية مرور، أو خلافات تجارية وأخرى على تقسيم إرث، وتشغيل مولدات كهربائية ونتائج مباريات رياضية، تيقنًا أنها ستمر من دون محاسبة،[٧٨] تمامًا كما كل جرائم الحرب الجنائية والحقوقية.

(٧٦) بولا أسطيح، **جرائم القتل وسرقة السيارات إلى ارتفاع في لبنان**، موقع الشرق الأوسط، ١٥ حزيران ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٧ حزيران ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٣٥.

(٧٧) فدى مكداشي، **لبنان العنف والصمت... جرائم قتل النساء ترتفع ٣٠٠ في المئة**، موقع إندبندنت عربية، ٩ نيسان ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٥ حزيران ٢٠٢٥، الساعة ٢٢:٤٢.

(٧٨) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع الدكتور فؤاد الديراني في ٢٦ حزيران ٢٠٢٥.

الفصل الرابع: حروب ما بعد الحرب

يومًا بعد آخر، يتأكد أنَّه كلما تقهقرت العدالة بكافة مظاهرها، صعَد العنف، خصوصًا بين الشباب. فالعدالة توأم السلام، وهما هزيلان في لبنان. حين تنتهي حرب من دون محاسبة، يبقى العنف حاكمًا، سواء كان فرديًا، أو مؤطَّرًا جماعيًا، وصولاً إلى مشاهدَ عسكرية تعيد عقارب الزمن إلى عين الرمانة، وإن من دون «بوسطة».

يصعبُ إحصاء كم مرة بعد عام ١٩٩٠ شعر اللبنانيون واللبنانيات، عن حق أو تهويلًا، أنَّ حربًا جديدة اندلعت. كأنَّ اتفاق الطائف قَوْنَنَ تعايشَ الأزمات ولم ينهِ مسبباتِها البنيويّة التي كان النظام أنتجها فاستمرّ في تدويرها. وهكذا لم تنجُ البلاد من مواجهات جديدة بين جهات سياسيّة وطائفيّة متعدّدة، وأحيانًا داخل المذهب نفسه.

تعبير «أهلية» حاليًا أشد دقة من حرب ١٩٧٥، إذ لم يعُد الفلسطيني طرفًا. ووضعَ الصحافي والناشط الحقوقي الفلسطيني - اللبناني أنيس فضل محسن في مقابلة لغايات هذا البحث معركة مخيم نهر البارد التي سيردُ ذكرها، في سياق ارتباط تنظيم «فتح الإسلام» بمخابرات بشار الأسد.[1] والواقع أنَّ الانتفاضة على نظامه مفصلية في سجِّل نزاعاتنا الداخلية الأخيرة، فهي نقلت منذ عام ٢٠١٢ شبانًا للتقاتل في الخارج. تواجه شيعة من «حزب الله» وسُنة سلفيون في سوريا والعراق، كأن حربًا «أهلية» خيضت على رقعة أجنبية في صراع المحاور الإقليمية. هي كذلك «حرب من أجل الآخرين»، في استعادة لتعبير غسان تويني، وهم هذه المرة النظام السوري السابق وخصومه. وكان يمكن تفاديها لبنانيًا، لأنَّ تبعاتِها فاقمت الاحتقان السني - الشيعي. ويُلاحظ أنَّ مِن معالم مرحلة ما بعد الحرب الأهلية تنامي الظواهر السلفية التي كانت محدودة خلالها، وبعضها مرتبط بصعود التنظيمات الجهادية عالميًا، والآخر نشأ لمقارعة «حزب الله» واستهداف الجيش.

من هنا كان ما سمَّاه لقمان سليم في آذار ٢٠٠٨ بخط التماس السني - الشيعي أكثر

(١) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع أنيس فضل محسن في ٢٥ حزيران ٢٠٢٥.

وضوحًا من سواه، فهو ينمو منذ اغتيال الحريري في ١٤ شباط ٢٠٠٥. وفي رأيه أنَّ «اختمار العنف في لبنان بدأ في العام ٢٠٠٠ عند التحرير [من الاحتلال الإسرائيلي]، إذ بدأت المطالبة بالانسحاب السوري من لبنان». واعتبر أنَّ الاضطراب الأمني المتقطع «أسوأ بكثير من حرب معلنة ومفتوحة [...]».[٢]

كأنَّ تلك الكلمات التي اغتيل كاتبها ليل ٣ شباط ٢٠٢١، والاغتيال السياسي مِن تَركات الحرب المستمرة، خُطَّت اليوم! أو لعلها كانت نبوءة بشأن تلك النِزالات المتجددة التي، وإن بَدَت محدودةً في جغرافيّتها وزمانها، فإنها عميقة الأثر. السلاحُ لا يزال حاضرًا، والولاءات العابرة للحدود تبرِّر العنفَ الداخلي، ممّا يجعل الحروب الصغيرة امتدادًا للحرب الكبرى، في ظاهرة تسمح بوصف لبنان بأنه مجتمع نزاع وما بعد نزاع في الوقت نفسه لناحية هشاشة السِلم أمام تناسل العنف على خلفية ضُعف سُلطات إنفاذ القانون في دولة تحاصص الأحزاب - الميليشيات - الطوائف. وفي ما يلي جدول بأبرزها عام ١٩٩٠،[٣] وهي ما كان يجب أن تكون موجودة لو انتهت الحرب حقًا، وبعضها حاضرٌ إلى اليوم، في عُنف الشوارع، كما في مجلس النواب والحكومات المتعاقبة.

التنظيم	الانتماء الطائفي	عديد المقاتلين
جيش لبنان الجنوبي	أكثريّة مسيحيين وشيعة	٢٠٠٠ - ٢٥٠٠
القوّات اللبنانيّة	أكثريّة مارونيّة	٨٠٠٠ - ١٠٠٠٠
حزب الوعد [إيلي حبيقة]	أكثرية مسيحيّة	٦٠٠ - ٧٠٠
حزب المردة	موارنة	٧٠٠ - ٨٠٠
الحزب التقدّمي الاشتراكي	أكثريّة درزيّة	٥٠٠٠ - ٦٠٠٠
حركة أمل	شيعة	٣٠٠٠ - ٤٠٠٠
حزب الله	شيعة	٤٠٠٠ - ٤٥٠٠

(٢) لقمان سليم، **أسوأ من عام ١٩٧٥ ولكن من دون حرب مشهدية**، موقع الراي ميديا، ٢٥ آذار ٢٠٠٨، تاريخ الدخول: ١٣ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٢٢.

(٣) كمال حمدان، **الأزمة اللبنانية**، ص ١٧٩.

التنظيم الشعبي الناصري	أكثريّة سنيّة	٥٠٠
الحزب العربي الديموقراطي	علويّون	٥٠٠
الحزب السوري القومي الاجتماعي	مختلط (علمانيّ)	٨٠٠ - ١٠٠٠
حزب البعث (مقرّب من سوريا)	أكثريّة إسلاميّة	٥٠٠
الحزب الشيوعيّ اللبنانيّ	مختلط (علمانيّ)	٦٠٠ - ٧٠٠

ولا بدَّ من الإشارة إلى بعض تداخلٍ في عرضِ الأحداث ما بين العناوين الفرعية، في انعكاس لتشابكها وتشعبها على أرض الواقع المعقَّد.

حروب الجيران... خط التماس السوري والمذهبي

بين طرابلس ودمشق رابط عضوي يتجاوز الجغرافيا والتصاق كلمة «الشام» باسمها[٤] ووجود شارع سوريا كخط تماس بين باب التبانة السني وجبل محسن العلوي، كأنَّ عاصمة الشمال مرآة لأحوال البلد الجار التي تنعكس عليها دماءً واصطفافات.

جبهة باب التبانة – جبل محسن فُتحت في الثمانينيات وتُعَّدُ من موروثات الحرب الحيَة والمتجددة. إنَّها المواجهة المحلية الوحيدة التي استمرَّت بعد اتفاق الطائف، ولعلَّها دليل إضافي على ديمومة التقاتل مقَّنعًا بسلم أهلي هزيل. وفي واحدة من أكثر الجولات عنفًا، كان الانقسام على خلفية دعم القضية الفلسطينية أو النظام السوري. حينها تزَّعم باب التبانة خليل عكاوي، «أبو عربي»، الشاب المنتقل من الماركسية إلى الإسلام السياسي مع الشيخ سعيد شعبان. قادَ العداء مع «الجار الأقرب، الموالي لسوريا: جبل محسن. فخيضت أشرس المعارك [...] طوال الفترة الممتدة من ١٩٨٣ [...] وحتى ١٩٨٦ حين أحكم

(٤) لدى المؤرخ حسين الدهيبي أنَّ تسمية «طرابلس الشام» سابقة لقيام لبنان الكبير، مشيرًا إلى استمرار «طرابلس ردحًا من الزمن تستخدم رمزًا بريديًا «طرابلس الشام»، وليس طرابلس لبنان، واستمر هذا الأمر لغاية ١٩٥٦». انظر/ي: بشير مصطفى، «**طرابلس- الشام» جدلية التاريخ والتمرد على سلطة الأسد**، موقع إندبندنت عربية، ١٨ كانون الأول ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:٤٧.

السوريون قبضتهم على المدينة، فنكّلوا بمناصري أبو عربي [كذا في الأصل] في التبانة وساقوا الآلاف منهم إلى السجون».[٥] وكانت الحقبة نكبة على المدنيين بأنباء عن قتلى بالعشرات يوميًا.[٦]

وكذلك من مظاهر التأثر بالأحداث السورية ارتفاع التوتر بين المنطقتين بعد مجزرة حماه عام ١٩٨٢ التي قادها رفعت، شقيق حافظ الأسد، «خصوصًا وأنَّ قائد جبل محسن علي عيد [كان] يدين [له] بالولاء الكامل [...]، وتيمنًا به أطلق اسمه على نجله الأكبر».[٧] ويُذكر أنَّ رفعت الأسد، بعد خلافه مع أخيه، سعى إلى «تأسيس حالة تنظيمية وشعبية [في طرابلس] أدت إلى نشوء الحزب العربي الديموقراطي بزعامة عيد، وسرعان ما صارت له ذراع عسكرية له في المدينة باسم "الفرسان الحمر"».[٨]

وفي زمن السلم أعادت أحداث ٧ أيار ٢٠٠٨ إشعال الجبهة الطرابلسية التقليدية «لتشكل باكورة المعارك الجديدة القديمة بين أبناء أمراء الحرب الأهلية السابقة، فعلي عيد ولأسباب صحية غاب عن المشهد ليحل مكانه ابنه رفعت، فيما [...] في الجانب الآخر قادة المحاور القتالية في باب التبانة وحارات الملّولة والمنكوبين والريفا والبقّار، [...] وتجددت المعارك مرارًا بين المنطقتين، [... وبعد عام ٢٠١١] بات مجرد خطاب للرئيس السوري أو إنجاز للمعارضة المسلحة على الأرض يشكل سببًا كافيًا لفتح المعارك [...]»[٩] التي سجَّلت ٢٢ جولة حتى عام ٢٠١٥ واستهدفت مدنيين كما الجيش اللبناني وذهب ضحيتها ٢٠٠ قتيل على الأقل. وكان معظم المُحالين إلى المحكمة العسكرية الدائمة على

(٥) إيلي حنا، **باب التبّانة وجبل محسن: فقراء يقاتلون فقراء**، موقع الأخبار، ١٨ حزيران ٢٠٠٨، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٣١.

(٦) انظر/ي: **منعطف خطير في حرب الشمال: خطوط التماس تنتقل في باب التبانة وبعل محسن**، السفير، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٣، ص ٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:١٤؛ **نار طرابلس تصاعدت فجرًا ومساء حرب اقتحامات حقيقية تقدّم فيها «الفرسان»**، العمل، ٦ تموز ١٩٨٤، ص ٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٢٤؛ **اللجنة الشمالية استحدثت ثلاثة مراكز مراقبة وأعلنت وقفًا للنار سقط على كل المحاور**، العمل، ٢٠ أيلول ١٩٨٥، ص ٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٢٩.

(٧) نزيه الأحدب، **طرابلس الشام.. ساحة معارك أهلية وعربية «مفتوحة على العبث» (تحليل)**، موقع الأناضول، ٢٩ أيار ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٢٨.

(٨) إيلي حنا، **باب التبّانة وجبل محسن: فقراء يقاتلون فقراء**، موقع الأخبار، ١٨ حزيران ٢٠٠٨.

(٩) نزيه الأحدب، **طرابلس الشام.. ساحة معارك أهلية وعربية «مفتوحة على العبث» (تحليل)**، موقع الأناضول، ٢٩ أيار ٢٠١٣.

خلفية تلك المواجهات دون الثلاثين من العمر.[١٠] أما قادة المحاور، وبعضهم شبان كما ظهروا في صورة مسرَّبة عام ٢٠١٣،[١١] فاستوحوا زعماء ميليشيات الحرب، إذ فرضوا خّوات وتاجروا بالسلاح.[١٢] صاروا «نجومًا» تزَّعموا شبانًا عاطلين عن العمل مسلحين ببنادق القنص ورشاشات ثقيلة ومدافع الهاون.[١٣]

غير أنَّ العنف ليس قدر هؤلاء الشبان الوحيد، إذ أثبت حضور جمعيات المجتمع المدني، والكثير منها بقيادات شابة، أنَّ التأهيل النفسي والتمكين الاقتصادي المشترك قادر على تبديل مصائرهم ليلقوا السلاح ويتخلوا عن القتل كمصدر دخل، ويتحاوروا ويتصادقوا بعدما تبيَّن للعديد منهم تشابههم في الفقر والبطالة. [١٤]

على إشادته بدور تلك الجمعيات، لفتَ الصحافي باسم البكّور في مقابلة لغايات هذا البحث إلى أنَّها لا يمكن أن تقوم مقام الدولة كسُلطة وكيان، وإن تكن ضعيفة، وتغطّي غيابها الفادح والمزمن، بدءًا بانتفاء محاولات المصالحة وتعويض المدنيين في باب التبانة وجبل محسن كما حدثَ في مناطق أخرى بعد الحرب. كل ذلك «أبقى الأحقاد في النفوس» بالتزامن مع تعميق الفقر المُدقع لدى الجانبين وما يرتبط به من تسرُّب مدرسي وعمالة للأطفال هما من الأعلى في لبنان. ووصفَ ذلك بـ«الكارثة والانفجار المقبل» لأنه يكرِّس الجهل كنمط حياة لدى الشبان مما يسهِّل «إعادة تدويرهم سياسيًا واستثمارهم في أي جولة قتال مستقبلية». وتاليًا، فإنَّ الخطوة الأولى لإنهاء صراع باب التبانة وجبل محسن هي دخول الدولة إليهما، بالمعنى الإنمائي لا الأمني، للتأهيل العمراني، الاجتماعي

(١٠) كلادس صعب، **متهم بأحداث باب التبانة وجبل محسن: لم أطلق النار على الجيش بل على جبل محسن دفاعًا عن عرضي وبيتي**، الديار، ١٩ كانون الثاني ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٥٤.

(١١) **بالصور: تعرفوا على «قادة المحاور» في طرابلس**، موقع الجمهورية، ٢٥ تشرين الأول ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٢:٤٣.

(١٢) كلادس صعب، **متهم بالقاء قنبلة على الجيش: تجّار طرابلس اتفقوا مع الجنزرلي أحد قادة المحاور جمع المال لحماية المحلات وهي ليست «خوات»**، الديار، ١ شباط ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥ الساعة: ٢٢:٣٨.

(١٣) عبد الرحمن عرابي، **«قادة المحاور».. نخبة جديدة في المجتمع الطائفي اللبناني (١)**، موقع العربي الجديد، ٧ نيسان ٢٠١٤، آخر تحديث: ٣٠ حزيران ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٢:٥٩.

(١٤) Sawssan Abou-Zahr, **When theatre turns enemies into brothers**, peaceinsight, 21 august 2015, accessed on 15 July 2025, time 23:15

والتعليمي المشترك ورعاية مصالحة جدية ومصادرة السلاح «لأن بقاءه بين أيدي الفقراء قنبلة موقوتة قد تنفجر عند أي خلل أمني في المدينة أو خارجها».[١٥]

صعود السلفية... حرب العنف التكفيري على الجيش

لدى الكاتب سعود المولى أنَّ «عام ١٩٩١ شهد بداية تشكل السلفية الجهادية الجديدة من صفوف الجهادية الفلسطينية واللبنانية في صيدا ومخيم عين الحلوة وطرابلس ومخيم نهر البارد»، وذلك لاعتبارات عدة بينها «الغزو الأميركي الدولي - العربي للعراق لإخراجه من الكويت»، مؤتمر مدريد للسلام، تفكك الاتحاد السوفياتي وانهيار حلف وارسو، وعودة الأفغان العرب إلى بلدانهم، «ومنهم العديد من اللبنانيين والفلسطينيين [...] أما الحضن الفعلي لاختمار التيار السلفي الجهادي فقد كان في العراق بعد الاحتلال الأميركي العام ٢٠٠٣ وبدء انطلاق مجموعات كبيرة من الشباب [اللبنانيين] للقتال هناك، بتنسيق وتمويل وتسهيل من المخابرات السورية [...]».[١٦]

ولا شكَّ أنَّ الأرضية تهيأت لهذا الجو المتشدد منذ الغزو السوفياتي لأفغانستان عشية الثمانينيات. في ليلة رأس السنة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠، اندلعت أحداث الضنية التي شملت مناطق أخرى في شمال لبنان واستمرَّت حتى الرابع من كانون الثاني. كان شبان من القبة وأبي سمرا في طرابلس يتدربون على حمل السلاح في جرود الضنية، بقيادة بسام كنج الملقب بـ«أبي عائشة»، وهو من المحاربين في أفغانستان، وبسام اسماعيل حمود. اشتبكت هذه المجموعة في كمائن ومواجهات عدة بالجيش أدت إلى وفاة كنج واعتقال حمود.[١٧] وكانت الحصيلة مقتل ١١ عسكريًا و١٥ مسلحًا وخمسة مدنيين، إضافة إلى جرح ٣٢ من الجيش.[١٨] وداهمت القوى الأمنية أحياء في طرابلس وعكار والبقاع.[١٩]

(١٥) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع باسم البكّور في ١٦ تموز ٢٠٢٥.

(١٦) سعود المولى، **من الجهادية الوطنية السلفية إلى السلفية الجهادية**، موقع الجمهورية، ٢٠ آذار ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ١٧ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:١٤.

(١٧) سعود المولى، **من الجهادية الوطنية السلفية إلى السلفية الجهادية**، موقع الجمهورية، ٢٠ آذار ٢٠١٣.

(١٨) فارس خشان، **ماضي يصدر قراره الاتهامي في ملف حوادث الضنية ٣٤ مسلحاً كانوا في المنطقة بقيادة مجموعة من الأفغان العرب وعلى صلة بـ«عصبة الأنصار» العقوبات المطلوبة: الأشغال الشاقة المؤبدة للأكثرية والإعدام للمخططين والقادة**، السفير، ١١ تموز ٢٠٠٠، العدد ٨٦٤٨، ص ٤.

(١٩) سعود المولى، **من الجهادية الوطنية السلفية إلى السلفية الجهادية**، موقع الجمهورية، ٢٠ آذار ٢٠١٣.

شكلت موقعة الضنية تجليًا واضحًا لظاهرة السلفية المسلحة في لبنان. وساهمت التوقيفات اللاحقة في بناء مظلومية مذهبية لدى بعض الشبان السُنة. واستُغِّل الأمر لتجنيدهم وتوسُّع التيارات الجهادية والتكفيرية بعد الثورة السورية.

في ذروة الانشطار بين فريقَي ٨ و١٤ آذار وبينما كانت البلاد تحت وطأة تطبيق القرارين الدوليَين ١٥٥٩ و١٧٠١، اندلعت اشتباكات واسعة بين عسكريين لبنانيين وعناصر من «فتح الإسلام» في مخيم نهر البارد في ٢٠ أيار ٢٠٠٧، بعدما احتوى الجيش هجومًا منسقًا على مواقعه في طرابلس، الكورة والقلمون.[٢٠] ترأس شاكر العبسي، الأردني الفلسطيني الأصل، هذا الفصيل الأكثر تنظيمًا وعددًا من مجموعة الضنية والذي ضمَّ شبانًا لبنانيين وسوريين وسعوديين ومغاربة، إضافة إلى فلسطينيين شكلوا نحو ١٠ في المئة من عديده؛ أما القيادة العسكرية فتولاها متشدد من عكار عُرِف بـ«أبي هريرة».[٢١] وجاء ظهوره مع انتشار تنظيم «القاعدة» في العراق، وبعد نحو عامين على انسحاب القوات السورية من لبنان دون اضمحلال نفوذ دمشق المخابراتي.

رأى العميد المتقاعد في الجيش جورج نادر أنَّ التنظيم تسلل إلى نهر البارد فرادى وجماعات، حاملًا تمويلًا خارجيًا، واستطاع السيطرة على المخيم ترغيبًا وترهيبًا وعزله عن محيطه.[٢٢] وقال أنيس فضل محسن في مقابلة لغايات هذا البحث إنَّ المخابرات السورية، بمساعدة من «فتح الانتفاضة»، أدخلت عناصر «فتح الإسلام» إلى بيروت أولًا، ونُقلوا من مخيمَي برج البراجنة ومار الياس بعد رفض شعبي لهم إلى البداوي حيث جوبهوا بعدم ترحيب مماثل، ثم إلى أطراف نهر البارد. لاحقًا أخْلت الفصائل الفلسطينية والمدنيون المخيم طوعًا «إفساحًا في المجال أمام الشرعية اللبنانية لحسم المعركة»[٢٣] في محيط ضيق مكتظ بأكثر من ٣٠ ألف شخص. وفي ٢ أيلول ٢٠٠٧ أعلن الجيش السيطرة الكاملة

(٢٠) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ٢١٤.

(٢١) معين مناع، «**فتح الإسلام» ومخيم نهر البارد: حالة أم نموذج؟**، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ص ٣.

(٢٢) **خفايا معركة نهر البارد.. ما لم يُروَ عن صراع بدأ وانتهى بلغز وغموض**، موقع تلفزيون العربي، ١٨ أيلول ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٢١.

(٢٣) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث عبر تطبيق الواتساب مع أنيس فضل محسن في ٢٥ حزيران ٢٠٢٥.

على المخيم، ووَردت أنباء عن فرار العبسي قبل تأكيد وفاته.[٢٤] وقُتِل ١٦٨ عسكريًا[٢٥] وسقط ٢٢٠ من «فتح الإسلام» إضافة إلى ٤٠ مدنيًا.[٢٦]

قامت مواجهة سلفية ثالثة مع المؤسسة العسكرية في عبرا في ٢٣ حزيران ٢٠١٣، مع دور لـ«حزب الله» في حسمها[٢٧] في يومين بهزيمة أنصار أحمد الأسير وسيطرة الجيش على مربعه الأمني.[٢٨] وأوقف الشيخ في ١٥ آب ٢٠١٥ أثناء محاولته الفرار جوًا بجواز سفر فلسطيني مزور باسم خالد العباسي بعدما غيَّر مظهره. [٢٩]

قبل الصِدام مع الجيش، قام الأسير بحَراكات عدة في وسط بيروت وصيدا حيث نفذ اعتصامًا، وحظي بتغطية إعلامية مبالغ فيها ساهمت في تضخيم ظاهرته. تزامنًا توسَّع في جوار مسجد بلال بن رباح، إذ «سعى إلى التشبه بحزب الله فأسمى المنطقة المحيطة بـ"المربع الأمني" [...] وكي يستقيم المربع، لا بدَّ من إزالة "محل إيلي" للمشروبات الروحية، [...] علماً أنه لم يبع مُلكه، بل تركه فسيطروا عليه».[٣٠]

وأظهر تحقيقا مخابرات الجيش والأمن العام مع الشيخ المُعتقل أنَّ أتباعه تدخلوا «في المجريات العسكرية في منطقتَي القْصَير وجوسية السوريتين». وفي ٣٤ صفحة لتحقيق مخابرات الجيش أنَّهم «كانوا يتوزعون على حوالي عشرين مجموعة دَعَوية تضم كل منها ٧ أشخاص فتحولوا إلى مجموعات عسكرية تضم قرابة ٣٠٠ شاب [...]». وهو برَّر الاشتباك مع الجيش بأنّه لم يكن مقررًا سلفًا بل دفاعًا عن النفس في وجه «فبركة ما خططت لها هذه الفئة»، أي «حزب الله»،[٣١] والدفاع عن النفس ذريعة قديمة

(٢٤) مي الزعبي، **أبرز المواقف والأحداث في مواجهات نهر البارد**، موقع الجزيرة.نت، ٣ أيلول ٢٠٠٧، تاريخ الدخول: ١٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٢٩.

(٢٥) نزار عبد القادر، **الجيش ينتصر في نهر البارد الانتصار في معركة لا يعني انتهاء الحرب على الارهاب**، الموقع الرسمي للجيش اللبناني، كانون الثاني ٢٠٠٨، العدد ٦٣، تاريخ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٩:٥٦.

(٢٦) **خفايا معركة نهر البارد.. ما لم يُروَ عن صراع بدأ وانتهى بلغز وغموض**، موقع تلفزيون العربي، ١٨ أيلول ٢٠٢٣.

(٢٧) سوسن أبوظهر، **صيدا تستعيد حركة خجولة وتأمل قيام دولة «لا يعلو سلاح فوقها» عبرا تتطلع إلى الجيش لكشف ملابسات الهجوم وتقرير مصير «الشقق»**، النهار، ٢٧ حزيران ٢٠١٣، العدد ٢٥١١٦، ص ٥.

(٢٨) محمد صالح، **الجيش يحكم قبضته.. وصيدا من دون الأسير**، السفير، ٢٥ حزيران ٢٠١٣، العدد ١٢٥١٢، ص ٣.

(٢٩) **القصة الكاملة لتوقيف الأسير**، السفير، ١٧ آب ٢٠١٥، العدد ١٣١٤٧، ص ١.

(٣٠) منير الربيع، **عبرا: قصة مدينة بتحولاتها واسقاطاتها منذ الحرب إلى الأسير**، موقع المدن، ١ تشرين الأول ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:٣٥.

(٣١) عبد الرحمن عرابي، **محضر اعترافات الأسير: خبايا معركة عبرا وتفاصيل الهروب**، موقع العربي الجديد، ١٨ أيلول ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:١٥.

مروان شربل وخلفه أحمد الأسير، المصدر: أرشيف جريدة السفير

– جديدة موروثة من أدبيات الحرب. وفي تصريحات لقناة «الجزيرة» القطرية عام ٢٠١٧، الأولى بعد سجنه، قال الأسير إنَّ «وزير الداخلية السابق مروان شربل اتصل به قبل معركة عبرا وأبلغه بأنَّ قرارًا اتُخذ لإنهائه». مهما يكن من أمر، فإنَّ تلك المواجهة أوقعت ١٥ من أنصاره، معظمهم شبان، و١٩ قتيلًا عسكريًا.[٣٢]

وشهد عام ٢٠١٣ كذلك اعتداءات على المؤسسة العسكرية في جرود عرسال، رأس بعلبك والقاع، بلغت ذروتها بين ٢ آب ٢٠١٤ و٧ منه بمهاجمة مسلحي «جبهة النصرة» و«الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش) مواقع ومراكز في عرسال. وخسر الجيش ١٩ من رجاله وخُطف ٢٠ في مخطط كان يستهدف وصول المتشددين السوريين إلى اللبوة ثم عكار لإعلان دولة لهم هناك. وكانت عملية «فجر الجرود» في ١٩ آب ٢٠١٧ في رأس بعلبك والقاع بمثابة رد حاسم منه.[٣٣]

ومما تقدَّم يَظهر الاختلاط في هجمات السلفيين والتكفيريين على الجيش بين ما هو محلي بحت أو سوري صرف أو مركَّب، ترجمةً لسِعة الانقسام السياسي الحاد والانشطار المذهبي، إذ اتُهِم «حزب الله» بأنَّ دوره في معركة القُصَير المفصلية في حزيران ٢٠١٣ أضفى على الصراع في سوريا بُعدًا مذهبيًا[٣٤] انعكس على لبنان.

(٣٢) **عبرا.. من أطلق الرصاصة الأولى؟**، موقع الجزيرة.نت، ٤ آذار ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:٢٧.

(٣٣) ندين البلعة خير الله، **من الضنية إلى «فجر الجرود» ملحمة البطولة والفداء والتضحية والوفاء**، موقع الجيش اللبناني، العدد ٤٠٩، تموز ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٣٣.

(٣٤) مبادرة «تاريخ سوريا الحديث»، **حزب الله يعبر الحدود القصير نموذجًا**، أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ٢٠٢٣، ص ٩.

الشبان السلفيون... موقوفون، انتحاريون وقتلى خارج الحدود

يرافق الجدل منذ مطلع الألفية أداء القضاء في ملف الشبان السلفيين. فمن جهة تكتظ السجون بمحتجزين احتياطًا من دون مثول أمام قُضاة أو بمحاكمات بطيئة، بعضهم منذ نحو عقدين،[٣٥] مع العلم أنَّ معظم موقوفي الضنية أُطلقوا بعد اغتيال الحريري بموجب عفو عام شمل جعجع.[٣٦] إنه العفو إياه لمصالح سياسية! وفي مطلع عام ٢٠٢٥ قُدِّرَ عدد السجناء الإسلاميين بـ٤٠٠، بينهم شبان، ٥٥ في المئة منهم بلا محاكمات.[٣٧]

من جهة أخرى، نجح مطلوبون، كما شادي المولوي، في الإفلات من العقاب. فهذا الشاب الذي شارك في معارك باب التبانة أوقف في أيار ٢٠١٢ بتهمة «الانتماء الى تنظيم إرهابي مسلح وارتكاب الجنايات على الناس والأموال والنَيل من سلطة الدولة وهيبتها» وأُطلق بعد أيام على وقع احتجاجات.[٣٨] وبعد اختبائه في مخيم عين الحلوة، انتهى به المطاف مع «هيئة تحرير الشام» عام ٢٠١٧.[٣٩] وفي شباط ٢٠٢٤ تردَّدت أنباء عن توقيفه و«قسم هام من اللبنانيين» لخلافات مع رئيسها[٤٠] أحمد الشرع الذي أطاح في ٨ كانون الأول بنظام الأسد. ووصف «المرصد السوري لحقوق الإنسان» ابن القبة بـ«صاحب الصيت السيئ في التعذيب وتنفيذ أحكام الإعدام [...]».[٤١]

ومثل المولوي، «فتيانٌ تسلّلوا من أسرّتهم فجراً ليغادروا إلى سوريا والعراق فلا يعلم

(٣٥) **سجن رومية في لبنان.. فوضى حقوقية ومآسٍ إنسانية**، موقع الجزيرة.نت، ٧ تموز ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ١٧ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:١٧.

(٣٦) جنى الدهيبي، **ما مصير الموقوفين الإسلاميين في لبنان؟**، موقع الجزيرة.نت، ٢٠ كانون الثاني ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ١٧ تموز ٢٠٢٥، الساعة ١٦:٣٨.

(٣٧) جنى الدهيبي، **ما مصير الموقوفين الإسلاميين في لبنان؟**، موقع الجزيرة.نت، ٢٠ كانون الثاني ٢٠٢٥.

(٣٨) **القضاء اللبناني يخلي بكفالة شادي المولوي الذي تسبب توقيفه في ارتفاع حدة التوتر**، موقع فرانس ٢٤، ٢٢ أيار ٢٠١٢، تاريخ الدخول: ١٧ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:١٧.

(٣٩) حسين خريس، **هكذا هرب شادي المولوي من عين الحلوة**، موقع المدن، ٢٦ تشرين الأول ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١٧ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:١٨.

(٤٠) أحمد الأيوبي، **حتى لا يتكرّر نموذج شادي المولوي من جديد**، موقع نداء الوطن، ٢ شباط ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ١٧ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:٢٨.

(٤١) **بعد براءة قيادات وعناصر من تهمة «العمالة»..«الجولاني» يأمر باعتقال محققين في «الهيئة»**، موقع المرصد السوري لحقوق الإنسان، ٣٠ كانون الثاني ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ١٧ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:٣٧.

أهاليهم مصائرهم إلاّ عندما يأتيهم نبأ مقتل أحدهم [...]».[٤٢] وبين عامَي ٢٠١٣ و٢٠١٥ شكَّلت كثرة الأخبار عن موت لبنانيين سُنة في سوريا[٤٣] والعراق[٤٤] دليلًا مقلقًا على التجنيد الممنهج هناك. وبمراجعة الصحف والمواقع الالكترونية، يتضح أنَّ معظمهم شبابٌ عمرًا كما بدوا في صورهم، وبينهم جامعيون.[٤٥] نسبتُهم الأكبر مِن شمال لبنان،[٤٦] إلى بعضٍ من أنصار الأسير من صيدا[٤٧] أو آخرين من المدينة ليسوا من أتباعه بالضرورة،[٤٨] وعدد من البقاعيين.[٤٩]

تزامنًا، شهدت البلاد موجة من العمليات الانتحارية معظم منفذيها من الشبان السُنة كما تبيَّن في وثائق رسمية عُثر عليها في مواقعها أو بعد إجراء فحوص الحمض الريبي النووي (DNA) مع أقاربهم.[٥٠] وهي طالت مدنيين لكونهم شيعة أو مجرّد وجودهم في معاقل «حزب الله». وكان بعضها بتوقيع جماعات مناهضة للأسد مثل «قيادة اللواء ٣١٣ مهام

(٤٢) أحمد الأيوبي، **حتى لا يتكرّر نموذج شادي المولوي من جديد**، موقع نداء الوطن، ٢ شباط ٢٠٢٤.

(٤٣) انظر/ي: **معركة الحصن**، موقع الخنادق، ٢٠ آذار ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٢١.

(٤٤) انظر/ي: **مقتل «داعشي» لبناني في العراق... و«التهاني» في طرابلس**، النهار، ٨ تشرين الأول ٢٠١٤، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة ١٣:٥٢؛ **مقتل لبناني في صفوف «داعش» في العراق**، موقع الحدث نيوز، ٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٤، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:١٧.

(٤٥) انظر/ي: **مقتل لبناني يقاتل في صفوف داعش بالعراق**، موقع لبنان ٢٤، ١٠ أيار ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٠١.

(٤٦) انظر/ي: **مقتل لبناني من طرابلس يقاتل إلى جانب «داعش» في كوباني**، موقع أل بي سي، ٣ تشرين الثاني ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٤٩؛ **أحمد ديب**، موقع ليبانون فايلز، ١ حزيران ٢٠١٤، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٠٢؛ **مقتل اللبناني مصطفى خالد سيف في سوريا أثناء قتاله مع «جبهة النصرة»**، موقع العهد الإخباري، ١٣ آذار ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:١٤.

(٤٧) انظر/ي: **حسن عبد الناصر غندور**، موقع صيدا أون لاين، ٢ آذار ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٤٢؛ **مقتل أحد مناصري الأسير في سوريا**، موقع صيدا أون لاين، ٢٥ آذار ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:١٢.

(٤٨) **مقتل لبناني يقاتل في صفوف داعش بالعراق**، موقع لبنان ٢٤، ١٠ أيار ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٠١.

(٤٩) انظر/ي: **«أبو حفص» قتل أثناء قتاله إلى جانب أحرار الشام في الزبداني**، موقع ليبانون فايلز، ٢٧ آب ٢٠١٥، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٤٧.

(٥٠) انظر/ي: **تحقيقات حول هوية انتحاري لبناني مفترض عمره ١٩ سنة**، موقع الشرق الأوسط، ٤ كانون الثاني ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ١٨ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٥٩.

خاصة» التي أعلنت المسؤولية عن تفجير سيارة في منطقة بئر العبد في ٩ تموز ٢٠١٣ أصيب فيه ٥٣ شخصًا، و«سرايا عائشة أم المؤمنين للمهام الخارجية» التي نفَّذت هجومًا مماثلًا في الرويس في ١٥ آب من العام نفسه حاصدًا ٢٧ قتيلًا و٣٣٦ جريحًا، في «رسالة إلى حزب الله بسبب قتاله إلى جانب النظام السوري».[٥١]

وفي تصعيد نحو الراعي الإقليمي للحزب، أي نظام الجمهورية الإسلامية، استهدف انفجاران متزامنان بدراجة وسيارة سفارة طهران في محلَّة بئر حسن – الجناح في ١٩ تشرين الثاني وخلَّفا ٢٣ قتيلًا، بينهم الملحق الثقافي الإيراني إبراهيم الأنصاري، و١٥٠ مصابًا. وتبنَّت «كتائب عبد الله عزام» المرتبطة بـ«القاعدة» العملية لـ«الضغط على حزب الله لسحب مقاتليه من سوريا».[٥٢] وأظهر التحقيق أنَّ الانتحاريَيْن شابان، لبناني، وفلسطيني من أنصار الأسير.[٥٣] وتكرَّر المشهد بعد ثلاثة أشهر، في ١٩ شباط ٢٠١٤، الجماعة إياها أرسلت آليتين مفخختين إلى مقر المستشارية الثقافية غير البعيد من السفارة الإيرانية، فسقط ستة قتلى و١٢٩ جريحًا.[٥٤]

ونفَّذ «داعش» في ٢ كانون الثاني ٢٠١٤ هجومًا انتحاريًا في حارة حريك أردى خمسة أشخاص وأصابَ ٣٥.[٥٥] وقامت «جبهة النصرة في لبنان» في ٣ شباط بتفجيرٍ في الشويفات ردًا على «استمرار جرائم حزب إيران بحق أهلنا المستضعفين [...]، وإصراره على إرسال المزيد من مرتزقته لقتل الشعب السوري [...]».[٥٦] وتنافست مع «لواء أحرار السنة في بعلبك» في ١٦ آذار على المسؤولية عن اعتداء في النبي عثمان بالبقاع، وذلك في بيانين

(٥١) **تفجيرات لبنان على خلفية الثورة السورية**، موقع الجزيرة.نت، ٢١ كانون الثاني ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٢١.

(٥٢) **تفجير بيروت: ٢٣ قتيلًا في تفجيرين استهدفا السفارة الإيرانية جنوبي العاصمة**، موقع بي بي سي عربي، ١٩ تشرين الثاني ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٤٤.

(٥٣) **كشف هوية الانتحاريين في الاعتداء على السفارة الإيرانية ببيروت**، موقع فرانس ٢٤، ٢٣ تشرين الثاني ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:١٤.

(٥٤) **الإرهاب الأعمى يضرب مجددًا في بئر حسن وضحاياه ٦ شهداء و١٢٩ جريحًا**، اللواء، ٢٠ شباط ٢٠١٤، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٠٢.

(٥٥) **تفجيرات لبنان على خلفية الثورة السورية**، موقع الجزيرة.نت، ٢١ كانون الثاني ٢٠١٤.

(٥٦) **«النصرة» في لبنان تتبنى تفجير الشويفات**، موقع الجزيرة.نت، ٤ شباط ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٢٣.

ربطا العملية بـ«اغتصاب حزب الله لمدينة بِيْرود» و«مضايقة أهالي عرسال».[٥٧] وفي ١٢ تشرين الثاني ٢٠١٥ قتل «داعش» في هجومين انتحاريّين متزامنين في سوق شعبي في برج البراجنة ٤٣ شخصًا وأصاب ٢٤٤.[٥٨]

من جهة أخرى، كان تفجيران ضربا في دقائق في ٢٣ آب ٢٠١٣ مدنيين سُنة بعد صلاة الجمعة في مسجدَي «التقوى» عند مستديرة أبو علي، ثم «السلام» في طريق المينا في طرابلس، فقضى ٤٧ شخصًا وجُرح ٥٠٠. وبهذه الجريمة المزدوجة بلغ عدد الهجمات بالسيارات المفخخة ٢٤١ منذ عام ١٩٧٥.[٥٩] واستهدفت «جبهة النصرة» مقهى في جبل محسن في ١٠ كانون الثاني ٢٠١٥ ردًا على «تغاضي» السُلطات عن محاسبة مرتكبي اعتداءي الجامعين،[٦٠] مع العلم أنَّ القضاء أصدرَ مذكرةَ توقيف غيابية بحق علي عيد كمدعىً عليه.[٦١]

وفي ٢٧ حزيران ٢٠١٦ هزَّت أربع عمليات انتحارية بفارق عشر دقائق في ما بينها بلدة القاع الحدودية مع سوريا. وفي اليوم التالي أوقف الجيش ١٠٣ سوريين خلال مداهمات في مخيمات للاجئين في بعلبك.[٦٢]

حدود عَبَرها «حزب الله»... تعميق الشرخ

أدى إخراج «حزب الله» بعض قياداته ومقاتليه الشبان مِن لبنان ومشاركته العسكريّة

(٥٧) **تفجير انتحاري في النبي عثمان ردًّا على يبرود**، اللواء، ١٧ آذار ٢٠١٤، ص ١ و٩، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:١٨.

(٥٨) منى علمي، **لبنان: قراءة في تفجير برج البراجنة المزدوج في معقل حزب الله**، موقع الشرق الأوسط، ١٥ تشرين الثاني ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥ الساعة: ١٤:٢٥.

(٥٩) **السيارات المفخخة في لبنان: ١٩٧٥-٢٠١٣**، الشهرية، الدولية للمعلومات، ١ تشرين الأول ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٢:٣٢.

(٦٠) **النصرة: تفجير جبل محسن رد على تفجير مسجدي طرابلس**، موقع الجزيرة.نت، ١٢ كانون الثاني ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٢:٤٣.

(٦١) **مذكرة اعتقال بحق مؤسس الحزب العربي الديمقراطي بلبنان**، موقع الجزيرة.نت، ١١ كانون الثاني ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٢:٥١.

(٦٢) **تفجيرات القاع: الجيش اللبناني يعتقل ١٠٣ سوريين في مخيمات للنازحين في بعلبك**، موقع بي بي سي عربي، ٢٨ حزيران ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٠١.

العلنيّة في النزاع السوري، ونشاطاته في العراق واليمن، إضافةً إلى تفكيك خلايا له في دول خليجيّة، واتّهامه قبلًا بتفجيرات في أميركا اللاتينية وأوروبا؛ إلى تغييرٍ جذري في صورته الإقليميّة. لم يَعُد يُنظَر إليه كحركة مقاومة لإسرائيل، بل بات فاعلًا طائفيًّا في صراعات عابرة للحدود ذات طابع مذهبي حاد، وشعر كثيرون أنّه لم يراعِ التوازنات الوطنية وعلاقات البلاد الخارجية.

بعد إسقاط حُكم صدّام حسين إثر الغزو الأميركي عام ٢٠٠٣، وتأييد قسم كبير من المعارضة الشيعية للخطوة، ارتفع منسوب المذهبية بشكل كبير مكوّنًا «صورةً فظيعةً لتفكّكٍ سريعٍ وربّما لا يمكن إصلاحه على صعيد المجتمع والدولة [في العراق] تحفّزه وتزكّيه الانقسامات الدينيّة طويلة الأمد بين العرب السُنة والشيعة [...] وأصبحت الطائفيّة المتحالفة إقليميًّا وسيلةً تنظيميّة للدفاع الجماعي عن النفس».[٦٣]

عام ٢٠١٥، اعترف الأمين العام لـ«حزب الله» حينذاك السيّد حسن نصر الله بالتواجد في «حضور متواضع» في بلاد الرافدين، «لأنّنا هكذا ندافع عن لبنان [...]».[٦٤] ومنذ عام ٢٠٠٥، برز من الحزب علي موسى دقدوق الذي اضطلع بدور أساسيّ في إنشاء المجموعات الموالية لإيران هناك، وكان في منتصف عقده الثالث. وبعد سنتين أوقفه الأميركيون لاتهامه بتدبير هجوم على قوّاتهم في كربلاء، ثمّ أطلقته محكمة عراقيّة في تشرين الثاني ٢٠١٢، واغتالته إسرائيل في ريف دمشق في تشرين الثاني ٢٠٢٤.[٦٥]

وفي سوريا بدأت الثورة عام ٢٠١١ انتفاضة سِلمية، وسرعان ما اتّخذ الصراع صبغةً طائفيّة «بسبب الطريقة التي استجابت بها حكومة بشّار الأسد وتدخّل الجهات الفاعلة الإقليميّة الخارجيّة ذات الأجندات السياسيّة المتضاربة [...]».[٦٦]

(٦٣) هيذر روبنسون - بن كونابل - ديفيد تايلر - علي سكوتن، **الطائفية في الشرق الأوسط التداعيات على الولايات المتحدة**، مؤسسة راند، كاليفورنيا، ص ٤٨.

(٦٤) **من خطاب لحسن نصر الله في مناسبة الذكرى السنوية للقادة الشهداء (الشيخ راغب حرب، السيد عباس الموسوي، وعماد مغنية)**، موقع يوتيوب، ١٦ شباط ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:١٧.

(٦٥) **حكاية دقدوق: من السّجن في العراق إلى الاغتيال في دمشق! (٢/١)**، موقع أساس ميديا، ١٦ تشرين الثاني ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:٥٧.

(٦٦) هيذر روبنسون - بن كونابل - ديفيد تايلر - علي سكوتن، **الطائفية في الشرق الأوسط التداعيات على الولايات المتحدة**، ص ٨٢.

وإذ شارك شبان «الحزب السوري القومي الاجتماعي» في معارك حماية النظام،[٦٧] فإنَّ الحضور الطاغي كان لـ«حزب الله» الذي أذكى قتالُه إلى جانب ميليشيات شيعيّة أخرى من إيران والعراق، باكستان وأفغانستان، منسوبَ التوتّر المذهبي بشكل هائل. بدايةً استخدم عناوين متعددة لتسويق دوره العسكري، مِن الدفاع عن القرى الشيعيّة عند الحدود، إلى تأمينها من التنظيمات «الإرهابية» الّتي تشكّل خطرًا على اللبنانيّين، مسلمين ومسيحيّين، وحماية مقام السيّدة زينب في دمشق. لاحقًا انخرط بقوّة وعلنًا في مختلف الجبهات، وبات الخطاب واضحًا بشأن محاربة التنظيمات المسلّحة المناوئة للأسد أينما وُجِدت. وفي إطار دعوته لتجنيب الداخل اللبناني ارتدادات الصراع السوري المفتوح على كل التدخلات - الأمر الذي لم يحدث - قال نصر الله في أيار ٢٠١٣: «مِختلفين عَ سوريا؟ إنتو عَم تقاتلوا بسوريا، نحنا عَم نقاتل بسوريا. خلّينا نِتقاتَل هونيك، بَدكُن صراحة أكتر مِن هيك؟ لبنان حَيدوه».[٦٨]

وحيث أنَّ الحزب لا يعلن عن العدد الإجمالي لقتلاه ويكتفي بنَعيهم وتشييعهم، فإنَّ الأرقام في هذا الإطار تقريبية، لكنها مرتفعة. بحسب «المرصد السوري لحقوق الإنسان»، سقط له ١٨٣٠ قتيلًا حتى عام ٢٠٢٥،[٦٩] معظمهم من الشبان. أمّا عدد الجرحى، فقاربَ الـ١٧ ألفًا في تقدير قديم بعض الشيء من عام ٢٠١٧.[٧٠]

في اليمن، نشر «التحالف العربي لدعم الشرعيّة» مقاطع فيديو عن تورّط الحزب في التخطيط والدعم التدريبي للحوثيين، إلى وجود خبراء له في مختلف الحقول العسكريّة.[٧١] وعام ٢٠٢١ تحدث طارق صالح، ابن شقيق الرئيس السابق علي عبد الله صالح، عن دور

(٦٧) **«الحزب السوري القومي» يوسع رقعة مشاركته في القتال مع نظام الأسد**، موقع الشرق الأوسط، ٤ نيسان ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٢٢.

(٦٨) **من خطاب لحسن نصر الله بمناسبة الذكرى السنوية لعيد المقاومة والتحرير، إرادة لن تنكسر**، موقع يوتيوب، ٢٥ أيار ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٢٠.

(٦٩) **نحو ٦٥٧ ألف شخص قضوا وقتلوا واستشهدوا منذ اندلاع الثورة السورية في آذار ٢٠١١**، موقع المرصد السوري لحقوق الإنسان، ٢٠ آذار ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٥٧.

(٧٠) حلا نصر الله، **حزب الله يعلن قريبًا عن عدد قتلاه في سوريا**، موقع درج ميديا، ٢٨ كانون الأول ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١٦ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٣٦.

(٧١) **حزب الله في اليمن.. دلالات تورط تسقط حياد لبنان**، موقع سكاي نيوز عربية، ٢٧ كانون الأول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥ الساعة: ١٨:٠٨.

لأكثر من ٣٠٠ من هؤلاء في صنعاء منذ عقد.[٧٢] وفي المقابل، برَّر مقرَّبون من الحزب مشاركاتِه بأنَّها رمزيّة، إعلامية وسياسية، رافضين مقارنتها بموجبات التدخّل في سوريا المرتبطة بالجغرافيا وحماية المراقد.[٧٣]

تزامنًا، إلى نشاطات لتمويله، اتّهمته دولٌ خليجيّة عدّة بإنشاء شبكات تابعة له وأخرى مرتبطة بالجمهورية الإسلامية. في آذار ٢٠١٣ أوقِفت في السعوديّة «خليّة التجسّس الإيرانيّة» المكونة مِن ١٨ شيعيًا، بينهم لبناني. وفي أيلول ٢٠١٥ ادَّعت النيابة العامّة الكويتيّة على ٢٥ شخصًا، جميعهم مواطنون باستثناء إيراني، بالتخابر مع طهران و«حزب الله». وعام ٢٠١٦ قاضَت المحكمة الإتّحاديّة العليا في الإمارات سبعة أشخاص بإفشاء أسرار تتعلّق بالدولة لمصلحة إيران والحزب.[٧٤] وكانت دول مجلس التعاون الخليجي صنّفته منظّمة إرهابيّة في ٢ آذار ٢٠١٦.[٧٥]

وخارج الدول العربية، حمَّلت الأرجنتين الحزب مسؤوليّة الهجوم على السفارة الإسرائيليّة في بوينس آيرس عام ١٩٩٢ الّذي أردى ٢٩ شخصًا. وكان أحد شبانه ضمن الشبكة المُدانة بتنفيذ اعتداء ثانٍ في المدينة عام ١٩٩٤ على مركز الجالية اليهوديّة سقط فيه ٨٥ قتيلًا.[٧٦] وعام ٢٠١٢ فجَّر محمد الحسيني الموالي له، وكان عمره ٢٣ سنة، حافلة تقلّ إسرائيليّين في بورغاس البلغارية، وسُلم رفاته ودُفِن في مقبرة لمقاتلي الحزب في الضاحية الجنوبية في نيسان ٢٠٢٥.[٧٧]

(٧٢) أحمد الشميري، **طارق صالح: ٣٠٠ خبير من «حزب الله» في صنعاء**، موقع عكاظ، ٢٦ أيلول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:١٢.

(٧٣) جهاد أبو العيس، **هل يشارك حزب الله بالقتال في اليمن؟**، موقع الجزيرة.نت، ٢٧ آذار ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:١٧.

(٧٤) **أبرز المحاكمات الخليجية لـ«مرتبطين» بإيران وحزب الله**، موقع الجزيرة.نت، ١١ كانون الأول ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ٢٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٣٣.

(٧٥) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ٢٤٣.

(٧٦) **أميركا تتهم عضوًا بحزب الله بالضلوع في تفجير بوينس آيرس بـ١٩٩٤**، موقع العربية.نت، ٢٠ كانون الأول ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٢:٠١.

(٧٧) **محمد حسن الحسيني: انتحاري «الحزب» في بلغاريا يُدفن في لبنان بعد ١٤ عامًا**، موقع جنوبية، ١٢ نيسان ٢٠٢٥، تاريخ الدخول ٢٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٥٣.

«حزب الله» يواجه إسرائيل... مقاومة بلا إجماع

انتهت الحرب الأهليّة واستمرَّ الصراع مع إسرائيل. بقيَ «حزب الله» قوّة عسكريّة مستقلّة عن سُلطة الدولة، نَمَت وتضخّمت حتّى باتت أقوى منها بأشواط. انخرط في مواجهات عديدة لم تحظَ بإجماع، إذ رآها آخرون في الوطن احتكارًا لقرار السلم والحرب وتغييبًا لمشهد العدالة لعدم وجود آليّة ديموقراطيّة لمناقشة الخيار أو رفضه، بما يؤكد احتجاب الدولة كملجأ سيادي جامع في الشؤون المصيريّة.

في ٢٥ تموز ١٩٩٣ نفَّذت تل أبيب اجتياحًا جويًّا للبلاد سمَّته «تصفية الحساب» وعُرف عندنا بـ«حرب الأيّام السبعة». في ٣١ من الشهر أُعلِن وقفُ النار، وكانت الحصيلة ١١٣ قتيلًا و٤٦٠ جريحًا، بينهم شبان، ونحو ٢٥٠ ألف نازح.[٧٨] بعد أقل من شهرين، في ١٣ أيلول، يوم توقيع اتفاق غزّة - أريحا أوّلًا بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين، لم يمر الأمرُ بسلامٍ في لبنان. كانت منطقة الغبيري مسرحًا لإشكالٍ أمني خلال تظاهرةٍ بدعوةٍ من «حزب الله»، فقُتل تسعة محتجين، جميعهم من الشباب وبينهم فتاتان، إضافةً إلى جرح عشراتٍ.[٧٩]

في ١١ نيسان ١٩٩٦ أطلقت إسرائيل «عناقيد الغضب» المُسماة لدينا «حرب نيسان»، واستُهدفت فيها الضاحية الجنوبيّة للمرّة الأولى منذ عام ١٩٨٢. وبعد ١٦ يومًا أُعلِن «تفاهم نيسان» في بيروت والقدس تزامنًا، وَنَصّ في أحد بنوده على أنّه مرحلي، وليس بديلًا من حلّ دائمٍ بعد مفاوضات. وقضى ٢٥٠ مدنيًّا، بينهم نحو مئة، معظمهم من الشباب والنساء والأطفال، في «قاعدة لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان» (اليونيفل) في بلدة قانا.[٨٠]

وبعد نحو عقد، في ١٢ تموز ٢٠٠٦ أسرَ «حزب الله» جنديّين إسرائيليّين عبر الحدود، فردَّت تل أبيب قاصفةً منشآت مدنيّة وعسكريّة على مدى ٣٣ يومًا. حصدت «حرب تمّوز» أو «حرب لبنان الثانية» ١١٠٩ قتلى مدنيّين و٤٣٩٩ جريحًا، إضافةً إلى تشريد مليون

(٧٨) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ١٥٤.

(٧٩) **١٣ أيلول ١٩٩٣: تسعة أقمار سقطوا لأجل فلسطين**، موقع العهد الإخباري، ١٣ أيلول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة ١٩:٣٤.

(٨٠) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ١٥٩.

شخص.[٨١] وكان لقانا نصيبها مجددًا، فقد قُتل ٥٥ شخصًا بينهم ٢٧ طفلًا في غارة على أحد مبانيها.[٨٢] وسقط نحو ٥٠٠ عنصر من «حزب الله» شكّل الشباب نسبةً عاليةً منهم. وتوقّفت الحرب بقرارٍ من مجلس الأمن في ١١ آب حمَل الرقم ١٧٠١، وتبنّته بيروت في اليوم التالي. [٨٣]

صمَد الهدوء النسبي أقل من عقدَين. ذلك أنَّه في ٨ تشرين الأوّل ٢٠٢٣، غداة عمليّة «طوفان الأقصى» الّتي نفذّتها «حركة المقاومة الإسلامية» (حماس) على أهداف ومستوطنات محيطة بقطاع غزّة، هاجم «حزب الله» موقعًا إسرائيليًا في مزارع شبعا، فاتحًا منفردًا جبهة تحت عنوان الإسناد ودعم الشعب الفلسطيني و«الدفاع عن لبنان وشعبه»،[٨٤] وخسر فيها ٥٠٥ مقاتلين، بينهم عدد كبير من الشبان، نعاهم «على طريق القدس». دامت تلك الحال نحو أحد عشر شهرًا. في ١٧ أيلول ٢٠٢٤، بدا أنَّ الأمور خرجت عن توازنها الهش متجهة نحو عدوان لا سابق له، إذ فجّرت تل أبيب آلاف أجهزة النداء «البيجر» الموجودة لدى العاملين في مؤسّسات «حزب الله» المختلفة، ثم أدوات اللاسلكي في اليوم التالي،[٨٥] وسقط في العمليتين ٣٧ قتيلاً وقارب عدد المصابين ثلاثة آلاف شخص،[٨٦] بينهم نساء، شباب وأطفال.

وفي ٢٣ أيلول بدأت حربٌ إسرائيلية مفتوحةٌ، حدثُها الأبرز عصر ٢٧ من ذاك الشهر حين قتل سربٌ من المقاتلات نصر الله في هجوم بحزام ناري على القيادة المركزيّة

(٨١) **لماذا ماتوا، القتلى المدنيون في لبنان خلال حرب ٢٠٠٦ بين إسرائيل وحزب الله**، هيومان رايتس ووتش، أيلول ٢٠٠٧، مجلد ١٩، رقم ٥، ص ٤.

(٨٢) لينا صالح، **قانا... الشاهدة على تاريخ المجازر الإسرائيلية**، موقع الشرق الأوسط، ١٦ تشرين الأول ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٣٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٠:١٨.

(٨٣) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ٢٠٨.

(٨٤) **حزب الله يتحدث عن إسناده لغزة والآثار الإستراتيجية لطوفان الأقصى**، موقع الجزيرة.نت، ٧ تشرين الأول ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٠٢.

(٨٥) أيهم السهلي، **سيرة حرب: العدوان الإسرائيلي على لبنان ٢٠٢٣-٢٠٢٤**، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٤١ – شتاء ٢٠٢٥، ص ٢٠٨، ٢١١.

(٨٦) **تفجيرا البيجر واللاسلكي... ماذا في آخر الأرقام**، موقع الكتائب، ١٩ أيلول ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٠٣.

من الغارات التي استهدفت لبنان في حرب الـ ٦٦ يومًا

لـ«حـزب اللـه» فـي حـارة حريـك،[٨٧] فانتهـت بذلـك مسـيرة الأميـن العـام الثالـث للحـزب، وهـي الأطـول فـي تاريخـه، إذ شـغل نصـر اللـه المنصـب شـابًا بعمـر ٣٥ سـنة عـام ١٩٩٢. وسـبَّبت تلـك الضربـة المباغتـة رعبًـا وهجـرًا للضاحيـة الجنوبيّـة خصوصًـا أنّ تـل أبيـب أصـدرت تهديـدات لإخـلاء أحيـاء فيهـا،[٨٨] وقـارب عـدد النازحيـن منتصـف تشـرين الأول المليـون و٤٠٠ ألفًـا.[٨٩]

واسـتمرّ العـدوان حتّـى فجـر الأربعـاء ٢٧ تشـرين الثانـي فـي حـرب الـ٦٦ يومًا، «سـهام الشـمال» لـدى تـل أبيـب و«أولـي البـأس» عنـد «حـزب اللـه»، حيـن دخـل اتّفـاق وقـف النـار حيـز التنفيـذ. وأحصـت وزارة الصحّـة العامـة ٣٨٢٣ قتيـلًا و١٥٨٥٩ جريحًـا.[٩٠] ويمكـن القـول إنّ الرقـم ليـس شـاملًا، لأنـه يصعـب تحديـد الحجـم الفعلـي للخسـائر البشـرية الكُليـة فـي غيـاب إعـلانٍ مـن «حـزب اللـه» بشـأن العـدد النهائـي فـي صفوفـه والّـذي يتكـوّن بمعظمـه مـن الشـباب، بينهـم مَـن نُعيـوا كـ«مفقـودي الأثـر». وثمّـة مـن وقعـوا فـي قبضـة الجيـش الإسـرائيلي ولا تعـدادَ رسـميًا أو مـن الحـزب لهـم، ولـو أنّـه وُثِّـق لاحقًـا أسـر ١٦ شـخصًا، بينهـم مدنيّـون، أثنـاء الحـرب وبعدهـا.[٩١]

(٨٧) **استهداف حزب الله في الضاحية الجنوبية.. كل ما نعرفه حتى الآن**، موقع سكاي نيوز عربية، ٢٧ أيلول ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٥٠.

(٨٨) **بالفيديو.. نزوح سكان من الضاحية الجنوبية لبيروت**، موقع سكاي نيوز عربية، ٢٨ أيلول ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٣٢.

(٨٩) **وزير لبناني: عدد النازحين تخطى مليونًا و٤٠٠ ألف**، موقع الجزيرة.نت، ١٦ تشرين الأول ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٢٣.

(٩٠) **يوميات الحرب، تشرين الثاني**، فان رقم ٤، العدد ١٦، ٣ كانون الأول ٢٠٢٤، ص ١١.

(٩١) نذير رضا، **غموض يحيط بملف الاسرى اللبنانيين لدى إسرائيل**، موقع الشرق الأوسط، ٢١ حزيران ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:١٨.

حروب داخل الطوائف... «أهليّة بمْحَليّة»

ظنّ اللبنانيّون عام ١٩٩٠ أنّ زمن الاقتتال الداخلي ولّى. ولكن شهدت البلاد معارك سياسيّة وأمنيّة كانت نزاعاتٍ على النفوذ والتمثيل في كلّ طائفة. كثيرًا ما انقلبت خلافات البيت الواحد مواجهات مسلّحة لغياب الضبط المؤسّساتي، ممّا رسّخ واقع دويلات المذاهب، وكرّس سطوة الولاء الحزبي على حساب السلم الأهلي.

شيعيًا، ازداد تدهور العلاقة بين «حزب الله» والشيخ صبحي الطفيلي بعدما أُقصِيَ عن مركز الأمانة العامة عام ١٩٩١ على خلفية التباين حيال مطالب خدماتية وإنمائية في البقاع، فهو اعتبر أنّ الحزبَ انخرط في صفقات مع السُلطة. وفي ٤ أيّار ١٩٩٧ أطلق ما سمّاه ثورةَ الجياع، ودعا إلى عصيانٍ مدني في ٤ تموز في بعلبك. وتصعيدًا قرَّر إقامة مراسم «يوم القدس العالمي» في مكان إحياء «حزب الله» المناسبة عادة، فَصَدر قرار فصله في ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٨. وبعد ستّة أيّام، اندلع صدام مسلّح بين أنصاره وعناصر من الحزب في «حوزة المهدي» في بلدة عين بورضاي البقاعية. وأُطلِقت ضدّه حملةٌ عسكريّة رسمية قُتِل فيها النائب السابق الشيخ خضر طليس إضافةً إلى مناصرين للجانبين وجنود لبنانيين.[٩٢]

لم يعلن الحزب رسميًا مشاركته في إنهاء حركة الطفيلي حفاظًا على هالة سلاحه المُقاوم في مواجهة إسرائيل وعدم استخدامه في الداخل، الأمر الذي سقطَ لاحقًا في شوارع بيروت إثر أحداث ٧ أيار ٢٠٠٨.

إلى ذلك، ورغمَ الحلف الصلب بين «حزب الله» و«حركة أمل»، فإنَّهما يتباينان حيال العديد من الملفّات الداخليّة والخارجيّة، إضافةً إلى التنافسِ التقليدي على زعامة الشيعة. جهد الطرفان في حقبة ما بعد اتفاق الطائف لاحتواء الإشكالات بين مناصريهما لإبقاء الأمور تحت السيطرة خدمةً للمصالح الإستراتيجية المشتركة. غير أنَّ التداخل الكبير اجتماعيًّا يجعل المواجهات المُسَّماة فرديّة تأخذ طابعًا حزبيًا وتؤدّي أحيانًا إلى سقوط ضحايا. الدم المُراق يعيد التذكير بما سمَّاه الصحافي علي الأمين «حرب السنتين الشيعية»، «فالنار خامدة تحت الرماد، سرعان ما يشعلها إشكال من هنا واحتفال من هناك»[٩٣] ويُعمَل لإطفائها ببيانات

(٩٢) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ١٦٤، ١٦٨-١٦٩.

(٩٣) علي الأمين، **«حزب الله» يأكل حليفه الشيعي.. والجنوب يستعيد حرب إقليم التفاح!**، موقع جنوبية، ٢٣ آب ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٢:١١.

مشـتركة لتهدئـة الجمهورَيـن والتأكيـد علـى الخلفيـة الشـخصية للتقاتـل.

علـى سـبيل المثـال لا الحصـر، وبعـد أقـل مـن شـهرين علـى الانسـحاب الإسـرائيلي فـي ٢٥ أيـار ٢٠٠٠، قضـى فـي ١٦ تمـوز شـابان مـن الحـزب «سـاهما بقـوة فـي صنـع التحريـر» وخضعـا لـدورات «عسـكرية وثقافيـة» وشـاركا فـي «عمليـات نوعيـة»، فـي بلـدة مركبـا الحدوديـة بعـد خـلاف مـع عناصـر مـن الحركـة علـى رفـع صوَر سـقط فيـه جرحـى مـن الطرفيـن.[٩٤] وفـي آب ٢٠٢٠ توفـي شـاب مـن «أمـل» وجُـرح ثلاثـة آخـرون فـي عـراك بسـبب لافتـاتٍ عاشـورائيّة فـي بلـدة لوبيـة امتـدَّ إلـى عدلـون القريبـة.[٩٥]

درزيًـا، تواجهـت الزعامتـان بيـن النزاعـات المحليـة والإقليميـة، فـ«الحـزبُ الديموقراطـي اللبنانـي» هـو المنافـسَ التقليـدي لـ«الحـزب التقدمـي الاشـتراكي» الأقـوى حضـورًا. ورغـم عقـد الاجتماعـات عنـد الضـرورة بيـن طـلال أرسـلان ووليـد جنبـلاط، وتشـديدهما الدائـم على وحـدة الطائفـة، وقعت بيـن الفَينـة والأخـرى مواجهـات بَيـن أتباعهمـا علـى خلفيّـة التناقضـاتِ السياسـيّة. نذكـر إشـكالًا فـي أيـار ٢٠١٨ فـي الشـويفات أدّى إلـى سـقوط ضحيّـة،[٩٦] وكذلـك مقتـل شـابين مـن مناصـري أرسـلان كانـا فـي موكـب الوزيـر السـابق صالـح الغريـب علـى أيـدي عناصـر مـن «الحـزب التقدّمـي الاشـتراكي» فـي قبرشـمون فـي ٣٠ حزيـران ٢٠١٩.[٩٧]

لـم يقتصـر التبايـنِ مـن الحـرب السـورية علـى «حـزب اللـه» وخصومـه السـلفيين، بـل امتـدَّ إلـى «الحـزب التقدمـي الاشـتراكي» و«حـزب التوحيـد العربـي». وتجلّـى بقـوّة بعـدَ هجـومِ «جبهـة

(٩٤) **القيادتان تعتبران الحادث فرديًا والقضاء العسكري يتسلّم القضية مقتل عنصرين من «حزب الله» في مركبا بعد خلاف مع عناصر «أمل» على صور ولافتات**، السفير، ١٧ تموز ٢٠٠٠، العدد ٨٦٥٣، ص ٥.

(٩٥) **خلاف على لافتات عشورائية في لوبية: ومقتل وجرح عناصر من أمل بكمين لـ «حزب الله»!**، موقع جنوبية، ٢٠ آب ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٥٧.

(٩٦) **قتيل بإشكال مسلح في الشويفات جنبلاط: معيب هذا الإقتتال العبثي**، موقع المركزية، ٨ أيار ٢٠١٨، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٣٣.

(٩٧) جوني فخري، **بعد مقتل مرافقيه بحادثة جبل لبنان.. هكذا علق الوزير**، موقع العربية.نت، ٣ تموز ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٢١ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٤٧.

النصرة» على قرية درزيّة بجبل السماق في إدلب عام ٢٠١٥. حينها أعلن وهاب النفيرَ العام، وحاول جنبلاط احتواء الأزمة بالاتّصال بالمعارضة السوريّة.[٩٨]

حروب بين الطوائف... خطوط تماس جديدة بأدوات قديمة

توزّعت الجماعات اللبنانيّة في زمن السلم على خطوط تماس طائفية جديدة، وإن تكن غير معلنة أو ظاهرة كما في الحرب، مؤسِّسة لنزاعات صغيرة أكَّدت أنَّ غيابَ الدولة العادلة القادرة يتيح لكلّ جهةٍ خوضَ معاركها الخاصّة متى شاءت.

بعد اغتيال الحريري بدا أنَّ الشارعين السني والشيعي متجهان إلى تصادم عنيف بلغ ذروته في أحداث ٧ أيار ٢٠٠٨ التي كان لها أسبابها الآنية، إلى تراكمات تصاعدية أفضت إليها، منها اعتصام «حزب الله» المفتوح لإطاحة حكومة فؤاد السنيورة أواخر عام ٢٠٠٦. كما أنّه بعد يومَين على سقوط جرحى خلال إضراب نفّذته قِوى ٨ آذار لتكثيف الضغط على مجلس الوزراء،[٩٩] وقعت في ٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٧ مواجهات بالحجارة والعصي بين شبان سُنة وشيعة في حرم جامعة بيروت العربيّة ومحيطها في الأحياء المتداخلة طائفيًّا، وتطوَّرت إلى إطلاق الرصاص ومقتل أربعة أشخاص.[١٠٠] ودلَّت بعض اللقطات على استعدادات مُسبقة من الطرفَين للمواجهة. فقد شوهِد قنّاصة على أسطح البنايات، إضافةً إلى انتشار شبّان مجهّزين بخوذات. وفي تبعات ذلك، خُطِف شابّان محسوبان على «الحزب التقدّمي الاشتراكي» في ٢٣ نيسان وأُرديا ورُميا في بلدة جدرا الشوفية، واتُّهم أخوة أحد قتلى موقعة الجامعة العربية من آل شمص بالوقوف وراء الجريمة ثأرًا.[١٠١]

وعلى خلفيّة توتّر مرتبط بتركيب كاميرا مراقبة في محيط مطار رفيق الحريري الدولي،

(٩٨) آمال خليل، **دروز لبنان: بين «حادثة» جنبلاط و«نفير» وهاب**، موقع الأخبار، ١٢ حزيران ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ١٨ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٣٠.

(٩٩) أواب المصري، **أبرز الأحداث التي شهدها لبنان في ٢٠٠٧**، موقع الجزيرة.نت، ٣٠ كانون الأول ٢٠٠٧، تاريخ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٢:٣٨.

(١٠٠) **٤ قتلى بتجدد مواجهات بيروت وقادة لبنان دعوا لضبط النفس**، موقع الجزيرة.نت، ٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٧، تاريخ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٢:٢٧.

(١٠١) يوسف دياب، **إنهاء تداعيات مقتل «الزيادين» واستمرار مفاعيله القضائية**، موقع الشرق الأوسط، ٢٤ نيسان ٢٠١٨، تاريخ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٢:٥٣.

قـرَّر مجلـس الـوزراء فـي ٥ أيـار ٢٠٠٨ إرجـاع قائـد جهـاز أمـن المنشـأة العميـد وفيـق شـقير إلـى مَـلاك الجيـش، واعتبـار شـبكة اتّصـالات الحـزب غيـر شـرعيّة.[١٠٢]

وبعـد يومـيـن، انحرفـت حـراكات مرافقـة لإضـراب الاتّحـاد العمّالـي العـام، إلـى اجتيـاحٍ مسـلّح مـن مقاتلـي «حـزب اللـه»، «حركـة أمـل» و«الحـزب السـوري القومـي الاجتماعـي». وقعَـت اشـتباكات فـي بيـروت والجبـل، وامتـدّت إلـى الشـمال، البقـاع وصيـدا مـع قطـع طرقـات سـاحليّة وداخليّـة وعـزل مناطـقَ. قُتـل ٧١ شـخصًا فـي المواجهـات، غالبيّتهـم مـن الشـبّان، وسـقط عشـرات الجرحـى. وسـكتت المعـارك بتراجـع الحكومـة عـن قرارَيهـا فـي ١٤ أيّـار وذهـاب سياسـيي البـلاد إلـى قطـر لمحادثـات اسـتمرّت أسـبوعًا وتوّجـت بمـا عُـرِف بـ«إتّفـاق الدوحـة»[١٠٣] الـذي كان إقـرارًا متأخِـرًا بثغـرات «الطائـف» وسـوء تنفيـذه وكـرَّس هيمنة السـلاح طرفًـا مؤثـرًا فـي السياسـة اللبنانيـة. وهـو، للمفارقـة، اتفـاق ثـانٍ علـى أرض خليجيـة.

قصَمـت موقعـة ٧ أيـار ٢٠٠٨، باتسـاع مداهـا الزمنـي والجغرافـي وارتفـاع خسـائرها البشـرية والماديـة، التوازنـات الهشـة، إذ شـكّلت محطّـة مفصليّـة فـي مسـار الصـراع السياسـي والمذهبـي، خصوصًـا مـع سلسـلة اغتيـالات سياسـية طالـت خصومًـا لـ«حـزب اللـه» الـذي خـرج مِـن حربـه مـع إسـرائيل صيـف ٢٠٠٦ بصـورة المنتصـر، ناقـلًا فائـضَ القـوّة هـذا نحـو الداخـل.

وفـي ١ آب ٢٠٢١ أشـعل ثـأرٌ فتيـل صـدام سـني – شـيعي جديـد، إذ شـهدت خلـدة اشـتباكات بيـن «عشـائر العـرب» وعناصـر مـن الحـزب، عقـب نَصـب كميـنٍ لتشـييع علـي شـبلي ممّـا أدّى إلـى مقتـل أربعـة أشـخاص، وكان شـاب مـن العشـائر أردى الأخيـر بخلفيّـة انتقاميـة فـي زفـاف فـي الجيّـة. وتمـدَّدت الاشـتباكات مـن الأحيـاء الداخليّـة إلـى الطريـق السـريعة بيـن بيـروت وصيـدا.[١٠٤] وذلـك لـم يكـن حادثًـا عابـرًا، بـل انعكاسًـا لهيمنـة الثـأر علـى مفهومَـي القانون والدولة وتفشـي العنف المحلي بين الشـباب.

وأطـلَّ شـبح حـرب أهليـة جديـدة مِـن رمـاد العدالـة المعطَّلـة. فبعـد اسـتدعائه لـوزراء ونـوّاب

(١٠٢) **الحكومة اللبنانية تهاجم شبكة اتصالات حزب الله**، موقع الجزيرة.نت، ٦ أيار ٢٠٠٨، تاريخ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٠:١٤.

(١٠٣) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ٢١٩-٢٢٠، ٢٢٢.

(١٠٤) إكرام صعب، **كمين واشتباكات وجريمة ثأر.. ماذا يحدث في خلدة اللبنانية؟**، موقع سكاي نيوز عربية، ١ آب ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٩ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٥٣.

مِن قوى حليفة لـ«حزب الله»، اتُهم طارق البيطار، قاضي التحقيق في انفجار مرفأ بيروت في ٤ آب ٢٠٢٠، بالتحيّز، التسييس والاستنسابيّة. وبعد تصويب نصر الله عليه داعيًا إلى إبعاده عن الملف،[١٠٥] تحرّك في ١٤ تشرين الأوّل ٢٠٢١ شبّان مؤيّدون للحزب و«حركة أمل» نحو قصر العدل للضغط لإقصائه. ثم «لَعلَع الرصاص عند مستديرة الطيّونة على الحدّ الفاصل بين منطقتَي الشيّاح في الضاحية الجنوبيّة لبيروت وعين الرمانة بالضاحية الشرقيّة منها، ذلك الخطّ الّذي شكّل جبهة حرب منذ ١٩٧٥ حتى ١٩٩٠».[١٠٦]

وليس من حاجة للتذكير بأنَّ «البوسطة» مرّت في عين الرمانة نفسها. وكان في الطيّونة كل مقوّمات الحرب الفعلية، من خصوصية المكان، إلى الرصاص والأسلحة المتوسطة كـ«الآ بي جي»، و«سلاح» حديث لم يكن موجودًا في جولات الحرب الكبرى، هو النقل التلفزيوني المباشر الذي أتاح لكل من «حزب الله» و«القوات اللبنانية» تقديم روايتَيْن ومظلوميتَيْن متناقضتين. وأثبت وجود قناصة على الأسطح خطورة المواجهة بدليل أنَّ «إصابات القتلى كانت في الرأس والقلب والجزء الأعلى من الجسد، أي بقصد القتل».[١٠٧] وأردت المعركة سبعة أشخاص، معظمهم شبان، وعشرات الجرحى، وكان الموقوفون فيها من المنطقتين.[١٠٨]

بينما اتهم نصر الله شباب «القوّات اللبنانية» بإطلاق النار على المتظاهرين من أنصاره،[١٠٩] نفى الحزب المسيحي مشاركته في القتال، معتبرًا أنّ ما جرى لا يعدو كَونَه دفاع أهالي عين الرمانة عن أنفسهم. غير أنّ جعجع وصفَ الأمر بأنه «ميني ٧ أيار مسيحي» حاول «حزب الله» القيام به.[١١٠]

(١٠٥) شفيق شقير، **اشتباكات الطيونة في لبنان: السياق والرسائل**، مركز الجزيرة للدراسات، ١٧ تشرين الأول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٩ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٠٤.

(١٠٦) نجم الهاشم، **نار حوادث الطيونة التي كادت تحرق لبنان**، موقع إنديبندنت عربية، ١٤ تشرين الأول ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٩ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٢:٥٢.

(١٠٧) ضحى شمس، **لبنان. «كمين الطيونة» يوقظ شبح الحرب الأهلية**، موقع أوريان ٢١، ١٠ تشرين الثاني ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٩ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:١٦.

(١٠٨) نبيلة غصين، **التحقيق في أحداث الطيونة: أربعة موقوفين و١٧ دعوى لكف يد القضاة**، موقع المفكرة القانونية، ١٣ أيلول ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٩ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٣:٢٠.

(١٠٩) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ٢٥٩.

(١١٠) شفيق شقير، **اشتباكات الطيونة في لبنان: السياق والرسائل**، مركز الجزيرة للدراسات، ١٧ تشرين الأول ٢٠٢١.

من ثورة ١٧ تشرين

مهما يكن من أمر، كشفت معركة الطيّونة وما سبقها من تعبئة حزبيّة وطائفيّة، قابليّة الشوارع المتقابلة للانفجار عند أدنى فرصة، وأنّ جروح الحرب لا تزال مفتوحة عند خطوط التماس القديمة – الجديدة، والأخطر استمرار التسلح الكثيف من الجميع عندها. كما أنَّ نسبة الشبان المشاركين فيها مِمّن لم يشهدوا الحرب، بيَّنت حملهم لسرديّاتها عن «الآخر» وعداواتها الموروثة في يومياتهم.

عنف السُلطة بأحزابها وأجهزتها الأمنية

وصفت الخبيرة التربوية نايلة خضر حمادة في مقابلة لغايات هذا البحث ثورة ١٧ تشرين الأول ٢٠١٩ بأنها كانت مناسَبة لأفراد جيل الألفية للتعرُّف السياسي على بلادهم والانخراط في شؤونها ومحاولة تغييرها. حملوا لافتات كُتب فيها «اليوم انتهت الحرب» وسألوا في جلسات النقاش في الساحات عن أسبابها ونتائجها، فكان ذلك حافزًا للتفكير المشترك والتحرُّر من سطوة الأحزاب الطائفية التقليدية، قبل أنْ يُحبط هذا الحوار الشبابي العابر للمذاهب[١١١] نتيجة عوامل متعددة بينها تفشي جائحة كورونا وانفجار مرفأ بيروت والانهيار الاقتصادي عام ٢٠٢٠، من دون إنكار تأثير العُنف الحزبي والأمني.

استشعرت مكوّنات السُلطة حينذاك خطرًا لا سابق له حتى في حراك «طلعت ريحتكم» عام ٢٠١٥ الذي كان بدوره شبابي القيادة، إذ لم يصبر مناصرو بري أكثر من ٢٤ ساعة على

(١١١) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث مع مؤسِسة «الهيئة اللبنانية للتاريخ» الدكتورة نايلة خضر حمادة في ٢٠ حزيران ٢٠٢٥ في بيروت.

«التهجم على زعيمهم [...] مُطلقين النار في بعض الأماكن لتفريق المتجمعين [...]»،[١١٢] بينما شهد اليومان الأولان من الثورة توقيف ١٣٠ شخصًا معظمهم في بيروت أفادوا أنهم ضُربوا بوحشية.[١١٣] وبعدها أصيب سبعة أشخاص في النبطية في هجوم بالعصي نفذَه «"شبيحة" جهة حزبية».[١١٤] وهاجم شبان موالون لـ«حزب الله» متظاهرين ومتظاهرات في ساحة رياض الصلح في بيروت،[١١٥] وتكرر المشهد بعد أيام على أيدي من وصفتهم صحيفة «النهار» بـ«الوحوش البشرية».[١١٦]

لم يقتصر العنف على الثنائي الشيعي، إذ اعتبر مناصرو «الحزب التقدمي الاشتراكي» أنَّ «وليد جنبلاط خط أحمر» لدى اعتدائهم على شبان وشابات[١١٧] في بقعاتا وعاليه. و«انقضّ أنصار التيار الوطني الحرّ على المحتجّين [...] في جل الديب وجونيه وبعبدا والحدث [...] وأنصار القوات اللبنانية [هم أيضًا هاجموا متظاهرين] في جل الديب، وتيار المستقبل [قام بالمثل] في وسط بيروت». وحتى ١٧ تشرين الأول ٢٠٢٠ سقط خمسة قتلى شباب للثورة وسُجِّل توقيف واستدعاء ما لا يقلّ عن ١٥٠٠ شخص من مختلف المناطق في عنف أمني ممنهج تسبَّب في إصابة نحو ٨٠٠ شخص، معظمهم شباب، في الاحتجاجات، بعضهم عانى من ضرر دائم الاستهداف «بالرصاص المطاطي في الرأس والصدر وفقدان النظر، أو [الذخيرة الحيّة والكرات المعدنية المعروفة بـ] الخردق في الجمجمة والرئة والقلب، والكسور والارتجاجات في العامود الفقري والرأس والوجه [و]مختلف أنحاء الجسم، وانخفاض القدرة على السمع [...]».[١١٨]

(١١٢) آمال خليل، **أنصار بري جنوبًا: ضبوا الثورة!**، الأخبار، ٢٠ تشرين الأول ٢٠١٩، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:١٢.

(١١٣) هديل فرفور، **إخلاء ١٣٠ موقوفًا: ضربنا بوحشية**، الأخبار، ٢٠ تشرين الأول ٢٠١٩، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:١٦.

(١١٤) رمال جوني، **النبطية... الثوار يكسرون «غزوة العصي»**، نداء الوطن، ٢٤ تشرين الأول ٢٠١٩، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٣١.

(١١٥) **مناصرو «حزب الله» يهاجمون المتظاهرين في بيروت**، نداء الوطن، ٢٥ تشرين الأول ٢٠١٩، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٣٦.

(١١٦) **النساء أقوى من الوحوش البشرية**، النهار، ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٩، ديوان الذاكرة اللبنانية: تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٤٤.

(١١٧) **قمع حزبي وآخر رسمي: الاحتجاجات مستمرة في مختلف المناطق**، موقع المدن، ٥ تموز ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٠٢.

(١١٨) نادر فوز، **١٧ تشرين وسنة الدم المسفوك: خمسة شهداء و١٥٠٠ ضحية**، موقع المدن، ١٧ تشرين الأول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:١٩.

اشتدَّ بطش الأجهزة الأمنية عند كل مناسبة عدَّتها السُلطة مقدّمةً لاحتمال عودة الحراكات الشعبية، مِن قبيل ٨ آب ٢٠٢٠ الذي شهد تظاهرة بعد أربعة أيام من انفجار مرفأ بيروت جوبهت بعنف مفرط أوقعَ ٧٠٠ جريح وجريحة بالذخيرة الحية والخردق والرصاص المطاطي والغاز المسيّل للدموع.[١١٩] ومن مصابي ذلك اليوم المحامي الشاب فراس حمدان، ابن الكفير الجنوبية، الذي سقطَ أرضًا بشظايا قنبلة خردق اخترقت قلبه على مسافة مئة متر من مجلس النواب[١٢٠] الذي دخله بعد عامين مُنتخبًا باسم ثورة ١٧ تشرين. ولطالما استخدمت السُلطة إياها العنف المفرط في مواجهة ذوي ضحايا تفجير المرفأ، وهم شبانٌ وشابات وأمهات ثكالى وآباء مكلومون.

العنف هو الرد السُلطوي الأوحد على أي حراك شبابي عابر للأحزاب مُطالِب بالإصلاح السياسي والاقتصادي. و٧ آب ٢٠٠١ مثال على ذلك، «محطة مفصلية في تاريخ لبنان. يومها قبضت قوى الأمن اللبنانية على مئات الشباب الذين كانوا يتظاهرون من أجل حرية التعبير وضد نظام القمع السوري [...]، فزجّتهم في السجن من دون أي مذكرات توقيف ولا تبريرات قانونية».[١٢١] ودُهم مقر مصلحة الطلاب في «حزب القوات اللبنانية» ومركز «التيار الوطني الحر» واقتيد عشرات الشبان والشابات إلى وزارة الدفاع واحتُجزوا لأسابيع.[١٢٢]

كما اتخذَّ الإضراب الّذي دعا إليه الإتّحاد العمّالي العام في ٢١ أيّار ٢٠٠٤ منحى دمويًّا بخمسة قتلى و٢٠ جريحًا، غالبيّتهم من الشبّان. واحتجاجًا على غياب التيّار الكهربائي في بعض أحياء بيروت وضاحيتها الجنوبيّة، اندلعت صدامات بين الجيش ومتظاهرين في ٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٨ في منطقة الشيّاح – مار مخايل سقط فيها ثمانية ضحايا

(١١٩) بتول يزبك، **٨ آب: ذكرى للعنف السّلطوي واللاقانوني**، موقع المدن، ٨ آب ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٣١.

(١٢٠) نبيلة غصين، **فراس حمدان يدخل البرلمان في قلبه ١٧ تشرين وحبّة خردق**، موقع المفكرة القانونية، ٢٧ أيار ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢٠:٤٠.

(١٢١) غسان سعود، **٧ آب... يوم ضاق لبنان بالديموقراطية**، موقع الأخبار، ٢١ كانون الأول ٢٠٠٦، تاريخ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:١٢.

(١٢٢) جورج العاقوري، «**٧ آب» ... نعم «العين تقاوم المخرز»**، موقع ليب توكس، ٧ آب ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٤:٠٨.

و٢٩ مصابًا،[١٢٣] معظمهم شبّان. وبعد أسبوعَين، ادّعى مفوّض الحكومة لدى المحكمة العسكريّة الدائمة حينذاك جان فهد على ضابطين و١١ عسكريًّا «بجُرم القَتل المتعدّي القَصد».[١٢٤]

النساء... تراجع الحضور العسكري وصعود التعبئة الدينية

في خبر لموقع هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» بالعربية عن تفجيرات القاع، صورة لشابتين مع امرأة أكبر سنًا يحملن السلاح مع تعليق أنهنَّ مسيحيات.[١٢٥] وانتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي لقطات مماثلة لمُناصرات لـ«حزب القوات اللبنانية» بعد موقعة الطيونة، لكنها بدَت استعراضية أكثر منها مشاركة فعلية في المواجهة.

يُسجَّل للشابات اللبنانيات عدم انخراطهن في حروب ما بعد اتفاق الطائف، ويمكن تفسير ذلك بأنَّ معظم الجولات لم تدُم أكثر من أيام، بمعنى أنها لم تشكِّل خطرًا وجوديًا، بالتزامن مع ضُمور اليسار والتيارات القومية التي جنَّدت النساء سابقًا، إلى قلة المواجهات التي انخرط فيها اليمين المسيحي.

وفي المقابل، تقدَّمت نساء منقبات، ولا زلن، كل التظاهرات المطالبة بإطلاق الموقوفين الإسلاميين. ويُلاحظ في هذا الإطار انتشار الفكر السلفي في أوساط الشابات كما الشبان، مع دور شبه عسكري لبعضهن. فعلى سبيل المثال، في تشرين الأول ٢٠١٤ «وصل للقوى الأمنية معلومات عن قيام القوى التكفيرية في جرود عرسال بتدريب نساء وتجهيزهن للقيام بعمليات انتحارية وقيادة هذه السيارات بأنفسهن».[١٢٦]

وفي نهاية عام ٢٠١٥ أتمَّت الحكومة صفقة تبادل مع «جبهة النصرة» شملت تحرير

(١٢٣) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ١٧٦، ٢١٨.

(١٢٤) **جريمة مار مخايل: الإدعاء على ١٩ عسكريًا**، موقع الأخبار، ١٢ شباط ٢٠٠٨، تاريخ الدخول: ٢٥ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:١٠.

(١٢٥) **تفجيرات القاع: الجيش اللبناني يعتقل ١٠٣ سوريين في مخيمات للنازحين في بعلبك**، موقع بي بي سي عربي، ٢٨ حزيران ٢٠١٦.

(١٢٦) **طرابلس استعادت هدوءها واجراءات استثنائية جنوباً والمغاوير مشطوا جرود القبيات**، موقع جنوبية، ٢٩ تشرين الأول ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ٢٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٢٢.

١٦ عسكريًا مخطوفًا في مقابل إطلاق ١٣ موقوفًا إسلاميًا، بينهم خمس نساء،[١٢٧] إحداهن اللبنانية جمانة حميّد. هذه الشابة الثلاثينية حينذاك كانت «واحدة من فتياتٍ ثلاث أوقفن بتهمة تهريب سيارة مفخّخة»، وكانت تقودها بنفسها لإيصالها إلى أحد الانتحاريين، وقد «تحوّلت حياة جمانة، بعد مقتل شقيقها في المعارك في سوريا بشكل جذري [...]».[١٢٨] وهي سبق لها سياقة آلية مفخخة أخرى من عرسال إلى عاليه حيث سلَّمتها إلى سوري اصطحبها إلى منطقة الكولا في بيروت ثم أكمل مهمته منفردًا. وبعد توقيفها، هددت «جبهة النصرة» بإعدام العسكري علي البزال «مما يدلل على مكانة هذه المرأة لدى هذا التنظيم الإرهابي [...]».[١٢٩]

مع صعود «داعش»، برزت في هيكليّته التنظيميّة الأساسيّة في القلمون عام ٢٠١٥ لبنانيتان هما منى أ. م. وماجدة ب. س.[١٣٠] حتى عام ٢٠٢٢ كانت لبنانيات، بينهن شابات، من زوجات وأرامل عناصر «داعش»، موجودات وأطفالهن في مخيمَي الهوْل وروج بشمال شرق سوريا من دون تسوية تسمح بإعادتهن إلى البلاد، وربطَ المدير العام السابق للأمن العام اللواء عباس إبراهيم الأمر بـ«قرار سياسي يجب أن يُتخذ».[١٣١]

من جهته، كان نصر الله عزا التحفُّظ عن دور مسلح للنسوة بأنَّ لا حاجة إلى جهد لهنَّ في هذا المجال.[١٣٢] ورأت الباحثة هناء جابر في مقابلة لغايات هذا التقرير أنَّ النساء، بما فيهن الشابات، في بيئة الحزب، مجنَّدات ولو مِن دون ترسانة. فحربُهن «باطنية» تقوم على التجييش، وهنَّ «شديدات الأهمية في التعامل مع الخسائر البشرية أو إدارتها». كما أنَّ تأطير الأسى الذي عليهن ممارسته والإحساس به نوعٌ من العنف، ذلك أنَّ «الحزن العام

(١٢٧) **تفاصيل صفقة التبادل بين «النصرة» ولبنان**، موقع الجزيرة.نت، ١ كانون الأول ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:١٥.

(١٢٨) من هي المرأة التي يتوقّف عليها مصير العسكري المخطوف؟، موقع أم تي في، ٢٨ تشرين الثاني ٢٠١٤، تاريخ الدخول: ٢٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٢٠.

(١٢٩) على الموسوي، **«محكمة» تنشر اعترافات عناصر «النصرة» المتروكين مقابل تحرير العسكريين**، موقع محكمة.نت، ٥ تموز ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٢٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٢٥.

(١٣٠) **تعرّفوا على «داعشيات» لبنان!**، موقع أم تي في، ٣٠ حزيران ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٤٠.

(١٣١) **نساء «داعش» اللبنانيات... غرف خاوية تنتظر أصحابها**، وكالة أخبار اليوم نقلًا عن موقع «الحرة»، ١٤ تموز ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ٢١:٣٠.

(١٣٢) راغدة غملوش، **المرأة الشيعية في لبنان خصوصية الهوية والكفاح المستمر**، ص ٨٩.

في عاشوراء مُلزِم وواجب في مقابل منع الحق بالحزن الخاص»[١٣٣] على قتلى الحزب في سوريا وسواها.

الاغتيالات السياسية... حربٌ مستمرة على الأفراد

مِن معالم الإفلات مِن العقاب الموروثة مِن الحرب استمرار ظاهرة الاغتيال السياسي في زمن السِلم بوتيرة لا تقلُّ عنفًا عما ارتُكب خلال التقاتل الأهلي على أرضِ ما وصفَه الكاتب سليمان تقي الدين بـ«أوطان طائفية متقابلة» تجعلُ الاتفاق على تعريف «الشهداء» متعذِّرًا وتنشرُ الثأر «كأي مجتمع قبلي»[١٣٤] على حساب العدالة والمُواطنة.

في باب «مَن قتل مَن» على موقع «ديوان الذاكرة اللبنانية»، وتحت عنوان الاغتيالات، إحصاء لـ١٣٧ جريمة اغتيال سياسي بدءًا بكامل الحسين اليوسف في ١٠ أيار ١٩٤٩ وانتهاءً بباسكال سليمان في ٩ نيسان ٢٠٢٤، مع العلم أنَّ العدد شمل أجانب قُتلوا في لبنان. ووقع ٤٣ من تلك الجرائم بعد اتفاق الطائف،[١٣٥] وهذا رقم مرتفع لفترة كان يُفترض أن تكون سلمية. على سبيل المثال شهد حزيران ٢٠٠٥ تصفية سمير قصير في ٢ منه وجورج حاوي في ٢١. وفي جداول «الدولية للمعلومات» ترددت عبارة «لم يتوصل إلى نتيجة» بشأن التحقيق في معظم الجرائم، كذلك الحال مع محاولات الاغتيال، وعددها ٩٥ بين عامَي ١٩٤٣ و٢٠٢١.[١٣٦]

وكتبَ نادر فوز أنَّ «التحقيق في الاغتيال السياسي خطٌ أحمر، [...] وبعد الشجب خيار من اثنين: قتلٌ آخر أو صمتٌ خوفًا منه ودرءًا للفتنة [...] حوّل العيش المشترك إلى موت مشترك لكل معارضيه [...]».[١٣٧] وعلى موقع «مؤسسة لقمان سليم» تقويم من كانون الثاني حتى

(١٣٣) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث مع الدكتورة هناء جابر، المديرة التنفيذية لـ«مؤسسة لقمان سليم»، في مقر المؤسسة في بيروت في ١٤ تموز ٢٠٢٥.

(١٣٤) سليمان تقي الدين، **العنف والاغتيال والموت السياسي**، السفير، ٢٣ تشرين الأول ٢٠١٢، ص ١ و١٦، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٣ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:١٣.

(١٣٥) **الاغتيالات**، مَن قتل مَن، ديوان الذاكرة اللبنانية، تاريخ الدخول: ٢٣ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٤٢.

(١٣٦) **٢٢٠ اغتيالًا ومحاولة اغتيال سياسي في لبنان (١٩٤٣-٢٠٢١) والفاعل... لا زال مجهولًا في أكثر الجرائم**، الشهرية، موقع الدولية للمعلومات، ١٨ شباط ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢٣ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:١٢.

(١٣٧) نادر فوز، **من الاغتيال السياسي نبدأ.. وإليه نعود**، موقع المدن، ١٠ شباط ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢٣ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٣٣.

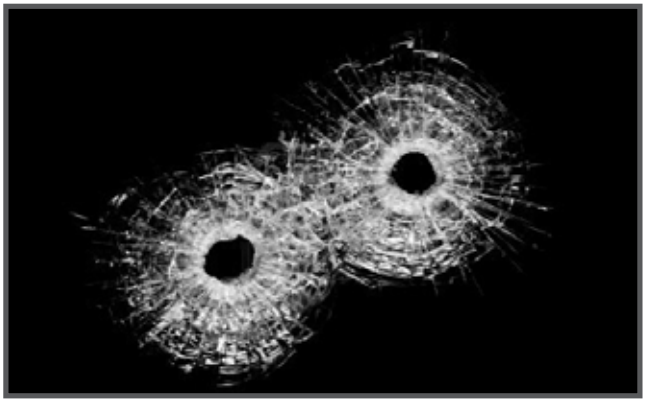

كانـون الأول يُظهـر الضغـط علـى أي يـوم فيـه حـدوث اغتيـال سياسـي مِن عدمـه،[١٣٨] كأن تصفيـة المختلفين سياسـيًا وفكريًـا مِـن بديهيـات الحيـاة اللبنانيـة!

علَّقـت جابـر فـي مقابلـة لغايـات هـذا البحـث بـأنَّ تكريـس تغييـب المحاسـبة طبَّـع «عادِيـة الاغتيـال كأداة قمـع سياسـية تضمـنُ سـهولة إسـكات الضحيـة. ومَـن يمارسـه شـديد الإدراك أنَّ لا عقـاب ينتظـرُه لأنَّ الإفـلات منـه صـارَ مُبرمًـا، ذلـك أنَّ الحـرب لـم تنتـهِ كمـا كان يجـب بعقـدٍ اجتماعـي جديـد بـل بعلاقـة مصالـح بيـن أمرائهـا علـى تقاسـم الدولـة ومؤسسـاتها، وإن متهالكـة، كغنيمـة، وبمقايضـات لتثبيـت النَجـاة مـن القصـاص». وأشـارت إلى «اقتصـاد متكامـل للاغتيال السياسـي يوفِّر عمـلًا لبعض الشـبان واسـترزاقًا مـن العنـف فـي ظـل غيـاب العدالـة الاجتماعية وانسـداد الآفـاق الفرديـة». وإلى كونهـم «القتلَـة الصغـار»، هُـم إلـى حـد مـا، خصوصًـا اليافعيـن، «ضحيـة يُضحَّـى بهـا» فـي حـال حصلـت محاسـبة، لأنَّ العدالـة لا تطـرق أبـواب مقـرِّي الاغتيـال. ورأت أنَّ الأوان لـم يفُـت لإعـادة تأهيـل مقاتلـي الحـرب القدامـى، والأهـم الجيـل التالـي الـذي خـاضَ المعـارك اللاحقـة، فـي لبنـان وخارجـه، وذلـك تحـدٍ أمـام المجتمـع برمتـه قـد يسـاهم في كسـر حلقـات العنـف المتسلسـلة.[١٣٩]

(١٣٨) **مرصد المحاسبة القضائية**، مؤسسة لقمان سليم، تاريخ الدخول: ٢٣ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٤٠.

(١٣٩) مِن مقابلة أجرتها كاتبة هذا البحث مع الدكتورة هناء جابر، المديرة التنفيذية لـ«مؤسسة لقمان سليم»، في مقر المؤسسة في بيروت في ١٤ تموز٢٠٢٥.

الفصل الخامس: حروب الشاشات والعنف الناعم

انتهت الحرب ولم تنتهِ، ليس بالحروب الصغيرة المُسْتولدة منها فحسب، بل بعنف مختلف بلا رصاص. فتحت السنوات الأولى للألفية التي شهدت تسارعَ نشر المعلومات وتشابك المنصات الإعلامية والرقمية، جبهاتٍ جديدة في لبنان وساحات قتال غير محصورة بالأزقة والأحياء، المدن والحواجز. مواقعُها شاشات أكبر من الجغرافيا، وإن كانت صغيرة نسبيًا، بحجم الهواتف والحواسيب والتلفزيونات، تخوضها أصابع شابة تتحرك برشاقة وغضب ناشرةً البغضاء والتحريض، أصحابُها قنّاصة الكلام وترساناتهم خطاب الكراهية[1] والعنف اللفظي. يتبارز المُختلفون في الأفكار والثقافات، الأديان والسياسة، بعِتاد اللغة الذي لا يقلُّ خطرًا وتدميرًا للنفوس والنسيج الاجتماعي وتكريسًا للانقسام والتباعد عن ذاك الحربي.

فالمقاتل «القديم» كان في معظم الأحيان ابن بيئة فقيرة، انجذب إلى السلاح تحت عنوان الحماية أو الخطر الوجودي، لأسباب طائفيّة أحيانًا، أو لفقدان الأمل الاجتماعي - الاقتصادي وانعدام الإيمان بدولة عدالة ومؤسسات. أمّا نظيرُه «الجديد» فاستهواه العنف على أساس سياسي أو مذهبي وتغذّى على السرديّات الموجّهة الموروثة. وليس من المبالغة مقارنة حملات العنف الرقمية الممنهجة بجولات الحرب الأهلية. فسارقو الحسابات أو قراصنتها هم النسخة الحديثة مِن القنّاصة، يراقبون الضحية التي قد تكون أكثر من شخص حتى لحظة الانقضاض. وقادة الجبهات والمتاريس حينذاك هم العقول الموجِهة للعناصر الإلكترونيين وواضعو خطط

(١) تعرِّف الأمم المتحدة خطاب الكراهية على أنّه «أي نوع من التواصل، الشفهي أو الكتابي أو السلوكي، الذي يهاجم أو يستخدم لغة ازدرائية أو تمييزية بالإشارة إلى شخص أو مجموعة على أساس الهوية، وبعبارة أخرى، على أساس الدين أو الانتماء الإثني أو الجنسية أو العرق أو اللون أو النسب أو النوع الاجتماعي أو أحد العوامل الأخرى المحددة للهوية». و«على عكس الوسائط التقليدية، يمكن إنشاء خطاب الكراهية عبر الإنترنت ومشاركته بسهولة وبتكلفة منخفضة وبدون الكشف عن الهوية. لديها القدرة على الوصول إلى جمهور عالمي ومتنوع في الوقت الحقيقي. كما أن الدوام النسبي للمحتويات المحرضة على الكراهية على الإنترنت تمثل مشكلة أيضًا، حيث يمكن أن تعاود الظهور و(تعيد) اكتساب الشعبية بمرور الوقت». انظر/ي: **ما هو خطاب الكراهية؟**، فهم خطاب الكراهية، موقع الأمم المتحدة، تاريخ الدخول: ١٧ آب ٢٠٢٥ الساعة: ١٣:٤٥.

الهجمات السيبرانية راهنًا. وتحوّلت الحرب مع مقاتل هذا الزمن إلى التغريدات والفيديوهات، والبث التلفزيوني والإلكتروني، بأدوات ثقافيّة، اجتماعيّة، عُرفية، دينية وسياسيّة، تستخدم الشتائم والتخوين والتحريض الطائفي والمذهبي، الضغط النفسي وتشويه السمعة، إلى النبذ الاجتماعي. أما الشرعيّة التي كانت مستمدّة من السيطرة الميدانية على الجبهات، فبات مصدرها من المتابعين والتأثير على الرأي العام.

ينشرُ العنف الإلكتروني الشماتة والتشفي والتحقير، وصولًا إلى هدر الدماء حتى إراقتها كما أصاب لقمان سليم، هو الذي حذَر عام ٢٠٠٨ من «ارتسام خطوط تماس مكتوبة بالحبر السري لا تبرهن على نفسها على الدوام من خلال حرق دواليب أو تظاهرات، فخطورة خطوط التماس التي ترتسم في العقول لا تقل خطورة عن خطوط التماس المادية، فيمكن أن ترسل قوة أمنية للفصل بين شارعَي بربور والطريق الجديدة، ولكن ما من إدارة أمنية أو قوى مسلحة يمكنها أن تجد حلاً لحال الشقاق التي ترتسم بين اللبنانيين أنفسهم».[٢] والعنف الناعم هذا، والقصدُ أنّه غير مسلح وإن يكن خطيرًا، مدججٌ بالاستقواء والترهيب لمنع لباس البحر هنا، وشجرة الميلاد هناك، وحفل موسيقى هنالك، وتهديد ذوي وذوات الخيارات الجنسية المختلفة.

الجيوش الإلكترونية... سلاح خفي وعنف ظاهر

ليس عبثًا تسمية بعض الجماعات الإلكترونية ذات الأهداف الواضحة بـ«الجيوش» لناحية شدة التنظيم وتقسيم الأدوار والقدرة على الإيذاء،[٣] تمامًا مثل خطاب الكراهية الذي يغدو «قوةً فائقةً حتى يصبح احتواؤه عملية عسيرة جدًا [... بعد] تحويل الأفراد إلى ماكينات مروّجة للكراهية، واستغلال هذا التأثير الجماعي لتمهيد الطريق نحو العنف»، تروّج له «حسابات ذات مواصفات متشابهة [...] أما المحرّضون الأساسيون الذين تمّ التعرف عليهم [حتى عام ٢٠٢٢]، فحسابات داعمة لحزب الله والتيار الوطني الحر، وكانت أكثرها نشاطًا حسابات تابعة للرجال، في حين أنّ حسابات النساء كانت الأكثر استهدافًا في أغلب الأحيان».[٤]

(٢) لقمان سليم، **أسوأ من عام ١٩٧٥ ولكن من دون حرب مشهدية**، الراي ميديا، ٢٥ آذار ٢٠٠٨، تاريخ الدخول: ١٠ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٥٢.

(٣) للمزيد عن الجيوش الإلكترونية وتمييزها عن الذباب الإلكتروني، انظر/ي: وفاء فوزي، **مفاهيم الجيش الإلكتروني – الذباب الإلكتروني وصناعة الرأي**، مركز البيان للدراسات والتخطيط، ٢٠٢٣، ص ١١-١٣.

(٤) وداد جربوع - جاد صفوان - جاد هاني، **٧٣٠ يومًا من الكراهية رصد خطاب الكراهية في الإعلام اللبناني**

مـن الشـائع مقارعـة آراء الناشـطات السياسـية بالشـتم، الاسـتهزاء والسـخرية، والتعـرُّض لأعراضِهـن وانتهـاك خصوصياتهـن والتنمُّـر عليهـن وأفـراد أسـرهن. ففـي ذروة صعـود «داعـش»، وانتشـار تقاريـر منـذ عـام ٢٠١٣ عمـا سُـمّي «جهـاد النـكاح»، مـع العلـم أنَّ معظـم مُمارِسـاتِه فتيـات تونسـيات؛[٥] اسـتُخدم الأمـر تجنيًـا فـي حمـلات رقميـة وفبركـة صـور جنسـية للتشـهير بإعلاميـات عُرفـن بدعمهـن للثـورة السـورية ومناهضتهـن لـ«حـزب اللـه». وعـام ٢٠٢٢ أشـارت منظمـة «مراسـلون بـلا حـدود» إلـى أنَّ ٣٠ فـي المئـة مِـن الصحافيـات اللبنانيـات - وبينهـن كاتبـة هـذا البحـث - تعرَّضـن للعنـف الرقمـي بسـبب آرائهـن السياسـية ولكونهـن نسـاء،[٦] وذلـك بتهديـدات أو قرصنـة البريـد الالكترونـي وحسـابات مواقـع التواصـل الاجتماعـي وانتحـال هوياتهـن. لذلـك «يمكـن المجادلـة فـي أنَّ المنافسـة السياسـية والمُحاجَجـة ضمـن البـلاد تُحتّـم تشـكيل ثقافـة حمايـة نسـوية». [٧]

ليسـت كل الحمـلات الرقميـة مجهولـة المصـدر والتمويـل. ففـي مرحلـة مـا بعـد اتفـاق الطائـف التـي فرضـت حـلَّ الميليشـيات، رسـميًا علـى الأقـل، نشـأت الجيـوش الإلكترونيـة الحزبيـة الشـبابية، «القسـم الأكبـر مـن هـذه المجموعـات منظـم [...] ويتبـع معظـم الأوقـات أجهـزة الإعـلام والتواصـل [...]». وتُفاخِـر «القـوات اللبنانيـة» بأنهـا مِـن أوائـل المتعاطيـن باحتـراف مـع هـذا المجـال الـذي يتيـح للأحـزاب التنصـل مـن مجنّديهـا السـيبرانيين عنـد الحاجـة.[٨]

وجـاء فـي دراسـة وتحليـل لشـبكات البُغـض التـي حاصـرت سـليم ويمكـن اعتمادهـا نموذجًـا لفهـم تلـك الجماعـات الإلكترونيـة، أنَّهـا «تتكـون مـن مؤثريـن رئيسـيين يديـرون الحديـث ومؤيديـن يكـررون التغريـدات أو يؤيدونهـا عبـر التعليقـات»، وبعـض الحسـابات يختبـئ خلـف وجـوه شـخصيات عامـة أو يسـتخدم أسـماء معقـدَّة كأنهـا أنشـئت بواسـطة الحاسـوب وأخـرى متشـابهة مـع اختلافـات بسـيطة فـي تفاصيلهـا وهـي مـن دون صـور شـخصية أو نبـذة تعريفيـة.

وعلى وسائل التواصل الاجتماعي ٢٠٢٠-٢٠٢٢، إشراف: سامر عبد الله وأيمن مهنّا، مؤسسة سمير قصير، ٢٠٢٣، ص ٤، ١٩.

(٥) **وزيرة المرأة التونسية: ٧٠٠ تونسية التحقن بجماعات جهادية في سوريا**، موقع فرانس ٢٤، ٤ كانون الثاني ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٢٢ تموز ٢٠٢٥، الساعة: ١٦:١٥.

(٦) **لبنان: بعد عام على اغتيال لقمان سليم، مراسلون بلا حدود توجه رسالة ادعاء إلى الأمم المتحدة**، مراسلون بلا حدود، ٤ شباط ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٣ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:١٩.

(٧) وداد جربوع - جاد صفوان - جاد هاني، **٧٣٠ يومًا من الكراهية رصد خطاب الكراهية في الإعلام اللبناني وعلى وسائل التواصل الاجتماعي ٢٠٢٠-٢٠٢٢**، ص ٣٥.

(٨) بولا أسطيح، **«الجيوش الإلكترونية» التابعة للأحزاب اللبنانية رأس حربة في الحملات السياسية**، موقع الشرق الأوسط، ١٤ تموز ٢٠١٨، تاريخ الدخول: ١٣ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٠٩.

وأثبتت الدراسة قدرة البث المكثَّف للمعلومات المضلِّلة والأخبار الكاذبة على نشر التشفي والشماتة، الاستهزاء والإهانة، وتدمير السمعة والتحريض والتهديد، وهذا خطر واقعي لا افتراضي، بدليل الاغتيال المعنوي والرمزي لسليم منذ وصمه بالعمالة والخيانة في كانون الأول ٢٠١٩، وصولًا إلى تصفيته والاحتفاء بها. والأخطر أنَّ شبكة الكراهية الرقمية التي استهدفته تأييدًا لـ«حزب الله» قامت بالمثل مع صحافيين وصحافيات.[٩]

ويُعتقد أنَّ الجيش الإلكتروني للحزب هو من الأكثر تنظيمًا، وتتبع له «مجموعة سيميا» التي تدير آلاف الحسابات الوهمية لـ«الترويج لأخبار معنية وصور محددة»، وتتولى حملات تبليغ عن حسابات مناهضة بهدف إغلاقها مؤقتًا، كما تنشط في الأمن الإلكتروني. وإليها هناك وحدتا الـ«١٠٠٠» التي تضم متخصصين يحللون بيانات هاتف محدد أو حاسوب معين، والـ«٩٠٠» ومهمتهما كشف العملاء.[١٠] ويتقاضى كثيرون رواتب شهرية ثابتة في هذا الإطار. ويمكن الاستنتاج أنهم شباب لأنَّ المجال حديث نسبيًا، والناشطون فيه، كما البرمجة والأمن الرقمي والاختراقات السيبرانية والذكاء الاصطناعي، من جيل الألفية. ويعزَّز الاعتقاد بأنَّ الشباب هم عماد الجيوش الالكترونية، معلومات عن استقدام «حزب الله»، بين عامَي ٢٠١٢ و٢٠٢٠ على الأقل، آلاف الشبان، من العراق ثم السعودية والبحرين وسوريا، لتدريبهم على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي سلاحًا ماضيًا في بلدانهم لنشر الأخبار الكاذبة؛ وأنه جنى «ملايين الدولارات» من ذلك.[١١]

كل ما تقدَّم يشير إلى تنامي مجموعات التحريض المنظَّمة لأسباب سياسية غالبًا وترابطِها وتجنيدها فئات وظيفية وعُمرية مختلفة، أهمها الشباب كما يبدو من الصور في حسابات تحض على الكراهية والعزل الاجتماعي للمُستهدَفين والمُستهَدفات، من دون استبعاد كونها وهمية وانتقائيًا عشوائيًا من الإنترنت، مما يقلِّل الخشية من الملاحقة القضائية. وهذه العدائية الرقمية تُنتِج بيئة اجتماعية هشة تعجُّ بالنعرات الطائفية والمذهبية في مجالٍ

(٩) نصري مسرّه، **دراسة ميدانية لشبكات البُغض التي حاصرت لقمان سليم قبل وبعد اغتياله**، مؤسسة سمير قصير، ٢٠٢١، ص ١٤، ١٧-١٨، ٢٠، ٢٢-٢٤، ٣٠، ٣٢.

(١٠) جوني فخري، **خبايا ذباب حزب الله.. تفاصيل جيش إلكتروني وحسابات وهمية**، موقع العربية.نت، ٢٢ آب ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١٤ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٤٦.

(١١) Will Crisp – Suadad Al-Salhy, **Exclusive: Inside Hizbollah›s fake news training camps sowing instability across the Middle East**, the telegraph, 2 August 2020, accessed on 14 August 2025, time: 19:20

مفتوح بلا ضوابط قانونية وقِيَمِية، بما يتيح لأي كان نشر خطاب آني عنيف. أضِف أنَّ انتشار البغضاء السيبرانية فيروسي، مع قدرتها على التفشي كالوباء بين المنصات بسرعة لا تعرفها جبهات الحرب التقليدية.

وكما في كل المنعطفات الإشكالية في البلاد، انتشر خطاب الكراهية الإلكتروني بين الشباب خلال الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان عام ٢٠٢٤ وإسناد غزة قبلها بسنة. إذ اتُّهم «حزب الله»، مرة جديدة، بالتسبب بالاعتداءات المُعادية وما أعقبها من خسائر بشرية ومادية فادحة، فردَّ أنصاره بالتخوين. كأنَّ حربًا أهلية رديفة خيضت في الميدان الرقمي، وذلك عبر جبهات الوسوم أو الهاشتاغات المذهبية والتحقيرية من قبيل #ما_بيشبهونا و#ما_فينا_نعيش_معكم، والسخرية والشماتة بحجم النزوح والقتلى والجرحى، خصوصًا مَن فقدوا أعينهم أو أطرافهم في هجوم البيجر في ١٧ أيلول ٢٠٢٤؛ في مقابل توعُّد أنصار الحزب بالانتقام من معارضيهم وتنفيذ «٧ أيار جديد» والتهديد بأنْ «نِدعسْكُم» و«نْفَرجيكم».

وفي غياب تشريع واضح يجرِّم خطاب الكراهية الإلكتروني، يسهلُ التلاعب بالمحتوى الرقمي لتحقيق مآرب سياسية، وإشعال النفوس المُحتَقنة والتحريض على مؤسسات دولية في لبنان،[١٢] والإفلات من العقاب قائم هنا أيضًا.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنه في موازاة انخراط شباب في خطاب الكراهية المتعدد الأوجه، فإنَّ نظراء ونظيرات لهم تصدّوا له، على الفضاء الإلكتروني، بالتشديد على المواطَنة الجامعة، كما الدفاع عن فئات مستهدفة بحملات البغضاء مثل اللاجئين السوريين والفلسطينيين، العمال والعاملات في المنازل، وأفراد مجتمع الميم-عين. ويُسجِّل انخراط شبان وشابات في مبادرات مجتمعية مناهضة للعنصرية.

عُنف المنع... قمعٌ في الثقافة واليوميات

ترجمة لضُعف سُلطات إنفاذ القانون أمام الولاءات المذهبية والحزبية، وكذلك صعود

(١٢) على سبيل المثال التحريض على «قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان» (اليونيفيل)، انظر/ي: نور الأسطا، **خاص- خطاب الكراهية الرقمي في لبنان: بين التحديات والحلول**، JNews Lebanon، ٦ شباط ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ١٣ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٤٩.

مُمارسات تجاهر برفض «الآخر» والاختلاف بين «نحن» و«أنتم/ن» على خلفية مناطقية وطائفية أو دينية بما يتجاوز السياسة إلى اليوميات؛ تفشى عنفٌ لا يُمارَس عبر فوهات البنادق بل بأدوات أعمق أثرًا تنال من الحريات الفردية مثل منع الثقافة المُغايرة وفرض أنماط من اللباس والسلوك. هو عنف ناعم شكلًا، فردي بمعظمه وأقل تنظيمًا من الجيوش الإلكترونية، لكنه قائم مضمونًا على فكر إقصائي، يكرِّس خطوط التماس العقلية. كأنَّ كل طائفة تدير كانتونها غير المُعلن والمُغلق على سواها؛ والمناطق تضع قوانينها الخاصة بحسب تركيبتها الديموغرافية بمعزل عن التشريعات اللبنانية المُفترض تطبيقها في كامل البلاد، لكنها هزيلة أمام قوى الأمر الواقع السياسية والشعبية المتقمِّصة ميليشيات الحرب.

في مجتمع متعدّد، تتّخذ مقاربة الأعمال الفنية أبعادًا تتجاوز النقد الموضوعي لتصل أحيانًا إلى حافة الصراع الديني. التبرير غالبًا هو حماية المقدّسات أو صَوْن القِيم والأعراف، بما يكشف حضورًا قويًا للعنف الثقافي كأداة للضغط والسيطرة، إذ يتحوّل الفن من مساحة للتعبير إلى ميدان شد وجذب بين حرية الإبداع وحدود المعتقد. وليست السُلطات الدينية بعيدة من تلك الأجواء بخطابات التحليل والتحريم التي تنتشر بين الأتباع الملتزمين، خصوصًا الشبان، كالنار في الهشيم.

قالت المخرجة لينا خوري أواخر عام ٢٠١٥ إنَّ «القمع المجتمعي تفوَّق على القمع السياسي، والسبب الواقع الذي غذَى التعصب أكثر فأكثر»، في معرض تعليقها على مطالبة «المركز الكاثوليكي للإعلام» بمنع مسرحيتها «لماذا» المقتبسة من نص للكاتب عصام محفوظ عُرض للمرة الأولى عام ١٩٧١ «من دون مشاكل تُذكر»، مشيرة إلى أنَّ المركز لم يشاهد العمل وبنى موقفه على «مقطع مجتزأ مدته دقيقتان دون حصول أي نقاش أو تواصل بيننا».[١٣]

صيف ٢٠١٩ ألغت إدارة «مهرجانات بيبلوس الدولية»، تحت وطأة ضغوط كَنَسية خرجت عن السيطرة حين تلقفها ناشطون شبان على مواقع التواصل الاجتماعي بتهديدات بالقتل، عرضًا موسيقيًا لفرقة «مشروع ليلى» التي استدعى جهاز أمن الدولة بعض

(١٣) مي ألياس، **فنانون تعرضوا للتضييق والهجوم في العام ٢٠١٥**، موقع إيلاف، ١ كانون الثاني ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٧:٤٣.

أعضائها للتحقيق.[١٤] ولم يخلُ الأمر من الاستغلال السياسي الشعبوي مِن «الحزب الديموقراطي المسيحي» الذي تفيد صفحته على «الفايسبوك» أنَّه يعمل لقيام «وطن قومي مسيحي» بما يخالف الدستور والميثاق الوطني واتفاق الطائف، إلى وجوه ونواب في «التيار الوطني الحر». وأبعد مِن الاتهامات الموجهة إلى الفرقة بتحقير رموز دينية، لا يمكن إغفال عامل رِهاب المثلية، ذلك أنَّ المغني الشاب حامد سنّو تحوَّل إلى «رمز للمدافعين عن حقوق المثليين، [...] كأول مغنٍ "عربيّ مسلم ومثليّ"، يعلن عن هويته بفخر».[١٥]

وبما أنَّ الميول الجنسية المختلفة تُسهِّل استهداف حامليها بقمع ثقافي يتناغم مع مصالح المؤسسات الدينية، تقدَّمت المرجعيتان الأعلى للسُنة والشيعة والنائب عن «الجماعة الإسلامية» عماد الحوت في أيار ٢٠٢٤ بإخبارَين وشكوى قضائية بحق الكوميدية والناشطة السياسية شادن فقيه التي تجاهر بمثليتها، بتهمتّي «تحقير الشعائر الدينية» و«المس بالدين الإسلامي» بعد فيديو سخرت فيه من مظاهر اجتماعية مرافقة لصلاة الجمعة.[١٦] وهي هُددت بالقتل وتظاهر شبان تحت مسكنها،[١٧] مما أرغمها على الهجرة. أما والدتها المهندسة ناهدة خليل التي خاضت الانتخابات النيابية عام ٢٠٢٢ فواجهت ضغوطًا لإقصائها مِن المنافسة على خلفية الهوية الجندرية لابنتها. [١٨]

وفي الإطار نفسه، حاصرت جماعة «جنود الرب» المسيحية المذكورة سابقًا في آب ٢٠٢٣ ملهى ليليًا في حي مار مخايل لوقف عرض لعدد من «الدراغ كوين»، وهم الرجال الذين يرتدون ملابس النساء ويتبرجون بصورة فاقعة لغايات استعراضية. وردَّد المهاجمون: «ستحترقون في نار جهنم [...] هذا المكان هو مكان إبليس [...] نتحدث

(١٤) كارمن جوخدار، لبنان: **مهرجانات بيبلوس تلغي حفلة لـ«مشروع ليلى» بعد جدل وتهديدات بالقتل**، موقع فرانس ٢٤، ٣٠ تموز ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٠٦.

(١٥) سناء الخوري، **في لبنان: متطرّفون مسيحيون يهدرون دمّ «مشروع ليلى»**، موقع بي بي سي عربي، ٢٢ تموز ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٥٢.

(١٦) **لبنان... مرجعيات دينية تتحرك قضائيًا ضد شادن فقيه**، موقع النهار، ١٠ أيار ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة : ١٨:٥٩.

(١٧) ديانا مقلد، **قضية شادن فقيه: لسنا جاهزين للسخرية لكننا مستعدون لهدر الدم!**، موقع درج ميديا، ١٣ أيار ٢٠٢٤، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:١٩.

(١٨) ميريام سويدان، **انتخابات لبنان: عندما تُختزل المرشّحات بـ«طليقة» و«أمَ»!**، موقع درج ميديا، ٥ نيسان ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٥٢.

معكم بالكلام. هذه ليست إلا البداية».[١٩] واعتبر وزير الثقافة حينذاك محمد بسام مرتضى المقرَّب من «حزب الله» أنَّه كان على القوى الأمنية إقفال المكان، وحيّا المفتش العام المساعد لدار الفتوى حسن مرعب «شباب جنود الرب على ما قاموا به [...] للدفاع عن عائلاتنا ومجتمعنا في وجه هذا الفكر المنحلّ الهدّام».[٢٠]

وفي شكل آخر للعنف المغلَّف بالدفاع عن المقامات الدينية، جنَحَ عن السلمية في ٥ شباط ٢٠٠٦ احتجاج على رسوم مسيئة إلى النبي محمد نشرتها صحيفة دانماركية، بتحطيم واجهة مبنى فيه مقر قنصلية كوبنهاغن والاعتداء على كنيسة مار مارون في الجمّيزة. وقُتل متظاهر عمره ١٧ سنة في مواجهات مع القوى الأمنية.[٢١]

ويكشف التعرُّض لدور العبادة ومجسّمات ذات رمزيّة روحية جانبًا مقلقًا من التصاق بعض الشبان بالعنف، خصوصًا التعبير العدائي الإقصائي تجاه الآخر، بما يتجاوز الحدث نفسه إلى أبعاده الاجتماعية والدينيّة. وفي هذا الإطار نذكر تحطيم تماثيل للسيدة العذراء أو رميها أرضًا، وأخرى للبابا السابق يوحنا بولس الثاني.[٢٢]

(١٩) ماري-جوزيه القزي، «**جنود الرب» يهاجمون حانة في بيروت: خطاب كراهية المثليين يُترجم عنفًا**، موقع بي بي سي عربي، ٢٤ آب ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢٠ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٨:٠١.

(٢٠) «**جنود الرب» يهاجمون ملهى ليليًا في بيروت رفضاً لـ«المثلية»**، موقع الشرق الأوسط، ٢٤ آب ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٠٢:٤٣.

(٢١) **لبنان الوطن ينتصر في الأشرفية على الفتنة**، السفير، ٦ شباط ٢٠٠٦، العدد ١٠٣١٣، ص ١.

(٢٢) انظر/ي: **في حارة صخر.. تحطيم تمثال السيّدة العذراء**، موقع ليبانون ديبايت، ٩ تموز ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٥,٤٤؛ **لبنان: أعمال تخريبيّة تطال كنيسة سيّدة الميدان في جبيل**، موقع آسي مينا، ١٥ حزيران ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٥,٤٦؛ **مجهولون أقدموا على تكسير تمثال العذراء في إدة –جبيل**، الوكالة الوطنية للإعلام، ٣١ كانون الأول ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٥,٤٨؛ **بالصور: نزع تمثال السيدة العذراء ورميه أرضًا في جزين**، موقع جنوبية، ١٩ شباط ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٥,٥٠.

إلى ذلك، لا تدخل البهائية في تعداد الطوائف اللبنانية الـ١٨، فهي غير معترف بها رسميًا، ولكن يتواجد أتباعها المقدّرون بالمئات في بيروت ومشغرة بالبقاع، وقلّة في جبل لبنان.[٢٣] والانتشار الأكبر لها عالميًا هو في إيران حيث ظهرت أواسط القرن التاسع عشر كدين توحيدي مستقل له كتابٌ خاص ويرتبط بفكرة المهدي المنتظر.[٢٤] وفي الجمهورية الإسلامية يُواجَه البهائيون بنظرة تآمرية مِن النظام فيتعرَّضون للتمييز والقمع المنهجي،[٢٥] مما ينعكس، بطريقة أو بأخرى، على واقعهم في لبنان، خصوصًا في المناطق ذات الثقل الشيعي. ففي ٣٠ آب ٢٠٢٣ خُرِّبت أضرحة عمرها ١٥٠ سنة في مدافنهم في مشغرة. ونُسب الاعتداء إلى مجهولين[٢٦] قد يكونون شبانًا تأثروا بموجة تحريض على مواقع التواصل الاجتماعي.

ومن مظاهر الرقابة المفروضة قسرًا مِن مواطنين على سواهم تحت ذرائع شتى، معظمها ديني الطابع يتستر بالتقاليد، الحجب العنيف لما يُعَدُّ حريةً شخصية مكفولة دستوريًا. والعنف في هذه الحالات فردي بمعظمه، لكنه ممنهج لتكراره.

كل صيف تقريبًا يتجدَّد الجدل بشأن ملابس معينة على الشواطئ العامة والمنتجعات الخاصة. نذكر هنا تعرُّض رجل دين عام ٢٠٢٣ لامرأة كانت برفقة زوجها في المسبح البلدي لصيدا بسبب ارتدائها ثوب البحر ثم تهديدهما من شبان لمغادرة المكان،[٢٧] مبرَّرين الاعتداء بأنه دفاع عن العُرف. وبعد أيام تجاوزت مواجهةٌ العنفَ اللفظي إلى التسبب بـ«إصابات طفيفة» في صفوف نسويات على أيدي شبان رافضين لـ«اختطاف هوية عاصمة الجنوب ونشر ثقافة العريّ [...]».[٢٨]

(٢٣) عبد الحليم حمود، **البهائيون في مشغرة.. ديانة لا تعترف بها الدولة**، موقع مناطق.نت، ٢٥ نيسان ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٣،٣٧.

(٢٤) رسلان جاد الله عامر، **ما هي البهائية؟**، موقع معابر، ١٣ تشرين الأول ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٢٢ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٥٢.

(٢٥) مهدي خلجي، **اضطهاد إيران المتزايد للبهائيين**، معهد واشنطن، ٢١ كانون الثاني ٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢٢ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٥:٥٥.

(٢٦) كارين عبد النور، **بعدما «لحِقوا بهم إلى قبورهم»... رحلة بحثٍ عن البهائيّين من إيران إلى العالم**، موقع نداء الوطن، ١٨ تشرين الأول ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٣،٤٥.

(٢٧) ريتا الجمّال، **لبنان: رجل دين يهاجم سيدة وزوجها لارتدائها ثوب السباحة في صيدا**، موقع العربي الجديد، ١٦ أيّار ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣: ٢٣.

(٢٨) سارة مطر، **لبنان: احتجاج رافض لمنع لباس البحر على شاطئ صيدا وآخر مضاد**، موقع العربي الجديد، ٢١

كانت ثارت زوبعة مماثلة عام ٢٠٢٠ بعد لقطات لشابات بأزياء قصيرة يحتسين الجعة (البيرة) على ضفاف نهر عربصاليم أو الخرخار، إذ أصدر «الأهالي» بيانًا يدعو إلى «مراعاة الضوابط الاجتماعية والدينية في البلدة [... التي] ارتوت بدماء الشهداء». وردَّت صاحبة الصُور بأنَّ «يلي حرّر الجنوب مانِعْنا نكون حُرّين بطبيعتو» أو الاستمتاع بها.[٢٩] وفي تمييز مضاد، لم يُسمح لمحجبتين في حزيران ٢٠٢٥ بدخول شاطئ في الدامور بذريعة أنَّ المكان خاص، مع العلم أنَّ ذلك مخالف للقانون الذي لم يحُل على أرض الواقع دون تحوُّل «الأملاك العامة إلى فضاءات مُغلقة تُدار فعليًا بمنطق الطبقية [...]» المغلَّفة بالطائفية. [٣٠]

كذلك فإنَّ الجدل بشأن حرية الاتجار بالكحول واحتسائها من معالِم الانقسامات اللبنانية التي تخالف الطابع اللا ديني للبلاد دستوريًا. وهنا يتخذ العنف طابع أذية الأرزاق بالتعرُّض للمؤسسات وتفجيرها أحيانًا بما يسبب خسائر مادية فادحة[٣١] وكذلك التهديد بسفك دماء[٣٢] العاملين في هذا القطاع.

أما حوادث حرق أشجار عيد الميلاد في مناطق مختلطة دينيًا، وإن تكن إسلامية الغالبية، مثل صيدا وطرابلس،[٣٣] فيقف وراءها شبانٌ،[٣٤] بعضهم في مطلع عقدهم الثاني، يصيرون بعد توقيفهم من ذوي السوابق مما يجعل انخراطهم في سوق العمل أكثر صعوبة وقد يضعهم في دوامة من العنف كان ممكنًا تفاديها.

أيار ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٣٤.

(٢٩) سمير صباغ، **صورة شابّة جنوبيّة بـ«المايوه» في الخرخار أحيت الصراع... ماذا قال محافظ النبطيّة لـ«النهار»؟**، موقع النهار، ٨ حزيران ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٤١.

(٣٠) نغم ربيع، **منع محجبتين من دخول شاطئ في لبنان يثير الغضب على مواقع التواصل**، موقع العربي الجديد، ٢٩ حزيران ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ١١ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٤٥.

(٣١) انظر/ي: **تفجير محلين لبيع الخمور في جنوب لبنان**، موقع الجزيرة. نت، ١٢ كانون الثاني ٢٠٠١، تاريخ الدخول: ٢ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٢:٢٥.

(٣٢) انظر/ي: وليد حسين، **شيخ البازورية يتوعد بسفك دماء بائعي الخمر**، موقع المدن، ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٨ـ تاريخ الدخول: ٢ آب ٢٠٢٥، الساعة ١٢:٣٢.

(٣٣) انظر/ي: **مجهولون يحرقون شجرة الميلاد في شمال لبنان**، موقع الشرق الأوسط، ٢٤ كانون الأول ٢٠٢٣، تاريخ الدخول: ٢ آب ٢٠٢٥، الساعة ١٢:٢٠.

(٣٤) انظر/ي: **قوى الأمن: توقيف شخصين أحرقا شجرة الميلاد عند مستديرة النيني في طرابلس**، موقع النشرة، ٢ كانون الثاني ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٧ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٢٣؛ **شعبة المعلومات كشفت هوية المتورّطَين بعملية إحراق شجرة الميلاد في مدينة صيدا وأوقفت أحدهما في المحلّة**، موقع قوى الأمن الداخلي، ١١ كانون الثاني ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٧ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٢٩.

إلى ذلك، ليست شاشات التلفزة بعيدة من خطاب الكراهية والمسؤولية عن إثارة النعرات لرفع المُشاهدَة واستقطاب الإعلانات على حساب الحقائق بافتعال الصدامات بدلًا من تبادل الأفكار. ولا تخلو حلقات تلفزيونية تفتح باب المداخلات أمام الحضور من شبان يتبادلون الشتائم وأحيانًا العنف الجسدي كالتدافع واللكمات، إرضاء لهذا السياسي أو ذاك الحزب. هنا تتحوّل البرامج من منصّات للحوار إلى ساحات حرب تساهم في تطبيع العنف اللفظي وتقويض النقاش في الفضاء العام. ويتّسم هذا العنف بسِعة الانتشار، وإنْ حدث في وقت محدّد، ويميل لأن يكون استعراضيًّا، مما يعطيه بُعدًا دعائيًّا. وقد يُعاد تداوله بمقاطع قصيرة على الشاشات نفسها أو مواقع التواصل الاجتماعي.

ومحطات التلفزة من الجبهات الجديدة، كما بدا في موقعة الطيونة، ذلك أنه عام ١٩٧٥ كان في البلاد واحدة فقط انقسمت إلى اثنتين قبل نشوء عدد منها لم يخفِ وجهه الحزبي والطائفي. ولعل ما كُتب عن الإذاعات خلال الحرب يصلح لوصف المؤسسات التلفزيونية حاليًا، إذ «كانت القوة العسكرية تخوض الحرب ميدانيًا فيما ترافقها الإذاعة إعلاميًا ودعائيًا [...] كما لوحظ أن الخسارة العسكرية لميليشيا ما كان يستتبعها إقفال الإذاعة [الخاصة بها...]. عام ١٩٧٦، اعتبرت الحكومة [...] المحطات الإذاعية مضرّة [...] تمارس "القصف الإذاعي"»،[٣٥] في تعبير رديف لخطاب الكراهية وأثره الشارِعي الذي لم يستثنِ الإعلام من نيرانه. ذلك أنه في أحداث ٧ أيار، انقضّ شباب «حزب الله» وحلفاؤهم على «تلفزيون المستقبل»، «إذاعة الشرق»، مجلّة «الشراع» وصحيفَتي «المستقبل» و«اللواء».[٣٦]

من المقدَّسات التي يمنع أنصار الأحزاب المسَّ بها، التعرُّض بالنقد أو التقليد لشخص «الزعيم»، الديني والسياسي. عام ٢٠٠٦ اندفع شبان غاضبون من أتباع «حزب الله» في تحركات «عفوية» رفضًا لـ«التشهير بالمقاومة وسلاحها عبر المس بشخص قائدها [...]» في برنامج «بس مات وطن»، مما استدعى «تحريك نحو ٤٠٠ عنصر وكادر [...] لوقف التظاهرات ومنع التعديات على الممتلكات العامة سواء في عين الرمانة أو

(٣٥) **مقدّمات نشرات الأخبار وارتباطها بالحرب الأهلية**، موقع سلام وكلام، ١ نيسان ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١٥ آب ٢٠٢٥، الساعة: ١٩:٠٠.

(٣٦) محمود حمادي وعباس هدلا، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، ص ٢٢١.

الطريق الجديدة [...]»،[٣٧] بعد امتدادها نحو مناطق ذات حساسية مذهبية وسياسية حيال الحزب. وتكرر المشهد، وإن مصغرًا، عام ٢٠١٣ بعد تقليد ثانٍ لنصر الله في البرنامج نفسه الذي طال كذلك البطريرك الماروني السابق نصر الله بطرس صفير، «مما استدعى خروج عدد من المسيحيين للاحتجاج [...]»[٣٨] على الحلقات ومخرجها شربل خليل الذي ألغى مرةً عرض شريط لمحاكاة الأسير بعد تهديده بالذبح.[٣٩] ومما تقدَّم، يظهر أنَّ الاعتراضات لا تقتصر على شبان «حزب الله»، مع تسجيل استخدام هؤلاء للسلاح أحيانًا كإطلاق الرصاص بعد عرض قناة «أم بي سي» السعودية عام ٢٠١٦ تقليدًا لنصر الله.[٤٠]

على الخلفية نفسها، عوقبت قنوات بتظاهر شبان غاضبين أمام مقارها نبذًا لآراء سياسية في نشرات أخبارها أو برامجها لا تكون على هواهم الحزبي.[٤١] ويتزامن ذلك عادة مع إجراءات أحادية من موزعي اشتراكات الكابل للبث التلفزيوني بحجب محطات معينة للأسباب إياها،[٤٢] من دون مشاورة زبائنهم، في عُنف قمعي يصادر حقهم في اختيار ما يشاهدون. وتتنصل الأحزاب من المسؤولية عن هذا الإجراء،[٤٣] مع العلم أنَّ معظم ممسكي مفاصل هذا القطاع القائم على القرصنة وانتهاك حقوق المُلكية الفكرية، من

(٣٧) غاصب المختار، **العريضي يرفع «بسمات وطن» إلى مجلس الوزراء «حزب الله»: مواجهة مفتوحة مع «١٤ شباط»**، السفير، ٥ حزيران ٢٠٠٦، العدد ١٠٤٠٩، ص ٦.

(٣٨) علي سعد، **تقليد نصر الله يُخرج مؤيديه إلى الشارع**، موقع الجزيرة.نت، ١٢ تشرين الثاني ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٢:٤٢.

(٣٩) **فريق «بسمات وطن» يلغي عرض «كليب» يقلّد الشيخ أحمد الأسير بعد تهديد بالقتل والذبح**، موقع سكايز ميديا، ١ شباط ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٢:٥٠.

(٤٠) **لبنان.. شغب ورصاص بسبب «شبيه حسن نصر الله»**، موقع سكاي نيوز عربية، ٢٨ شباط ٢٠١٦، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٠١.

(٤١) انظر/ي: **بعد شتم وتهديد موظفيها... قطع بث قناة «الجديد» في بعض المناطق اللبنانية**، موقع العربي الجديد، ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٦ آب ٢٠٢٥، الساعة ٠١:١٢.

(٤٢) انظر/ي: زكية الديراني، **قناة «الجديد» محجوبة في الضاحية**، موقع الأخبار، ١١ أيار ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٦ آب ٢٠٢٥، الساعة ٠١:٠٧؛ **وقف بث محطة الـ«أم تي في» في الضاحية!**، موقع لبنان ٢٤، ١١ شباط ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٦ آب ٢٠٢٥، الساعة ٠١:١٩؛ **قطع بث قناة «الجديد» بمناطق عرمون وبشامون ودير قوبل وعدد من قرى وبلدات الشحار الغربي في عاليه**، موقع الجديد، ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٢٤.

(٤٣) انظر/ي: **حجب «الجديد» في الضاحية وبيروت والجنوب**، موقع جنوبية، ٨ أيار ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٦ آب ٢٠٢٥، الساعة: ٠١:١٦.

المحازبيـن، وبينهـم شـبان يديـرون كذلـك شـبكات للمولـدات الكهربائيـة. وهـذا مظهـر آخـر للعنـف المعيشـي يتـذرع بالاقتصـاد الحـر ليقتـات مـن ضُعف مؤسسـات الدولـة، فارضًا تسـعيراته علـى المواطنيـن، وهـي شـبيهة بخـوات زمـن الحـرب. إنـه اقتصـاد الأمـر الواقـع المـوروث مـن امبراطوريـات الحـرب السـوداء، المتناسـل كمـا حروبهـا الصغيـرة.

خاتمة وتوصيات: تفكيك العنف... «حتى ما تنعاد»

رغم كل ما تقدَّم في الفصول الخمسة، كان اللاعنف خيارًا جَسورًا في كثير من المحطات، والتصدّي للحرب والقتل والتحريض والكراهية مسارًا شجاعًا لشبان وشابات على مدى نصف قرن إيمانًا بأنَّ العنف ليس بالضرورة قدرًا محتومًا، وفي ذلك إجابة على سؤال طرحناه في المقدمة. لكنَّ ذلك يقودنا إلى تساؤل آخر: كيف النجاة من دوّامة العنف الممسك باليوميات والعقليات؟ كيف نفكك إرث الحرب المتغلغل في وجدان أجيال وسلوكياتها ونظرتها القَبَلية إلى «الآخر» للعبور إلى مرحلة يكون فيها لبنان مجتمع ما بعد نزاع ثم أرض سلام بينما هو يتأرجح منذ اتفاق الطائف بين حال النزاع وما بعد النزاع؟

بداية، لم يفت أوان القراءة التاريخية النقدية للحظة ١٣ نيسان وما قبلها، لا بل هذا وقتها، إذ لا بدَّ من الوقوف بموضوعية عند المشهد الاجتماعي – الاقتصادي والسياسي - الأمني. والأمر نفسه بشأن اتفاق الطائف وما بعده، واستعادة العدالة المفقودة. وهذه المهمة على عاتق المجتمع المدني الناشط المتنوع، والشباب في طليعته، وقد أثبت مشهد انتفاضة ١٧ تشرين قدرة الشبان والشابات على التفكير التحليلي، وهذا «سلاح» ضروري في معركة تفتيت العنف والتصدي لتطبيعه.

وستُعيدنا المراجعة النقدية إلى الانتداب ثم الاستقلال، وأعوام ١٩٥٨، وما بين ١٩٧٥ و١٩٨٩ و١٩٩٠، أي المحطات المفصلية منذ نشأة لبنان حتى الصراع الأهلي الكبير. وبعدها نقف عند أعوام ٢٠٠٥، ٢٠٠٦، ٢٠٠٨، ٢٠٢٠ و٢٠٢١، وصولًا إلى الحرب الإسرائيلية الأخيرة عام ٢٠٢٤ وعُنف الاغتيالات وغزوات الشوارع؛ مرورًا بالثورة السورية عام ٢٠١١ التي نقلت الحروب «الأهلية» إلى الخارج بتقاتل شبانٍ لبنانيين على ضفتَي الأسد وخصومه، فصارت إقليمية، واستجلبت مزيدًا من العنف إلى البلاد بعداوات مذهبية لا سابق لها بين السُنة والشيعة، وإن تكن غير منفصلة عن شحن مماثل في المنطقة، من العراق إلى اليمن.

تكاثرت الحروب الصغرى على خلفية ضُعف حس المواطَنة وعدم بناء الدولة العادلة القادرة على استقطاب الشباب بدلًا من الأحزاب والميليشيات المذهبية ذات الطابع الإقطاعي التوريثي كأننا لا نزال في زمن المقاطعجية[1] العثماني.

الدولة لا تُقام بحجار ومؤسسات فحسب، بل بعقول وقلوب لا تخشى تعليم التاريخ من دون إنشاء خشبي واستنباط أساطير وتقديسها. لا يمكن الاستمرار في الهروب من التدريس النقدي لتاريخ لبنان، ولا بدَّ من الجرأة والمراجعة الذاتية والموضوعية في الحديث عن الحرب مع الناشئة والشباب والخروج من تصنيفات الـ«نحن» والـ«هم/ن». فالمناهج المنتظرة يجب أن تتضمن قيم المواطنة وحقوق الإنسان بما يعزّز الانتماء إلى الدولة لا الطائفة والحزب.

ليسَ الحوار بشأن الحرب محرَّمًا، لا بل هو مستحبٌ، خصوصًا بين شباب الحرب، وشباب ما بعدها، وشباب الألفية والذكاء الاصطناعي الذي لا يجب أن تكون إجاباته بديلًا من نقاش فعلي. بوسع الشبان والشابات كتابة مسارات الحرب، من منظار المستقبل المطل على الماضي، «حتى ما تنعاد»، بالاعتماد على ذواتهم وذواتهن والتعويل على التاريخ الشفهي ومقاربته بتفهم وتسامح بعيدًا من الروايات الطائفية المغلقة بما يتيح الاطّلاع على سرديات متعدّدة تعكس تعقيد التجربة اللبنانية وغناها وتحصِّن الأجيال من استيلاد الانقسامات. قصص الآباء والأمهات والأجداد والجدات هي يوميات الحرب بمآسيها والتعاضد الذي لم يندثر. إنّها كذلك توثيق لجرائم بلا عقاب مثل القتل، الإخفاء القسري، الاغتصاب، التهجير والنهب.

كما لا بدَّ من إعادة الاعتبار لدور الشباب عند وضع التاريخ «الرسمي» للحرب. ويقتضي الأمر اعتماد مقاربة للعنف من زاوية شبابية ترتكز على الأبحاث الميدانية بهدف فهم آليّات توارثِه وإعادة إنتاجه داخل البنى الاجتماعية والسياسية، بين ممارسي العنف وضحاياه وكذلك المتصدّين له.

ويجب تاليًا حضور الشباب بفعالية في صناعة القرار العام بعد خفض سن الاقتراع من ٢١ إلى ١٨ سنة، وفتح مسارات جدية لمشاركتهم في النشاطات الطلابية، النقابية، البلدية والسياسية المستقلة، بما يحدّ من استغلالهم في مشاريع القوى الطائفية؛ على

(١) المقاطعجية هم الملتزمون بجمع الضرائب، حفظ الأمن وتأمين العسكر المحليين لصالح السلطنة العثمانية.

أن يتزامن ذلك مع تنمية مبادرات شبابية غير طائفية، مدنية، فنية ورياضية، بوصفها بدائل للتعبئة الحزبية والعسكرية، مقرونةً ببرامج تمكين اقتصادي. فرغم كل شيء، بوسع الشبان والشابات، المواجهة عبر الانتخابات، ترشحًا واقتراعًا، لكسر احتكار وجوه الحرب وأبنائهم للحُكم وتأسيس أحزاب عصرية عابرة للطوائف لا تحمل ماضيًا ميليشاويًا. ولا بدَّ من مسؤولية مجتمعية مواكِبة وحاضنة. على المرجعيات الروحية المتقاطعة في أحيان كثيرة مع المصالح السياسية، دور كبير في تفكيك مظاهر التطرف الطائفي، خصوصًا السني والشيعي ثم المسيحي. المطلوب منها الدعوة إلى خطاب ديني معتدل، وممارسته، وانتهاج التفكير لا التكفير.

وليتزامن ذلك مع تأسيس برامج وطنية للتأهيل النفسي والاجتماعي لأجيال من الشباب المتأثرين بالعنف، من المقاتلين القدامى والجدد، والضحايا من الجنسين، لا سيما في ظلّ تراكم الأزمات الاقتصادية والسياسية التي قد تدفع نحو خياراتٍ متطرفة. ويتقاطع الأمر مع تعزيز مسارات العدالة الانتقالية وكشف الحقيقة بشأن جرائم الحرب وما تلاها من حروب صغيرة، فلا يتكرر العفو وإجهاض المحاسبة لمصالح آنية ضيقة؛ ومع إنشاء هيئة للمصالحة الوطنية وتفعيل القضاء المستقلّ عن الوصاية السياسية، إذ أنّ استمرار تغييب العدالة يؤبِّد دورة العنف.

وثمّة بارقة أمل لاحت في هذا الإطار. صحيح أنَّ أوان العدالة محكوم بمحدودية الحياة البشرية حيث ينهي الموت وجود الشهود والضحايا والجُناة، لكنه لا يسقط بتقادم الزمن، بدليل تعيين وزير العدل عادل نصار في تشرين الأول ٢٠٢٥ محققين عدليين في اغتيالات سياسية، وبينها ما كان مفصليًا في الحرب مثل قتل طوني فرنجية وعائلته عام ١٩٧٨،[٢] وهذه خطوة على طريق الألف ميل للتصدي للإفلات من العقاب الحاكم في لبنان، ولو بعد ٤٧ سنة. وتوسيعُها ضروري لتشمل الضحايا العاديين وذويهم، وكذلك إنهاء التهجير والفرز الديموغرافي المذهبي، وإعطاء ذوي المفقودين ما يستحقون من عدالة وحقيقة، ولو كان ذلك باحتضانِ أشلاء أحبتهم في مدافن لائقة بدل المقابر الجماعية.

كلُّ ما تقدَّم من شأنه بناء ثقة الشباب بالدولة. وكذلك اتخاذ إجراءات، ولو صغيرة، للتخفيف - ولا نقول إلغاء من باب الواقعية - من الطائفية السياسية. يجب إخراج الحُكم

(٢) **وزير العدل عين محققين عدليين في الاغتيالات السياسية**، موقع النشرة، ٨ تشرين الأول ٢٠٢٥، تاريخ الدخول: ٨ تشرين الأول ٢٠٢٥، الساعة: ٢٣:٠٥.

مـن معادلتَـي «لا غالـب ولا مغلـوب»، وفيهـا فـاز أمـراء الحـرب علـى حسـاب المواطنيـن والمواطنـات؛ و«مـرِّق لـي لمـرِّق لـك» حيـث الدولـة ومواردهـا غنيمـة. فـلا إصـلاح سياسـيًا مـن دون التحـرر مـن المحاصصـات وإعـادة الاعتبـار إلـى الانتخابـات علـى أسـاس قوانيـن عادلـة؛ وإلـى الأجهـزة الرسـميّة، مـن قـوات عسـكرية وأمنيـة، وكذلـك إلـى المـدارس والجامعـة الرسـمية، لتكـون حاضنـة للشـباب بـدل إبقائهـم أسـرى بعـض المؤسسـات الطائفيـة والحزبيـة.

ويُسـتكمل هـذا المسـار الإصلاحـي بتعزيـز الإعـلام المسـتقل عـن النفـوذ السياسـي والدينـي ليكـون قـادرًا علـى فضـح خطـاب الكراهيـة والعنـف عـوض تبنيـه، وكشـف آليّـات التلاعـب السياسـي والطائفـي بعقـول الشـباب. وكذلـك سـن تشـريعات تحـول دون تجنيدهـم كـ«جيـوش إلكترونيـة»، مـع بنـاء منصّـات شـبابيّة للاسـتخدام السـلمي الخـلّاق للمهـارات الرقميـة والحـوار والتفـاوض بـدل الانقسـام والتقاتـل. ولا بـدَّ مـن تطهيـر الاقتصـاد اللبنانـي ممـا أُلحِـق بـه مـن عوالـم رديفـة أو سـوداء جعلـت للعنـف إغـراءً ماديًـا يجـذب الشـباب إلـى التسـلح والقتـال والاغتيـال، فالتحـرُّر مـن قيْـد العنـف يتطلَّـبُ اقتصـادًا أبيـض، إذا صحَّ التعبيـر، يسـتقطبُ أجيـال مـا بعـد الحـرب إلـى مـوارد مُجزيـة يمكـن جنيهـا مـن التنميـة والسـلام.

لـم يحمـل اتفـاق الطائـف خروجًـا مـن قوقعـة الطائفـة – الحـزب إلـى رحـاب المُواطَنـة الجامعـة ومحاسَـبة مسـتقطبي الشـبان نحـو العنـف ومموليـ الحـروب؛ وكذلـك لـم يجلـب اسـتقلالًا عـن التأثيـرات أو التدخـلات والوصايـات الأجنبيـة، لا تهـمُّ التسـمية، فهـي لا تختلـف عـن الانتـداب الفرنسـي فـي شـيء. ولعـلَّ مـن سـخرية القـدر أنَّ لبنـان يبـدو فـي حاجـة إلـى انتـداب جديـد، فليكـن داخليًـا هـذه المـرة، يتـولاه الشـبان والشـابات لتحقيـق المقاصـد الوطنيـة التـي وقـف الزمـن عندهـا عـام ١٩٤٣.

وبمـا ذُكِـر، لا تقتصـر توصياتنـا علـى البُعـد المعرفـي، بـل ترسـم أفقًـا عمليًـا يضـع الشـباب فـي صلـب مشـروع بنـاء دولـة المواطنـة، ويؤسّـس لثقافـة سـلميّة قـادرة علـى مواجهـة تحدّيـات الحاضـر وَصَـوغ مسـتقبل أقـلّ عنفًـا وأكثـر عدالـة.

ختامًـا، نأمـل فـي أن يحمـل هـذا الكتـاب فائـدة لقرائـه وقارئاتـه، خصوصًـا الشـبان والشـابات، وأن يكـون مسـاهمة متواضعـة فـي ورشـة شـبابية ووطنيـة جامعـة للتفكيـر النقـدي فـي مـا لـم يتحقـق منـذ نشـأة لبنـان الكبيـر وتوسـيع فضـاءات النقـاش والحـوار لقيـام دولـة عادلـة جامعـة تأخـر انطلاقهـا قرنًـا ويزيـد.

المصادر والمراجع

Books

- Fisk, Robert, Pity the Nation, Oxford University Press, third edition, 2001

Magazines

- Al-Raida

Websites

- Britannica
- CIA
- ICRC | International Committee of the Red Cross – ICRC
- Jnews Lebanon
- Legal Action Worldwide – LAW
- Medecins Sans Frontieres
- PeaceInsight
- Synaps.network
- Taylor & Francis online
- The NewYork Times
- The Telegraph

كتب ومخطوطات

- الأسـود، إبراهيـم، **تنويـر الأذهـان فـي تاريـخ لبنـان**، مكتبـة الجامعـة الأميركيـة لبيـروت، مطبعـة القديـس جاورجيـوس، بيـروت، ١٩٢٥

- الأميـن، عدنـان، **الشـباب اللبنانـي وطيـات السياسـة: العلاقـات الخطـرة، المشـاركة السياسـية**

والشباب في العالم العربي الخيارات المتعثرة وأفق التغيير - عمل جماعي، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨

- البزري، دلال، **دفاتر الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٧، ط ١

- الحافظ، رمزي، **الحلم اللبناني**، إنفوبرو، بيروت، ٢٠١٥، ط ١

- الصليبي، كمال، **لبنان ومسألة الشرق الأوسط**، ترجمة وتقديم محمود شريح، دار نلسون، بيروت، ٢٠٢١

- الصليبي، كمال، **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار للنشر، بيروت، ط ٧، ١٩٩١

- الصليبي، كمال، **بيت بمنازل كثيرة، الكيان اللبناني بين التصوّر والواقع**، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٩٠، ط ١

- المديني، توفيق، **أمل وحزب الله في لعبة المجابهات المحليّة والإقليمية**، مخطوطة غير منشورة

- جربوع، وداد - صفوان، جاد - هاني، جاد، **٧٣٠ يومًا من الكراهية رصد خطاب الكراهية في الإعلام اللبناني وعلى وسائل التواصل الاجتماعي ٢٠٢٠-٢٠٢٢**، إشراف: سامر عبد الله وأيمن مهنّا، مؤسسة سمير قصير، ٢٠٢٣

- حمدان، كمال، **الأزمة اللبنانية**، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٨،

- حلواني، وداد، شاناي: **من فسحة حب إلى ساحة حرب**، طواحين الهوى، من إصدار المركز الدولي للعدالة الانتقالية ولجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان، توزيع دار نلسن، ٢٠٢٣

- ديب، كمال، **روجيه تمرز إمبراطورية إنترا وحيتان المال في لبنان ١٩٦٨-١٩٨٩**، المكتبة الشرقية، سن الفيل، ط ١، ٢٠١٨

- راندل، جوناثان، **حرب الألف سنة، حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، لا دار نشر، ترجمة بشار رضا، نسخة مترجمة عن الكتاب الصادر بالإنكليزية في أيار ١٩٨٣ Going All the Way: Christian Warlords, Israeli Adventures and the War in Lebanon بعنوان

- رباط، إدمون، **التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري**، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات القانونية - السياسية والإدارية، بيروت، ٢٠٠٢،

- رماني، ماجدة، **الإنتداب الفرنسي على لبنان ١٩٢٠-١٩٤٦**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعية ٢٠١٥ – ٢٠١٦، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – قطب شتمة، شعبة تاريخ

- روبنسون، هيذر – كونابل، بن – تايلر، ديفيد – سكوتن، علي، **الطائفية في الشرق الأوسط التداعيات على الولايات المتحدة**، موسسة راند، كاليفورنيا

- سعادة، جوزف، **أنا الضحية والجلاد أنا**، دار الجديد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥

- سلام، نواف، **لبنان بين الأمس والغد، شرق الكتاب**، الطبعة العربية الأولى، أيار ٢٠٢١

- سنو، عبد الرؤوف، **حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع**، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية، بيروت، ٢٠١٥

- ضاهر يعقوب، مي، **صحافية بثياب الميدان فصول من الحرب الأهلية والمفاوضات اللبنانية-الإسرائيلية**، المطبعة البوليسية، جونيه، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، آذار ٢٠١٠

- طرابلسي، فواز، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، دار رياض نجيب الريس للكتب والنشر، بيروت، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، تشرين الأول ٢٠٠٨

- عياش، أحمد- باسيل، جوزف- الرفاعي، حسان، **حسن الرفاعي حارس الجمهورية**، دار سائر المشرق للنشر والتوزيع، جديدة المتن، ٢٠٢٣، طبعة ثانية منقحة

- فتوني، علي، **تاريخ لبنان الطائفي**، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠١٣

- فحص، عدنان، **الحرب اللبنانية (أسباب ونتائج)**، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩١

- مراد، جنى، **التعامل مع الماضي، ذكريات من أجل المستقبل إحياء قصص بطلات غير مكرَّمات**، المعهد العربي للمرأة، الجامعة اللبنانية الأميركية، ٢٠٢٢

- هافمان، أكسيل، **التاريخ وكتابة التاريخ في لبنان خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الفهم الذاتي للتاريخ: أشكاله ووظائفه**، ط ١، ٢٠١١، طبع بإشراف المعهد الالماني للأبحاث الشرقية في بيروت في مطبعة كومبيوبرنت، بيروت

مواقع إلكترونية

- آثار

- آر تي بالعربية

- أساس ميديا
- آسي مينا
- الأخبار
- الأمم المتحدة
- الأنباء
- البيان
- التيار الوطني الحر الموقع الرسمي
- الجديد
- الجزيرة نت
- الجمهورية
- الجيش اللبناني
- الخنادق
- الدولية للمعلومات
- الراي ميديا
- السياسة
- الشرق الأوسط
- الشيخ علي الفقيه
- العربي الجديد
- العربية نت
- العهد الإخباري
- القدس العربي
- القوات اللبنانية
- الكتائب
- المجلة
- المدن

- المرصد السوري لحقوق الانسان
- المركزية
- المعهد المصري للدراسات
- المفكرة القانونية
- المونيتور
- النشرة
- النهار
- الوكالة الوطنية للإعلام
- أم تي في
- إندبندنت عربية
- أوريان ٢١
- إيلاف
- باحثات
- بي بي سي عربي
- تلفزيون العربي
- تلفزيون نورسات
- جنوبية
- درج ميديا
- دنيا الوطن
- رصيف ٢٢
- سكايز ميديا
- سكاي نيوز عربية
- سلام وكلام
- صوت لبنان
- عكاظ

- فرانس ٢٤
- قوى الأمن الداخلي
- كشافة الحرية
- لبنان ٢٤
- لبنان الكبير
- لبنان نيوز
- لبنانيون
- ليبانون أون
- ليبانون ديبايت
- ليبانون فايلز
-ليبانون ميموري
- ليب توكس
- مؤسسة لقمان سليم
- مجلس النواب اللبناني
- محكمة نت
- مراسلون بلا حدود
- مركز البيان للدراسات والتخطيط
- مركز الجزيرة للدراسات
- معابر
- معهد واشنطن
- مناطق نت
- ميغافون
- نداء الوطن
- هنا لبنان
- وثائق الأمم المتحدة

- وكالة أخبار اليوم
- وكالة الأناضول
- يوتيوب

صحف

- الجريدة الرسمية
- الحياة
- السفير
- النهار

دوريات وتقارير

- مؤسسة سمير قصير
- مجلة الدراسات الفلسطينية
- هيومان رايتس ووتش
- مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

مقابلات

- مقابلة مع آرا سنجيان
- مقابلة مع أنيس فضل محسن
- مقابلة مع باسم البكّور
- مقابلة مع تيا صاغريان
- مقابلة مع عفيفة السيّد
- مقابلة مع فادي أبي علام
- مقابلة مع فؤاد الديراني
- مقابلة مع مونيكا بورغمان

- مقابلة مع نايلة خضر حمادة

- مقابلة مع هناء جابر

أعمال ومصادر «أمم للتوثيق والأبحاث»

- **بالروح بالدم... دراسة إحصائية في أحوال عينة من مقاتلي «الحرب»**، ديوان الذاكرة اللبنانية [١]، أمم للتوثيق والابحاث، ٢٠١٠

- رباح، مكرم، **النزاع على جبل لبنان الذاكرة الجماعية وحرب الجبل**، أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ط ١، ٢٠٢٢

- غملوش، راغدة، **المرأة الشيعية في لبنان، خصوصية الهوية والكفاح المستمر**، أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ٢٠٢٣

- حمادي، محمود – هدلا، عباس، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض الى المستقبل المجهول، من عام ١٩٥٩ حتى ترسيم الحدود البحرية**، أمم للتوثيق والابحاث، بيروت، ٢٠٢٣

- **مبادرة «تاريخ سوريا الحديث»، حزب الله يعبر الحدود القصير نموذجًا**، أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ٢٠٢٣

- مشروع بدنا نعرف

- مطبوعة فان رقم ٤

- منذر، محمد، **تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، من النشأة حتى عام ١٩٥٩**، أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ٢٠٢٣

- موقع ديوان الذاكرة اللبنانية

- وثائقي مساكر